

كتاب الإغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعايفي الأستاذ بكر عباس

المجلد السادس

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

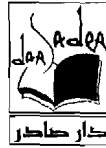
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isfahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[72] - أخبار الصّمة القشيري ونسبه¹

[نسبه]

هو الصّمة بن عبد الله بن الطّفيل بن قُرّة بن هُبيرة بن عامر بن سلّمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، شاعرٌ إسلاميٌّ بدويٌّ مُقلِّ ، من شعراء الدولة الأمويّة .

[هو شاعر مُقل من شعراء الدولة الأموية]

ولجده قُرّة بن هُبيرة صحبة بالنبي ﷺ ، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه ﷺ وآله .

[وفد جده قُرّة على النبي ﷺ]

أخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمّد الرّازي وعمّي قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي وابن ذأب وغيرهما من الرّواة قالوا : وفد قُرّة بن هُبيرة بن عامر بن سلّمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة إلى النبي ﷺ فأسلم ، وقال له : يا رسول الله ، إنا كنّا نعبد الآلهة² لا تنفعنا ولا تضرّنا ؛ فقال له رسول الله ﷺ : «نعم ذا عقلاً» .

[فصّته في حبّه وزواجه]

وقال ابن ذأب : وكان من خبر الصّمة أنّه هوي امرأةً من قومه ثم من بنات عمّه دنية³ يُقال لها العامريّة بنت غُطيف بن حبيب بن قُرّة بن هُبيرة ؛ فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها ؛ وخطبها عامر بن بشر بن أبي براء بن مالك بن مُلاعب⁴ الأسنة بن جعفر بن كلاب ، فزوجه إياها . وكان عامر قصيراً قبيحاً ؛ فقال الصّمة بن عبد الله في ذلك : [من الطويل]

فإنّ تُنكِحوها عامراً لا طّلا عكم إليه يُدهدْهُكم برجليه عامراً

شبهه بالجعل الذي يُدهدُه البعرة برجليه .

قال : فلمّا بنى بها زوجها ، وجَد الصّمة بها وجداً شديداً وحزن عليها ؛ فزوجه أهلُه امرأةً

1 انظر أخبار الصّمة القشيري في ديوانه جمع وتحقيق د . عبد العزيز محمّد الفيصل ، النادي الأدبي - الرياض 1981 وفي سبائك الذهب 45 وإصلاح المنطق 404 وجنى الجنتين 62 ومعجم البلدان 348/3 .

2 ل : آلهة .

3 دنية : أي لاصقة النسب .

4 مُلاعب الأسنة : كنية أبو براء ، واسمه عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب .

منهم يقال لها جَبْرَة بنت وَحْشِيَّ بن الطَّفِيل بن قُرّة بن هُبيرة ؛ فَأقام عليها مُقاماً يسيراً ، ثم رحل إلى الشام غضباً على قومه ، وخلف امرأته فيهم ، وقال لها : [من الطويل]

كُلِّي التمرَ حتّى تَهْرَمَ النخلُ واضفيري خطامك ما تدرين ما اليوم من أمس
وقال فيها أيضاً :

لَعَمري لئن كنتم على النأي والقلَى بكم مثل ما بي إنكم لصديق
إذا زفّرات الحبّ صعدن في الحشا رُددن ولم تُنهَجْ لهنّ طريق
وقال فيها أيضاً :

إذا ما أتنّا الریح من نحو أرضكم أتنّا بریّاكم فطاب هوبها
أتنّا بريح المسك خالطَ عنبراً وريح الخزامی باكرتها جنوبها
وقال فيها أيضاً :

هل تجزیني العامریة موقفي على نسوة بین الحمى وغضی الجمر¹
مررنّ بأسباب الصبا فذكرنها فأوماتُ إذ ما من جواب ولا نُكر
[موته بطبرستان]

وقال ابن ذأب : وأخبرني جماعة من بني قُشَير أنّ الصمّة خرج في غزِيٍّ من المسلمين إلى بلد الدّيلم فمات بطبرستان .

قال ابن ذأب : وأنشدني جماعة من بني قُشَير للصمّة :

صوت

ألا تسألان الله أن يسقي الحمى بلى فسقى الله الحمى والمطالیا²
وأسأل من لا قيت هل مطر الحمى فهل يسألن عني الحمى كيف حالها
الغناء في هذين البيتين لإسحاق ، ولحنه فيهما من الثقليل الأوّل بالوسطى ، وهو من مختار الأغاني ونادرها .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع وعمي قالوا حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال قال عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفري حدّثنا عبد الله بن إسحاق الجعفري عن

1 الجمر : وفي ل : الحجر .

2 المطالي : جمع مطلاة (يمدّ ويقصر) وهو مسيل ضيق من الأرض ، أو هو أرض سهلة لينة تنبت العضاء . وقيل : المطالي روضات ، واحدها مطلى بالقصر لا غير .

عبد العزيز بن أبي ثابت قال حدثني رجل من أهل طَبْرِسْتَانَ كبير السنَّ قال : بينا أنا يوماً أمشي في ضَيْعَةٍ لي فيها ألوانٌ من الفاكهة والزعفران وغير ذلك من الأشجار ، إذ أنا بإنسان في البستان مطروح عليه أهدامٌ خلْقَانٌ ، فدنوتُ منه فإذا هو يتحرك ولا يتكلَّم ، فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خَفِيٍّ :

تَعَزَّ بصبرٍ لا وجدك لا ترى بَشَامَ الحِمَى أُخْرَى اللَّيالي الغَوَايرِ¹
كَانَ فَوَادِي من تذكُّره الحِمَى وأهل الحِمَى يَهْفُو به ريشُ طائرٍ

قال : فما زال يردِّد هذين البيتين حتى فاضت نفسه ؛ فسألت عنه فقل لي : هذا الصِّمَّة بن عبد الله القشيري .
[كان ابن الأعرابي يستحسن شعرًا له]

أخبرني عمِّي قال حدثنا الخَرَّازُ أحمد بن الحارث قال : كان ابن الأعرابي يستحسن قول الصِّمَّة :

صوت

أما وجلال الله لو تذكُرَني كذِكْرِكِ ما كفَكَفتِ للعينَ مَدْمَعَا
فَقَالَتْ بَلَى والله ذكراً لو آتَه يُصَبُّ على صُمِّ الصِّفَا لتصدَّعا
غَنَى في هذين البيتين عُبيد الله بن أبي غَسَّانَ ثانيَ ثَقِيلٍ بالوسطى . وفيهما لِعَرِيبٍ خَفِيفُ رَمَلٍ :

ولمَّا رَأَيْتُ البِشَرَ قد حال بيننا وَجَالَتْ بناتُ الشوقِ في الصدرِ نُزْعَا²
تَلَفَّتْ نحوَ الحَيِّ حتى وجدْتُني وَجِعتُ من الإصغاءِ لَيْتَا وأخذعا³

[مدح إبراهيم بن محمد بن سليمان في شعره]

أخبرني أبو الطَّيِّب بن الوَشَّاء قال : قال لي إبراهيم بن محمد بن سليمان الأَزْدِيُّ : لو حَلَفَ حَالِفٌ أنَّ أحسنَ أبياتٍ قيلت في الجاهليَّة والإسلام في الغزل قولُ الصِّمَّة القشيريِّ ما حَبِثَ :

حَنَنْتَ إلى رَيَّا ونفْسُك باعدتْ مَزَارَكَ من رَيَّا وشُعْبَاكُما مَعَا

1 البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

2 البشر : جبل .

3 الليت (بالكسر) : صفحة العنق . والأخذع : عرق في العنق موضع الحجامة .

فما حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعاً وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعاً
بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحَلَمِ أَسْبَلْتُهَا

صوت

[من الطويل]

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَثْنِي عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَصْدَعَا
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدْمَعَا
غَنَّتْ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ قُرَشِيَّةُ الزَّرْقَاءِ لِحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ عَنِ الْهَشَامِيِّ .

وهذه الأبيات التي أولها «حننت إلى ريتا» تُروى لقيس بن ذريح في أخباره وشعره بأسانيد قد ذكرت في مواضعها ، ويُروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذكرت أيضاً في أخباره . والصحيح في البيتين الأولين أنهما لقيس بن ذريح وروايتهما [له] أثبت ، وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدة طرق ؛ والأخر مشكوك فيها أهي للمجنون أم للصمّة .
[كان أبو حاتم يستجيد بيتين من شعره]

أَنشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ لِلصَّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ قَالَ : وَكَانَ أَبُو حَاتِمٍ
يَسْتَجِيدُهُمَا ، وَأَنشَدْنِيهِمَا عَمِّيَ عَنِ الْكُرَانِيِّ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ ، وَأَنشَدْنِيهِمَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ
ابْنِ مَهْرُوبٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ :

[من البسيط]

إِذَا نَأَتْ لَمْ تُفَارِقْنِي عَلاَقَتُهَا وَإِنْ دَنْتُ فَصُدُودُ الْعَاتِبِ الزَّارِي
فَحَالَ عَيْنِي مِنْ يَوْمَيْكَ وَاحِدَةً تَبْكِي لِفَرْطِ صَدُودٍ أَوْ نَوَى دَارِ

[تذكر محبوبته وبكى وذكر شعره فيها]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ سَلَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي
عَنْ شُعَيْبِ بْنِ صَخْرٍ عَنْ بَعْضِ بَنِي عُقَيْلٍ قَالَ : مَرَرْتُ بِالصَّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُشَيْرِيِّ يَوْمًا وَهُوَ
جَالِسٌ وَحْدَهُ يَبْكِي وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ مَا صَدَقْتُكَ فِيمَا قَالْتَ ؛ فَقُلْتُ : مَنْ
تَعْنِي بِهَذَا وَيُحْك ! أَجُنَنْتَ ؟ قَالَ : أَغْنَى الَّتِي أَقُولُ فِيهَا :

[من الطويل]

أَمَّا وَجَلَالُ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي كَذِكْرِكَ مَا كَفَفْتُ لِلْعَيْنِ مَدْمَعَا
فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى صُمِّ الصَّمَا لِتَصْدَعَا

أُسلِي نفسي عنها وأخبرها أنها لو ذكرتني كما قالت لكنت في مثل حالي .

[قصته في خطبة ابنة عمه ورحلته إلى ثغر من الثغور وشعره في ذلك]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني مسعود بن عيسى بن إسماعيل العبدي عن موسى بن عبد الله التيمي قال : خطب الصَّمة القشيري بنت عمه وكان لها مُحجياً ، فاشتطَّ عليه عمه في المهر ؛ فسأل أباه أن يعاونه وكان كثير المال فلم يُعنه بشيء ؛ فسأل عَشيرته فأعطوه ؛ فأتى بالإبل عمه ؛ فقال : لا أقبل هذه في مهر ابنتي ، فسأل أباه أن يُبدلها لك ، فسأل ذلك أباه فأبى عليه ؛ فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عُقلها وخلاها ، فعاد كلٌّ بغير منها إلى الآفه . وتحمل الصَّمة راحلاً . فقالت بنت عمه حين رآته يتحمل : تالله ما رأيت كالיום رجلاً باعته عشيرته بأبيرة . ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر ؛ فقال وقد طال مقامه واشتاقها ونَدِم على فعله :

أتبكي على رَيَّا ونفسك باعدتْ مزارك من رَيَّا وشعباكُ معا
فما حسنٌ أن تأتي الأمر طائعاً وتجزعَ أن داعي الصبابة أسمعاً

وقد أخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي : أن الصَّمة خطب ابنة عمه هذه إلى أبيها ؛ فقال له : لا أزوجكها إلا على كذا وكذا من الإبل ؛ فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك وشكا إليه ما يجد بها ؛ فساق الإبل عنه إلى أخيه ؛ فلما جاء بها عدها عمه فوجدها تنقص بغيراً ، فقال : لا آخذها إلا كاملةً ؛ فغضب أبوه وحلف لا يزيد ما جاء به شيئاً . ورجع إلى الصَّمة ؛ فقال له : ما وراءك ؟ فأخبره ؛ فقال : تالله ما رأيت قطُّ الأم منكما جميعاً ؛ وإنِّي لألأم منكما إن أقمتُ بينكما ؛ ثم ركب ناقته ورحل إلى ثغر من الثغور ، فأقام به حتى مات . وقال في ذلك :

أمن ذكر دارِ الرقاشين أصبحتُ بها عاصفاتُ الصيف بدءاً ورجعاً¹
حننتُ إلى رَيَّا ونفسك باعدتْ مزارك من رَيَّا وشعباكُ معا
فما حسنٌ أن تأتي الأمر طائعاً وتجزعَ أن داعي الصبابة أسمعاً
كانك لم نشهد وداعَ مُفارق ولم ترَ شَعْبِي صاحِبين تقطعاً
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبَلتنا معا

1 الرقاشان : جبلان بأعلى الشريف في ملتقى دار كعب وكلاب . ورواية البيت في معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري وقد نسبه ليزيد بن الطثري :

أمن أجل دار الرقاشين أعصفتُ عليها رياح الصَّيف بدءاً ورجعاً
وفي الديوان (أمن أجل) .

تَحْمَلُ أَهْلِي مِنْ قَتِينٍ وَغَادِرُوا بِهِ أَهْلَ لَيْلَى حِينَ جِيدَ وَأَمْرَعَا¹
 أَلَا يَا خَلِيلِي اللَّذِينَ تَوَاصِيَا بِلُومِي إِلَّا أَنْ أَطِيعَ وَأُسْمَعَا
 قِفَا إِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ رَجْعِ نَظَرَةٍ يَمَانِيَّةٍ شَتَّى بِهَا الْقَوْمُ أَوْ مَعَا
 لِمُغْتَصَبٍ قَدْ عَزَّهُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ حَيَاءٌ يَكُفُّ الدَّمْعَ أَنْ يَتَطَّلَعَا
 تَبْرِضُ عَيْنِيهِ الصَّبَابَةُ كُلَّمَا دَنَا اللَّيْلُ أَوْ أَوْفَى مِنَ الْأَرْضِ مِيفَعَا²
 فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدْمَعَا

صوت

من المائة المختارة من رواية يحيى بن عليّ

[من الخفيف]

قُلْ لِلْأَسْمَاءِ أَنْجَزِي الْمِيعَادَا وَأَنْظِرِي أَنْ تُزَوِّدِي مِنْكِ زَادَا
 إِنْ تَكُونِي حَلَلْتَ رُبْعًا مِنَ الشَّأ مَ وَجَاوَرْتِ حِمِيرًا أَوْ مَرَادَا
 أَوْ تَنَاءَتْ بِكِ النَّوَى فَلَقَدْ قُدَّ تِ فَوَادِي الْحَيْنِ فَانْقَادَا
 ذَاكَ أَنِّي عَلَّقْتُ مِنْكِ جَوَى الْحَا سَبَّ وَلِيدًا فَزِدْتُ سِنًا فَرَادَا

الشعر لداود بن سلم . والغناء لدحمان ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالوسطى . وقد كنّا وجدنا هذا الشعر في رواية عليّ بن يحيى عن إسحاق منسوباً إلى المرقش ، وطلبناه في أشعار المرقشين³ جميعاً فلم نجده ، وكنا نظنّه من شاذّ الروايات حتى وقع إلينا في شعر داود بن سلم ، وفي خبرٍ أنا ذاكره في أخبار داود . وإنّما نذكر ما وقع إلينا عن رواته ؛ فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحّته أثبتناه وأبطلنا ما فرط منا غيره ، وما لم يجز هذا المجزى فلا ينبغي لقارئ هذا الكتاب أن يلزمنا لوم خطأ لم نتعمّده ولا اخترعناه ، وإنّما حكينا عن رواته واجتهدنا في الإصابة . وإن عرف صواباً مخالفاً لما ذكرناه وأصلحه ، فإنّ ذلك لا يضرّه ولا يخلو به من فضل وذكرٍ جميل إن شاء الله .

1 جيد : أصابه الجود وهو المطر الغزير .

2 تبرّض : أي تأخذ الصبابة ماء عينه شيئاً فشيئاً .

3 يعني بالمرقشين : المرقش الأكبر والمرقش الأصغر .

[73] - أخبار داود بن سلم ونسبه

[نسبه]

داود بن سلم¹ مولى بني تميم بن مرة بن كعب بن لؤي؛ ثم يقول بعض الرواة؛ إنه مولى آل أبي بكر، ويقول بعضهم: إنه مولى آل طلحة. وهو مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، من ساكني المدينة، يُقال له داود الآدم² وداود الأرمك.

[رآه والي المدينة يخطر في مشيته فضربه فمدحه ابن ربيعة لذلك]

وكان من أفتح الناس وجهاً. وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله؛ فرآه ذات يوم يخطر خطرةً منكراً فدعا به، وكان يتولى المدينة، فضربه ضرباً مبرحاً؛ وأظهر أنه إنما فعل ذلك به من أجل الخطرة التي تخايل فيها في مشيته. فقال بعض الشعراء في ذلك وأظنه ابن ربيعة:

ضربَ العادلُ سعدُ ابنَ سلم في السَّماجةِ
فقضَى اللهُ لسعدٍ من أميرٍ كلَّ حاجةٍ

[مدح آل معمر لأن أمه من مواليتهم]

أخبرني محمد بن سليمان الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: سألت محمد بن موسى بن طلحة عن داود بن سلم، هل هو مولاهم؟ فقال: كذلك يقول الناس هو مولانا، أبوه رجل من النبط، وأمّه بنت حوط مولى عمر بن عبيد الله بن معمر؛ فانتسب إلى ولاء أمّه. وفي ذلك يقول ويمدح ابن معمر:

وإذا دعا الجاني النصيرَ لنصره وارتنى الغررُ النصيرةَ معمرُ
متخازرين كأنَّ أسدَ خفيّة بمقامها مستبيلات تزار³
متجاسرين بحمل كلِّ مُلَمّة متجبرين على الذي يتجبرُ

1 داود بن سلم: انظر أخباره في ربيع الأبرار 13/2 والمستطرف 1: 117، 1: 164 وأمالى القالي 1: 242 ومحاضرات الراغب الأصفهاني 1: 653 وشرح نهج البلاغة 11: 223 والكامل 2: 144-145 وسراج الملوك 161، والتذكرة الحمدونية 199/2.

2 وفي ل: الأدلم.

3 تخازر الرجل: ضيق جفنه ليحدّد النظر. الخفية: غيضة ملتفة يتخذها الأسد عرينه، وهي علم لموضع بعينه.

عُسْلُ الرُّضَى إِذَا أُرِدَتْ خَصَامَهُمْ خَلَطَ السَّمَامَ بِفِيكَ صَابٌ مُمَقَّرٌ¹
 لَا يَطْبَعُونَ وَلَا تَرَى أَخْلَاقَهُمْ إِلَّا تَطْيِبُ كَمَا يَطْيِبُ الْعَنْبَرُ
 رَفَعُوا بِنَايَ بَعْتَقِ حَوْطٍ ذَنِيَّةً جَدِّي وَفَضْلِهِمُ الَّذِي لَا يُنْكَرُ

[كان أسود بخيلاً وله شعر في الكرم كذبه فيه قوم ضافوه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحيب بن نصر المهلبّي قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ المَوْصِلِيّ قال : كان داود بن سَلَمَ مولى بني تَيْم بن مَرَّة ، وكان يقال له : الآدم² لشدّة سواده ، وكان من أبخل الناس ؛ فطَرَقَه قوم وهو بالعقيق ، فصاحوا به : العشاء والقرى يا ابن سَلَمَ ؛ فقال لهم : لا عشاء لكم عندي ولا قرى ؛ قالوا : فأين قولك في قصيدتك إذ تقول فيها :

يا دار هندي أَلَا حَيِّيتَ من دارٍ لم أَقْضِ مِنْكَ لُبَانَاتِي وَأَوْطَارِي
 عَوَّدْتُ نَفْسِي إِذَا ما الضَّيْفُ نَبَّهَنِي عَقَرَ العِشَارَ عَلَى يُسْرِي وإِعْصَارِي
 قال : لستم من أولئك الذين عنيتُ .

[عزى السري بن عبد الله عن ابنه]

قال : ودخل على السَّريّ بن عبد الله الهاشمي ، وقد أُصِيبَ بابنٍ له ؛ فوقف بين يديه ثم أنشده :

يا مَنْ على الأَرْضِ من عُجْمٍ ومن عَرَبٍ اسْتَرْجِعُوا خَاسَتِ الدُّنْيَا بَعْبَاسٍ³
 فُجِيعَتُ مِنْ سَبْعَةٍ قَدْ كُنْتُ آمُلُهُمْ مِنْ ضِئْنٍ وَالْدهَمِ بِالسَّيِّدِ الرَّاسِ⁴
 قال : وداود بن سلم الذي يقول :

قُلْ لَأَسْمَاءُ أَتْجِزِي المِيعَادَا وَاَنْظُرِي أَنْ تَرْوِدِي مِنْكَ زَاذَا
 إِنْ تَكُونِي حَلَلْتُ رِبْعاً مِنَ الشَّأْ م وَجَاوَرَتْ جَمِيراً أَوْ مُرَادَا
 أَوْ تَنَاءَتْ بِلْكَ النَّوَى فَلَقَدْ قُدْ تِ فَوَادِي لَحِينِهِ فَاِنْقَادَا
 ذَاكَ أَنِّي عَلِقْتُ مِنْكَ جَوَى الحَا بَ وَلَيْدَا فَرَدْتُ سِنّاً فَرَادَا

قال أبو زيد : أنشدنيها أبو غَسَّانَ مُحَمَّد بن يحيى وإبراهيم بن المنذر لداود بن سلم .

1 عُسْلُ : جمع عاسل وعسول أي حلو . والمقمر : الشديد المرارة .

2 ل : الأدم .

3 خاست : غدرت .

4 الضنء : الولد ويطلق على الأصل أيضاً .

نسبة ما في هذا الخبر من الشعر الذي فيه غناء

صوت

[من البسيط]

يا دارَ هند أَلَا حُيَّيتَ من دارٍ لم أقضِ منكُ لُباناتي وأوطاري
يُتَمِّمُ وَيُنْسِبُ .

[مدح إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بولاية القضاء فزجره]

أخبرنا الطوسي قال حدثنا الزبير قال أخبرني مُصْعَبُ بن عثمان قال : دعا الحسن بن زيد
إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ أَيَّامَ كان يلي المدينة إلى ولاية
القضاء فأبى عليه فحبسه ، فدعا مسرقين يسرقون له مغسلاً في السجن ، وجاء بنو طلحة
فأنسجنوا معه . وبلغ ذلك الحسن بن زيد ، فأرسل إليه فأتى به ؛ فقال : إِنَّكَ تَلَجَّجْتَ عَلَيَّ ، وقد
حلفتُ أَلَّا أُرْسِلَكَ حتى تعملَ لي ، فأبرزَ يميني ، ففعل ؛ فأرسل الحسن معه جنداً حتى جلس في
المسجد مجلسَ القضاء والجندُ على رأسه ؛ فجاءه داود بن سلم فوقف عليه فقال : [من الخفيف]

طلبوا الفقه والمروءة والجدَّ هم وفيك اجتمعن يا إسحاق

فقال : ادفعوه ، فدفعوه ، فَنُحِّيْ عنه ؛ فجلس ساعة ثم قام من مجلسه ؛ فأعفاه الحسن بن
زيد من القضاء ؛ فلما سار إلى منزله أرسل إلى داود بن سلم بخمسين ديناراً ، وقال للرسول : قل
له : يقول لك مولاك : ما حملك على أن تمدحني بشيء أكرهه ؟ استعن بهذه على أمرك .

[ضربه سعد بن إبراهيم في المسجد والقصة في ذلك]

أخبرني الحرّمي بن أبي الغلاء قال حدثنا الزبير بن بَكَار قال حدثني مُحَرِّزُ بن سعيد قال :
بينما سعد بن إبراهيم في مسجد النبي ﷺ يقضي بين الناس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن
عبد الله بن جعفر ، ومعه داود بن سلم مولى التَّيْمِيِّينَ ، وعليهما ثياب ملوثة يجرّانها ؛ فأوماً
أن يُؤْتَيَ بهما فجاءا إليه ، فأشار إلى زيد أن اجلس ، فجلس بالقرب منه ، وأوماً إلى الآخر أن
يجلس حيث يجلس مثله ، ثم قال لَعَوْنُ من أعوانه : ادعُ لي نوحَ بن إبراهيم بن محمد بن
طلحة بن عُبَيْدِ الله ، فدُعي له فجاء أحسنَ الناس سَمْتاً وتشميراً ونقاءً ثياب ؛ فأشار إليه
فجلس ؛ ثم أقبل على زيد فقال له : يا ابنَ أخي ؛ تشبه بشيخك هذا وسَمْتِهِ وتشميره ونقاء
ثوبه ، ولا تُعَدُّ إلى هذا اللبس ، قُمْ فانصرف . ثم أقبل على ابنِ سلم وكان قبيحاً ، فقال له :
هذا ابنُ جعفر أحتمل هذا له ، وأنت لأيِّ شيءٍ أحتمل هذا لك ؟ أَلَوْلُمُ أَصْلِكَ ، أم لسماجة
وجهك ؟ جَرَّدَه يا غلام ؛ فَجَرَّدَ فضرَبَه أسواطاً . فقال ابنُ رُهَيْمَةَ : [من مجزوء الرمل]

جلد العادل سعد
ابن سلم في السماجة
ففضى الله لسعد
من أمير كل حاجة

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حميد بن كاسب قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون قال : قال لي أبي وقد عزل سعد بن إبراهيم عن القضاء يا بني تعجل بنا عسى أن نروح مع سعد بن إبراهيم ، فإن القاضي إذا عزل لم يزل الناس ينالون منه ؛ فخرجنا حتى جئنا دار سعد بن إبراهيم ، فإذا صوت عال ؛ فقال لي أي شيء هذا ؟ أرى أنه قد أعجل علي ؛ ودخلنا فإذا داود بن سلم يقول له : أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق وفعل بك ؛ وقد كان سعد جلد داود بن سلم أربعين سوطاً ، فأقبل علي سعد وعلى أبي ، فقال : لم تر مثلاً أربعين سوطاً في ظهر لثيم . قال : وفيه يقول الشاعر :

ضرب العادل سعد
ابن سلم في السماجة
ففضى الله لسعد
من أمير كل حاجة

[كان يمدح الحسن بن زيد وقد غضب منه لمدحه جعفر بن سليمان]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزبير بن بكار قال حدثني أبو يحيى الزهري واسمه هارون بن عبد الله قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال : كان الحسن بن زيد قد عود داود بن سلم مولى بني تميم إذا جاءته غلة من الخانقين¹ أن يصله . فلما مدح داود بن سلم جعفر بن سليمان ، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعد شديد ، أغضب ذلك الحسن ؛ فقدم من حج أو عمرة ، ودخل عليه داود مسلماً ، فقال له الحسن : أنت القائل في جعفر : [من الطويل]

وكنّا حديثاً قبل تأمير جعفر
وكان المنى في جعفر أن يؤمراً
حوى المنبرين الطاهرين كليهما
إذا ما خطا عن منبر أم منبرا
كأن بني حواء صُفُوا أمامه
فخير من أنسابهم فتحيراً ؟

فقال داود : نعم ، جعلني الله فداءكم ، فكنتم خيرة اختياره ؛ وأنا الذي أقول : [من الطويل]

لعمري لمن عاقبت أو جدت منعماً
بغفو عن الجاني وإن كان مُعذراً
لأنّ بما قدمت أولى بمدحية
واكرم فرعاً إن فخرت وعنصراً
هو العرة الزهراء من فرع هاشم
ويدعو علياً ذا المعالي وجعفر

1 خانقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همدان من بغداد .

وزيد الندى والسبط سبط محمد وعملك بالطف الزكي المطهر¹
وما نال من ذا جعفر غير مجلس إذا ما نفاه العزل عنه تأخرا
بحقكم نالوا ذراها فأصبحوا يرون به عزاً عليكم ومفخرا

قال : فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه ، ولم يزل يصِلُّه ويُحسِّن إليه حتى مات .
قال أبو يحيى : يعني بقوله : «وإن كان مُعذِّراً» أن جعفرأ أعطاه بأبياته الثلاثة ألف دينار ،
فذكر أن له عذراً في مدحه إياه بجزالة إعطائه .

[إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن ابن أبي الزناد قال :
كنت ليلةً عند الحسن بن زيد بيطحاء ابن أزهَر (على ستة أميال من المدينة ، حيال ذي الحليفة)
نصف الليل جلوساً في القمر ، وأبو السائب المخزومي معنا ؛ وكان ذا فضل وكان مشغولاً
بالسماع والغزل ، وبين أيدينا طبقٌ عليه فريك² فنحن نُصيب منه ، والحسن يومئذٍ عاملٌ
المنصور على المدينة ؛ فأنشد الحسن قولَ داود بن سلم وجعل يمدُّ به صوته ويُطربُه : [من الوافر]

صوت

فعرسنا بيطن عريتنا³ ليجمعنا وفاطمة المسير⁴
أتنى إذ تعرض وهو بادٍ مقلدها كما برق الصبير⁴
ومن يطعم الهوى يُعرف هواه وقد يُنيك بالأمر الخير
على أنني زفرتُ غداة هرشى فكاد يريهم مني الزفير⁵

الغناء للغريض ثاني ثقلٍ بالسبابة في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه للهُذلي ثاني ثقلٍ
بالوسطى عن عمرو بن بانه ، وأظنه هذا اللحن . قال : فأخذ أبو السائب الطبق ، فوحش به إلى
السماء ، فوقع الفريك على رأس الحسن بن زيد ؛ فقال له : ما لك ؟ ويحك ! أجننت ؟ فقال له
أبو السائب : أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله ﷺ إلا ما أعدت إنشاد هذا الصوت ومددته
كما فعلت ، قال : فما ملك الحسن نفسه ضحكاً ، ورد الحسن الأبيات لاستحلافه إياه . قال ابن

1 يعني به زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب ، والسبط الحسن بن علي ، وعمه الحسين بن علي .

2 الفريك : طعام يفرك ويلت بسمن وغيره .

3 عريتنا : اسم واد .

4 الصبير : السحاب الأبيض لا يكاد يطر .

5 هرشى : ثنية قرب الجحفة في طريق مكة يرى منها البحر .

أبي الزناد : فلمّا خرج أبو السائب قال لي : يا ابن أبي الزناد ، أَمَا سَمِعْتَ مَدَّةَ : [من الوافر]

وَمَنْ يُطْعِرُ الْهَوَى يُعْرِفْ هَوَاهُ

فقلت نعم ؛ قال : لو علمتُ أَنَّهُ يَقْبَلُ مَالِي لَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَبْيَاتِ . أَخْبِرْنِي بِخَبْرِهِ عِبِيدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيِّ وَعَمِّي قَالَا حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنِ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ .

[ما وقع بين ضبيعة العبسي وظبية جارية فاطمة بنت عمر بن مصعب]

أَخْبِرْنِي الْحُرْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي ظَبْيَةُ مَوْلَاةُ فَاطِمَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَتْ : أُرْسَلْتَنِي مَوْلَاتِي فَاطِمَةُ فِي حَاجَةٍ ، فَمَرَرْتُ بِرَحْبَةِ الْقَضَاءِ ، فَإِذَا بِضَبْيَةَ الْعَبْسِيِّ خَلِيفَةَ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ ؛ فَأُرْسِلُ إِلَيَّ فِدْعَانِي ، وَقَدْ كُنْتُ رَطَلْتُ¹ شَعْرِي وَرَبِطْتُ فِي أَطْرَافِهِ مِنَ الْوَانِ الْعَهْنِ ؛ فَقَالَ : مَا هَذَا ؛ فَقُلْتُ شَيْءٌ أَتَمَلَّحُ بِهِ ؛ فَقَالَ : يَا حَرَسِي قَنَعُهَا بِالسُّوْطِ . قَالَتْ : فَتَنَاوَلْتُ السُّوْطَ بِيَدِي وَقُلْتُ : قَاتِلْكَ اللَّهُ ! مَا أَبَيْنَ الْفَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ! سَعْدٌ يَجْلِدُ النَّاسَ فِي السَّمَاجَةِ ، وَأَنْتَ تَجْلِدُهُمْ فِي الْمَلَاخَةِ ؛ وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

جَلَدَ الْعَادِلُ سَعْدٌ ابْنَ سَلَمٍ فِي السَّمَاجَةِ

فَقَضَى اللَّهُ لِسَعْدٍ مِنْ أَمِيرٍ كُلِّ حَاجَةٍ

قَالَتْ : فَضَحَكْتُ حَتَّى ضَرَبَ بِيَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ ، وَقَالَ : خَلَّ عَنْهَا . قَالَتْ : فَكَانَ يَسُومُ بِي ، وَكَانَتْ مَوْلَاتِي تَقُولُ : لَا أُبْعِثُهَا إِلَّا أَنْ تَهْوَى ذَلِكَ ، وَأَقُولُ : لَا أُرِيدُ بِأَهْلِي بَدَلًا ؛ إِلَى أَنْ مَرَرْتُ يَوْمًا بِالرَّحْبَةِ وَهُوَ فِي مَنْظَرَةِ دَارِ مَرْوَانَ يَنْظُرُ ؛ فَأُرْسِلُ إِلَيَّ فِدْعَانِي ، فَوَجَدْتُهُ مِنْ وَرَاءِ كِلَّةٍ وَأَنَا لَا أَشْعُرُ بِهِ ، وَحَازِمٌ وَجَرِيرٌ جَالِسَانِ ؛ فَقَالَ لِي حَازِمٌ : الْأَمِيرُ يَرِيدُكَ ؛ فَقُلْتُ : لَا أُرِيدُ بِأَهْلِي بَدَلًا ؛ وَكُشِفَتِ الْكِلَّةُ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، فَارْتَعْتُ لِذَلِكَ فَقُلْتُ : آه ؛ فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ فَقُلْتُ :

سَمِعْتُ بِذِكْرِ النَّاسِ هِنْدًا فَلَمْ أَزَلْ أَخَا سَقَمٍ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى هِنْدٍ

قال : فَأَبْصَرْتُ مَاذَا ؟ وَيَحْكُ ! فَقُلْتُ :

فَأَبْصَرْتُ هِنْدًا حُرَّةً غَيْرَ أَنَّهَا تَصَدَّقُ لِقَتْلِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَمْدٍ

قَالَتْ : فَضَحَكْتُ حَتَّى اسْتَلَقَمِي ، وَأُرْسِلُ إِلَى مَوْلَاتِي لِيَتَاغَنِي ؛ فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ لَا أُبْعِثُهَا حَتَّى تَسْتَبِيعَنِي ؛ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أُسْتَبِيعُكَ أَبَدًا .

1 رَطَلُ شَعْرِهِ : لَيْتَهُ وَكَسَرَهُ وَمَشَطَهُ وَأُرْسَلَهُ .

[أرسل شعراً لقثم بن العباس يذكره بجارية كان يهواها]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا يونس بن عبد الله عن داود بن سلم قال : كنت يوماً جالساً مع قُثم بن العباس قبل أن يُملِكوا بفنائهم ، فمرت بنا جارية ، فأعجب بها قُثم وتمناها فلم يُمكنه ثمنها . فلما ولي قُثم اليمامة اشترى الجارية إنساناً يُقال له صالح . قال داود بن سلم : فكتبتُ إلى قُثم : [من مجزوء البسيط]

يا صاحبَ العيسِ ثم راكبها أبلغ إذا ما لقيته قُثماً
أنَّ الغزال الذي أجاز بنا مُعارضاً إذ توسَّط الحرّما
حوّله صالح فصار مع إلا نسر وخلى الوحوش والسَلما

قال : فأرسل قُثم في طلب الجارية ليشتريها ، فوجدها قد ماتت .

[وفد على حرب بن خالد ومدحه فأجازه]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الله بن محمد بن موسى بن طلحة قال حدثني زهير بن حسن مولى آل الربيع بن يونس : أن داود بن سلم خرج إلى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية ؛ فلما نزل به حطّ غلمانُه متاع داود وحلّوا عن راحلته ؛ فلما دخل عليه أنشأ يقول :

ولما دُفِعْتُ لأبوابهم ولاقيتُ حرباً لقيتُ النجاحا
وجدناه يحمده المجتدون ويأبى على العسر إلا سَماحا
ويُعشّون حتى يرى كلهم يهابُ الهَرير وينسى الثّباحا

قال : فأجازه بجائزة عظيمة ، ثم استأذنه في الخروج فأذن له وأعطاه ألف دينار . فلم يُعنه أحد من غلمانِه ولم يقوموا إليه ؛ فظنَّ أنَّ حرباً ساخطاً عليه ، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانِه ؛ فقال له : سلّمهم لِمَ فعلوا بك ذلك . قال : فسألهم ، فقالوا : إننا نُنزِل مَنْ جاءنا ولا نُرحِل مَنْ خرج عنا . قال : فسمع الغاضريّ حديثه فأتاه فحدثه فقال : أنا يهوديٌّ إن لم يكن الذي قال الغلمان أحسن من شعرك .

وذكر محمد بن داود بن الجراح أنَّ عمر بن شبة أنشده ابن عائشة لداود بن سلم ، فقال :

أحسنَ والله داود حيث يقول :

لَجِجْتُ من حبِّي في تقرّيه وعُمِيتُ عيناَي عن عيوبه
كذاك صرفُ الدَّهر في تقلّيه لا يلبثُ الحبيبُ عن حبيبهِ

أو يغفرَ الأعظمَ من ذنوبه

قال : وأتشدني أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شبيب لداود بن سلم قال : [من الطويل]

وما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ إلا ذكرُها	وأذكرُها في وقت كلِّ غروبِ
وأذكرُها ما بين ذاك وهذه	وبالليل أحلامي وعند هُبوبِ
وقد شَفَّنِي شوقِي وأبعدني الهوى	وأعيا الذي بي طِبُّ كلِّ طيبِ
وأعجَبُ أني لا أموتُ صَبَابَةً	وما كَمَدْتُ من عاشقٍ بعجيبِ
وكلُّ محبٍّ قد سلا غيرَ أنثي	غريبُ الهوى ، يا وَيْحَ كلِّ غريبِ
وكم لام فيها من أخٍ ذي نصيحة	فقلت له أقصر فغيرُ مُصيبِ
أتأمر إنساناً بفرقة قلبه	أتصلح أجسامَ بغير قلوبِ

[شعر له في مدح قثم بن العباس]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال :

كان داود بن سلم منقطعاً إلى قثم بن العباس ، وفيه يقول : [من السريع]

عَتَقْتُ من حِلِّي ومن رِحْلَتِي	يا ناقُ إن أَدْنَيْتَنِي من قُثْمٍ
إِنَّكَ إن أَدْنَيْتَ مِنْهُ غَدًا	حالفني اليسر ومات العدمُ
في وجهه بدرٌ وفي كَفِّهِ	بحرٌ وفي العرَّينِ مِنْهُ شَمَمٌ
أَصَمُّ عن قِيلِ الخنا سَمْعُهُ	وما عن الخير به من صَمَمٍ
لم يدِرِ ما «لا» و«بلى» قد دَرَى	فعافها واعتاضَ منها «نَعَمٌ»

قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شبة قال لي إسحاق : لنظم العمياء

في هذه الأبيات صنعةٌ عجبية ، وكانت تجيدها ما شاءت (إذا غنتها) .

[74] - أخبار دَحْمَان ونسبه¹

[كان مغنياً صالحاً مقبول الشهادة ملازماً للحج]

دَحْمَان لقبٌ لُقِّبَ به ، واسمه عبد الرحمن بن عمرو ، مَوْلَى بني لَيْث بن بكر بن عبد مناة بن كِنَانَةَ . وَيُكْنَى أبا عمرو ، ويقال له دَحْمَان الأشقر . قال إِسْحَاق : كان دَحْمَان مع شهرته بالغناء رجلاً صالحاً كثير الصلاة معدل الشهادة مُدْمِناً للحج ؛ وكان كثيراً ما يقول : ما رأيتُ باطلاً أشبه بحقٍّ من الغناء .

قال إِسْحَاق : وحدثني الزُّبَيْرِيُّ أَنَّ دَحْمَانَ شَهِدَ لرجلٍ عند عبد العزيز² بن المطلب [بن عبد الله] بن حَنْطَبٍ [المخزومي] ، وهو يلي القضاء لرجلٍ من أهل المدينة على رجلٍ من أهل العراق بشهادة ، فأجازها وعدَّله ؛ فقال له العراقي : إِنَّهُ دَحْمَان ؛ قال : أعرفه ، ولو لم أعرفه لسألتُ عنه ؛ قال : إِنَّهُ يَغْنِي ويعلم الجواري الغناء ؛ قال : غفر الله لنا ولك ، وأينا لا يتغنَّى ! اخرجُج إلى رجلٍ عن حقه .

[مدح أعشى سليم غناه]

وفي دحمان يقول أعشى بني سليم :

إذا ما هَزَجَ الوادِ يُّ أَوْ ثَقَّلَ دَحْمَانُ
سمعتَ الشَّدَوَ من هذا ومن هذا بميزانُ
فهذا سيِّدُ الإنس وهذا سيِّدُ الجانِ

وفيه يقول أيضاً :

كانوا فحولاً فصاروا عند حَلْبَتِهِمْ لما انبرى لهم دَحْمَانُ خِصِيَانَا
فأبلغوه عن الأعشى مقالته أعشى سليم أبي عمرو سليمانا
قولوا يقول أبو عمرو لصُحْبَتِهِ يا ليت دَحْمَانٌ قبل الموت غَنَانَا

[كان من تلاميذ معبد وأحد رواه]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيْدِلَانِي قال حدثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهدي أنه حدثه عن ابن جامع وزُبَيْر بن دَحْمَان جميعاً : أَنَّ دَحْمَانَ كان معدلاً مقبول الشهادة عند

1 انظر أخبار دحمان في نهاية الأرب 4 : 241-243 وفي التذكرة الحمدونية 9 : 24 .

2 ولي عبد العزيز قضاء المدينة في زمن المنصور ثم المهدي ، وولي قضاء مكة .

القضاة بالمدينة ، وكان أبو سعيد مولى فائد أيضاً ممن تُقبل شهادته . وكان دَحْمَان من رُواة مَعْبَد وغلماينه المتقدمين . قال : وكان معبد في أول أمره مقبول الشهادة ، فلما حضر الوليد بن يزيد وعاشره على تلك الهنات وغنى له سقطت عدالته ، [لا لأن شيئاً بأن عليه من دخول في محذور ، ولكن] ، لأنه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله .
[منزله في الغناء عند إبراهيم الموصلي]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال قال إسحاق : كان دحمان يُكنى أبا عمرو ، مولى بني ليث ، واسمه عبد الرحمن ، وكان يَخْضِبُ رأسه ولحيته بالحناء ؛ وهو من غلمان معبد . قال إسحاق : وكان أبي لا يضعه بحيث يضعه الناس ، ويقول : لو كان عبداً ما اشتريته على الغناء بأربعمائة درهم . وأشبهُ الناس به في الغناء ابنه عبد الله ، وكان يفضل الزبير ابنه تفضيلاً شديداً على عبد الله أخيه وعلى دَحْمَان [أبيه] .
[كان المهدي يجزل صلته]

أخبرني يحيى عن أبي أيوب عن أحمد بن المكي عن عبد الله بن دَحْمَان قال : رجع أبي من عند المهدي وفي حاصيله مائة ألف دينار . أخبرنا إسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال : بلغني أن المهدي أعطى دَحْمَان في ليلة واحدة خمسين ألف دينار ؛ وذلك أنه غنى في شعر الأخص :
[من الهزج]

قَطُوفُ المشي إِذْ تَمْشِي تَرَى فِي مَشْيِهَا خَرْقاً¹

فأعجبه وطرب ، واستخفَّ السرور حتى قال لدَحْمَان : سَلِّني ما شئت ؛ فقال : ضيعتان بالمدينة يقال لهما رَيَّان وغَالِب ؛ فأقطعه إياهما . فلما خرج التوقيع بذلك إلى أبي عبيد² الله وعمر بن بزيع راجعا المهدي فيه وقالوا : إن هاتين ضيعتان لم يملكهما قط إلا خليفة ، وقد استقطعهما ولأه العهود في أيام بني أمية فلم يَقْطَعُوها ؛ فقال : والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى ؛ فصولح عنهما على خمسين ألف دينار .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الوافر]

سَرَى ذَا الهمِّ بَلْ طَرَقَا فَبِتُّ مَسْهَداً قَلِقَا
كَذَاكَ الحُبُّ مِمَّا يُحِ لِدِثِ التَّسْهِيدِ والأَرْقَا

1 قَطُوفُ المشي : بطيته . وخَرْقاً : تحيراً ودهشاً .

2 هو أبو عبيد الله بن عبيد الله الأشعري الكاتب الوزير .

قُطُوفُ المَشْيِ إِذْ تَمْشِي تَرَى فِي مَشْيِهَا خَرَقًا
وَتُثْقِلُهَا عَجِيزَتُهَا إِذَا وَلَّتْ لَتَنْطَلِقَا

الشعر للأخوص . والغناء لدحمان ثقیلٌ أولٌ بالوسطى عن عمرو ؛ وذكر الهشامي أنه لابن سريج .

[سئل عن ثمن ردائه فأجاب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال : مرَّ دحمان المغني وعليه رداء جيد عذني ؛ فقال له مَنْ حضر : بكم اشتريت هذا يا أبا عمرو ؟ قال : [من مجزوء البسيط]

ب * ما ضرَّ جيراننا إذ انتجعوا *

نسبة هذا الصوت صوت

[من مجزوء البسيط]

ما ضرَّ جيراننا إذ انتجعوا¹ لو أنهم قبل بينهم ربعوا¹
أحموا على عاشق زيارته² فهو بهجران بينهم قطع²
وهو كأن الأيام خالطه³ وما به غير حبها ذرع³
كان لبنى صبير غادية⁴ أو دمية زينت بها البيع⁴
الله بيني وبين قيمها يقر عني بها وأتبع

[اشتري منه الوليد جارية وهو لا يعرفه فلما عرفه أرسل إليه وأكرمه]

أخبرني وكيع عن أبي أيوب المدني إجازة عن أبي محمد العامري الأوسي قال : كان دحمان جملاً يُكرى إلى المواضع ويتجر ، وكانت له مروة ؛ فبينما هو ذات يوم قد أكرى جماله وأخذ ماله إذ سمع رنة ، فقام وأتبع الصوت ، فإذا جارية قد خرجت تبكي ؛ فقال لها : أملكوك أنت ؟ قالت : نعم ؛ فقال : لمن ؟ فقالت : لامرأة من قریش ، وسمتها له ؛ فقال : أتبيعك ؟ قالت : نعم ، ودخلت إلى مولاتها فقالت : هذا إنسان يشتريني ؛ فقالت : ائذني له ، فدخل ، فسامها حتى استقر أمر الثمن بينهما على مائتي دينار ، فنقدها إياها وانصرف بالجارية . قال دحمان : فأقامت عندي مدة أطرح عليها ويطرح عليها معبد والأبجر

1 ربعوا : تمهلوا وانتظروا .

2 أحموا : حظروا ومنعوا . قطع : في الديوان قطع ص 85 .

3 في ل : ردع .

4 صبير : السحاب الأبيض الذي يصير بعضه فوق بعض درجاً . والغادية السحابة تنشأ غدوة .

ونظراؤهما من المغنين ؛ ثم خرجتُ بها بعد ذلك إلى الشام وقد حَدِّقْتُ ، وكنت لا أزال إذا
 نزلنا أنزل الأكرباء¹ ناحية ، وأنزل معتزلاً بها ناحية في مَحْمِلٍ وأطرح على المَحْمِلِ من أُعْيِيَّة²
 الجمالين ، وأجلس أنا وهي تحت ظلِّها ، فأخرج شيئاً فنأكله ، ونضع رِكْوَةً³ فيها لنا
 شراب ، فنشرب ونتغنى حتى نرحل . ولم نزل كذلك حتى قربنا من الشام . فبينما أنا ذات يوم
 نازل وأنا ألقى عليها لحنى :

صوت

لو رَدَّ ذو شَفَقٍ حِمَامَ مَنِيَّةٍ لرددتُ عن عبد العزيز حِمَامَا
 صَلَّى عليك الله من مستودِعٍ جاورتُ بوماً في القبور وهاماً⁴

الشعر لكثير⁵ يرثي عبد العزيز بن مروان . وزعم بعضُ الرواة أنَّ هذا الشعر ليس لكثير
 وإنَّه لعبد الصمد بن علي الهشامي يرثي ابناً له . والغناء لدَحْمَانَ ، ولحنه من الثقيل الأول
 بالخنصر في مجرى البِنْصَر .

قال : فرددته عليها حتى أخذته واندفعتُ تغنيه ، فإذا أنا براكب قد طلعَ فسَلَّم علينا فرددنا
 عليه السلام ؛ فقال : أتأذنون لي أن أنزل تحت ظلِّكم هذا ساعة ؟ قلنا نعم ، فنزل ؛ وعرضتُ عليه
 طعامنا وشرابنا فأجاب ، فقدمنا إليه السُّفْرَةَ فأكل وشرب معنا ، واستعاد الصوت مراراً . ثم قال
 للجارية : اتغنين لدَحْمَانَ شيئاً ؟ قالت نعم . قال : فغنته أصواتاً من صنعتي ، وغمرتُها ألا تُعرفه
 أنِّي دَحْمَان ؛ فطرب وامتلاً سروراً وشرب أقداحاً والجارية تُغنيه حتى قُرب وقتُ الرحيل ؛
 فأقبل علي وقال : أتبيعي هذه الجارية ؟ فقلت نعم ؛ قال : بكم ؟ قلت كالعابث : بعشرة آلاف
 دينار ؛ قال : قد أخذتها بها ، فهلُمَّ دَوَاةً وقِرْطاساً ، فجننته بذلك ؛ فكتب : « ادفعْ إلى حامل كتابي
 هذا حينَ تَقْرؤه عشرة آلاف دينار ، واستوص به خيراً وأعلمني بمكانه » وختَم الكتاب ودفعه
 إلي ؛ ثم قال : أدفعْ إلي الجارية أم تَمْضِي بها معك حتى تقبضَ مالك ؟ فقلت : بل أدفعها إليك ؛
 فحملها وقال : إذا جئتَ البَخْرَاءَ⁶ فسَلِّ عن فلان وادفعْ كتابي هذا إليه واقبضْ منه مالك ؛ ثم
 انصرف بالجارية . قال : ومضيتُ ، فلما وردتُ البَخْرَاءَ سألت عن اسم الرجل ، فذُلتُ عليه ،

1 الأكرباء : جمع كرى وهو المكاري .

2 الأعبيّة : جمع عباء وهو ضرب من الأكسية .

3 الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء وفي ل : زكرة .

4 الهام : طير الليل وهو الصدى ، واحده هامة .

5 نُسب هذا الشعر في تجريد الأغاني لإسماعيل بن يسار .

6 البخرَاء : أرض وماءة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

فإذا داره دارُ مُلك ، فدخلتُ عليه ودفعتُ إليه الكتابَ ، فقبله ووضعهُ على عينيه ، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إليّ ، وقال : هذا كتابُ أمير المؤمنين ، وقال لي : اجلس حتى أعلمُ أمير المؤمنين بك ؛ فقلتُ له : حيثُ كنتُ فأنَا عبدُك وبين يديك ، وقد كان أمرُ لي بأنزال¹ وكان بخيلاً ، فاغتنمتُ ذلك فارتحلتُ ؛ وقد كنتُ أصيبتُ بجملين ، وكانتُ عدّةُ أجمالي خمسةَ عشرَ فصارتُ ثلاثةَ عشرَ . قال : وسألَ عني الوليدُ ، فلم يذرِ القَهْرمانُ أين يطُلبني ؛ فقال له الوليد : عدّةُ جماله خمسةَ عشرَ جملاً فأردّدهُ إليّ ؛ فلم أوجَد ، لأنّه لم يكن في الرُقّة من معه خمسةَ عشرَ جملاً ، ولم يَعْرِف اسمي فيسألَ عني . قال : وأقامتُ الجارية عنده شهراً لا يسألُ عنها ، ثم دعاها بعد أن استبرئت² وأصلح من شأنها ، فظلَّ معها يومه ، حتى إذا كان في آخر نهاره قال لها : غنّيني لدَحْمان فغنّت ؛ وقال لها : زبديني فزادت . ثم أقبلت عليه فقالت : يا أمير المؤمنين ، أوَمَا سمعتَ غناء دَحْمان منه ؟ قال لا ؛ قالت : بلى والله ؛ قال : أقول لك لا ، فتقولين بلى والله ؛ فقالت : بلى والله لقد سمعته ؛ قال : وما ذاك ؟ وَيَحْلِك ! قالت : إنّ الرجل الذي اشتريتنِي منه هو دَحْمان ؛ قال : أوذلك هو ؟ قالت : نعم ، هو هو ؛ قال : فكيف لم أعلم ؟ قالت : غمزني بالآء أعلمك . فأمر فكتب إلى عامل المدينة بأن يُحمل إليه دَحْمان ، فحُمِل فلم يزل عنده أثيراً³ .

[دحمان في مجلس أمير من أمراء المدينة]

أخبرني محمد بن مَزِيد بن أَبِي الأَزهَر قال حَدَّثَنَا حَمَاد بن إِسْحاق عن أَبِيهِ قال حَدَّثَنَا ابن جَامِع قال : تذاكروا يوماً كَبِير الأَيُور بحضرة بعض أمراء المدينة فاطالوا القول ؛ ثم قال بعضهم : إنّما يكون كَبِير أُرِ الرجل على قَدَرٍ حِرٍّ أمّه ؛ فالتفتُ الأميرُ إلى دَحْمان فقال : يا دَحْمان ، كيف أُرِك ؟ فقال له : أيّها الأمير ، أنت لم تُرد أن تعرف كَبِير أيري ، وإنّما أردت أن تعرف مقدار حِرٍّ أُمِّي . وكان دَحْمان طيباً ظريفاً .

[ظرفه وفكاهة له مع رجل شتمه]

أخبرني إسماعيل بن يُونس قال حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي إِسْحاق قال : أوّل ما عُرِف من ظَرْف دَحْمان أن رجلاً مرَّ به يوماً ، فقال له : أُر حماري في حِرٍّ أَمَلَك يا دُحيم ؛ فلم يفهم ما قاله ، وفهمه رجل كان حاضراً معه فضحك ؛ فقال : ممَّ ضحكت ؟ فلم يُخبره ؛ فقال له : أقسمتُ عليك إلّا أخبرتني ؛ قال : إنّه شتمك فلا أُحبّ استقبالك بما قاله لك ؛ فقال : والله لتخبرني كائنًا ما كان ؛ فقال له : قال : كذا وكذا من حماري في حِرٍّ أَمَلَك ؛ فضحك ثم قال :

1 الأنزال جمع نُزُل ، وهو ما هيء للضيف أن ينزل عليه .

2 استبراء الرجل الجارية : ألاّ يمسّها بعد ملكها حتى تبرأ رحمها ويتبين حالها أهي حامل أم لا .

3 الأثير : المكروم .

أعجبُ والله وأغلظ عليَّ من شتمه كِنائتُك عن أُر حماره وتصريحُك بحِر أُمِّي لا تَكُنِي .
[جعفر بن سليمان أمير المدينة والمغنون]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو خالد يزيد بن محمد المهلب قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثنا عبد الله بن الربيع المدني قال حدثني الربيعي المغني قال : قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة : اغدُوا على قصري بالعقيق غدا ؛ وكنت أنا ودحمان وعطرد ، فغدوت للموعد ، فبدأت بمنزل دحمان وهو في جهينة¹ ، فإذا هو وعطرد قد اجتمعا على قدر يطبخانها ، وإذا هما عزما على الصبوح والسماء تبغش² ، فأذكرتهما الموعد ، فقالا : أما ترى يومنا هذا ما أطيبه ! اجلس حتى نأكل من هذه القدر ونصيب شيئا ونستمتع من هذا اليوم ؛ فقال : ما كنت لأفعل مع ما تقدم الأمير به إليّ ؛ فقالا لي : كأننا بالأمر قد انحل عزمه ، وأخذك المطر إلى أن تبلغ ، ثم ترجع إلينا مبتلا فتقرع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذ . قال : فلم ألتفت إلى قولهما ومضيت ، وإذا جعفر مشرف من قصره والمضارب تضرب ، والقدر تنصب ؛ فلما كنت بحيث يسمع تغنيت :
[من الطويل]

وأستصحبُ الأصحابَ حتى إذا ونوا وملوا من الإذلاج جئتكم وحدي

قال : وما ذاك ؟ فأخبرته ؛ فقال : يا غلام ، هات مائتي دينار أو أربعمائة دينار الشك من إسحاق الموصلي فانثرها في حجر الربيعي ، اذهب الآن فلا تحل لها عقدة حتى تريهما إياها ؛ فقلت : وما في يدي من ذلك ؟ يأتيانك غدا فتلحقهما بي ؛ قال : ما كنت لأفعل ؛ قلت : فلا أمضي حتى تحلف لي أنك لا تفعل ، فحلف . فمضيت إليهما ، فقرعت الباب فصاحا وقالا : ألم نقل لك إن هذه تكون حالك ؛ فقلت : كلا فأريتهما الدنانير ؛ فقالا : إن الأمير لحبي كريم ، ونأتيه غدا إن شاء الله تعالى فنعتذر إليه فيدعوه كرمه إلى أن يلحقنا بك ؛ فقلت : كذبتكما أنفسكما ، والله إنني قد أحكمت الأمر ووكدت عليه الأيمان ألا يفعل ؛ فقالا : لا وصلتك رجم .

[غنى هو وابن جندب بالعقيق]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن منصور بن أبي مزاحم قال أخبرني عبد العزيز بن الماجشون قال : صلينا يوماً الصبح بالمدينة ، فقال قوم : قد سال العقيق ، فخرجنا من المسجد مبادرين إلى العقيق ، فانتهينا إلى العرصة³ ، فإذا من وراء الوادي قبالتنا دحمان

1 جهينة : قرية من نواحي الموصل على دجلة .

2 يغشت السماء : أمطرت البغشة وهي المطرة الضعيفة .

3 العرصة : بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

المغني وابن جندب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتاً وهو : [من الخفيف]
 أَسْكُنُ الْبَدْوَ مَا سَكَنْتَ بَيْدِي فَإِذَا مَا حَضَرَتْ طَابَ الْحَضُورُ
 وإذا أَطِيبُ صَوْتٍ فِي الدُّنْيَا . قَالَ : وَكَانَ أَخِي يَكْرَهُ السَّمَاعَ ؛ فَلَمَّا سَمِعَهُ طَرِبَ طَرِباً شَدِيداً
 وَتَحَرَّكَ ؛ وَكَانَ لَغْنَاءَ دَحْمَانَ أَشَدَّ اسْتِحْسَاناً وَحَرَكَةً وَارْتِياحاً ؛ فَقَالَ لِي : يَا أَخِي ، اسْمَعْ إِلَى غِنَاءِ
 دَحْمَانَ ، وَاللَّهِ لَكَأَنَّهُ يَسْكُبُ عَلَى الْمَاءِ زَيْتاً .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

أَوْحَشَ الْجُبْدَانِ فَالْدَّيْرُ مِنْهَا فَقَرَّاهَا فَالْمَنْزَلُ الْمَحْظُورُ¹
 أَسْكُنُ الْبَدْوَ مَا أَقَمْتُ بَيْدِي فَإِذَا مَا حَضَرَتْ طَابَ الْحَضُورُ
 أَيُّ عَيْشٍ أَلَذُّهُ لَسْتُ فِيهِ أَوْ تُرَى نِعْمَةٌ بِهِ وَسُرُورُ
 الشَّعْرَ لِحْسَانِ بْنِ ثَابِتٍ . وَالْغِنَاءُ لِابْنِ مِسْجَحٍ رَمَلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ .
 [دحمان والفضل بن يحيى]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ بْنِ الْمَرْزَبَانِ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ
 الْبَصْرِيِّ قَالَ : قَالَ دَحْمَانُ : دَخَلْتُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى ذَاتَ يَوْمٍ ؛ فَلَمَّا جَلَسْنَا ، قَامَ وَأَوَمَّ
 إِلَيَّ فَقَمْتُ ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَمَضَى بِي إِلَى مَنْظَرَةٍ لَهُ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلْنَا ، ثُمَّ صَبَرْنَا
 إِلَى الشَّرَابِ ؛ فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ حِجَازِيَّةٌ تَغْنِي : [من مجزوء الرمل]

أَهْجُرْنِي أَوْ صِلْنِي كَيْفَمَا شِئْتَ فَكُونِي

أَنْتِ وَاللَّهُ تُحِبِّي سَنِي وَإِنْ لَمْ تُخْبِرْنِي

فَطَرِبَ وَقَالَ : أَحْسَنْتِ ! أَدْخِلِي فِدَخْلَتِي ، فَأَمْرٌ بِطَعَامٍ فَقَدَّمْتُ إِلَيْهَا فَأَكَلَتْ ، وَسَقَاهَا
 أَقْدَاحاً ، وَسَأَلَهَا عَنْ مَوَالِيهَا فَأَخْبَرَتْهُ ؛ فَبَعَثَ فَاشْتَرَاهَا ، فَوَجَدَهَا مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ غِنَاءً
 وَأَطْيَبِهِمْ صَوْتاً وَأَمْلَحِهِمْ² طَبْعاً ؛ فَغَلَبَتْني عَلَيْهِ مَدَّةٌ وَتَنَاسَانِي ؛ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ : [من السريع]

أَخْرَجْتَ السَّوْدَاءَ مَا كَانَ فِي قَلْبِكَ لِي مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ

فَإِنْ يَدُكَ ذَا مِنْكَ لَا دَامَ لِي مَتُّ مِنَ الْإِعْرَاضِ وَالْكَرْبِ

قَالَ : فَلَمَّا قَرَأَ الرَّفْعَةَ ضَحِكَ ، وَبَعَثَ فِدَعَانِي وَوَصَلَنِي ، وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأُنْسِ .

1 الجنبذ : معرَّب كنبذ بالفارسيَّة ، ومعناه : الأزعج المدور كالقبة . وهو مكان بعينه .

2 في ل : وأصلحهم .

قال مؤلف هذا الكتاب : هكذا أخبرنا ابنُ المَرْزُبَانُ بهذا الخبر ، وأظنه غلطاً ؛ لأنَّ دَحْمَانَ لم يُدْرِك خلافةَ الرشيد ، وإنما أدركها ابنه زُبَيْر وعبد الله ؛ فإمّا أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى .

[وَمَا فِي الْمِائَةِ الْمُخْتَارَةِ مِنْ صِنْعَةِ دَحْمَانَ]

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من الطويل]

وإني لآتي البيتَ ما إن أُحِبُّهُ وأكثرُ هجرَ البيت وهو حبيبُ
وأغضبي على أشياءٍ منكم تسوءني وأدعني إلى ما سرّكم فأجيبُ
وأحسّ عنك النفسَ والنفسُ صَبَّةٌ بقرْبِكَ والممشى إليك قريبُ

الشعر للأخوص . والغناء لدَحْمَانَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ . وقد تقدّمت أخبارُ الأخوص ودَحْمَانَ فيما مضى من الكتاب .

صوت

من المائة المختارة

[من الرمل]

حيّيا خَوْلَةً مُني بالسلام دُرَّةَ البحرِ ومِصْبَاحَ الظلام¹
لا يَكُنْ وَعْدُكَ بَرْقاً خُلْباً كاذباً يلمع في عُرْضِ الغمام²
واذكرني الوعدَ الذي واعدتنا ليلةَ النصف من الشهر الحرامِ

الشعر لأعشى هَمْدَانَ . والغناء لأحمد النَّصْبِي ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البصر . وعروضه من الرَّمَل . والخَلْبُ من البرق : الذي لا غيث معه ولا يُتَنَفَّعُ بسحابه . وتَضَرَّبُ المثلُّ به العربُ لَمَنْ أَخْلَفَ وَعْدَهُ ؛ قال الشاعر : [من الرمل]

لا يَكُنْ وَعْدُكَ بَرْقاً خُلْباً إِنَّ خَيْرَ البرقِ ما الغيثُ مَعَهُ

وعرض السحابة : الناحية منها .

1 في الديوان : خولة ، ص 339 .

2 في الديوان «أو تكوني مثل برق . خَلْبٌ : خادع ، ص 339 .

[75] - أخبار أعشى همدان ونسبه¹

[نسبه]

اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جُشَم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحر بن جُشَم بن حاشد بن جُشَم بن خَيْرَان بن نَوْف بن همدان بن مالك بن زيد بن نزار بن أوسيلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ويكنى أبا المصَّبَح ، شاعرٌ فصيح ، كوفيٌّ ، من شعراء الدولة الأموية . وكان زوجُ أخت الشَّعبيِّ الفقيه ، والشَّعبيُّ زوجُ أخته . وكان أحدَ الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعرَ ، وأخيه أحمد النَّصبي بالعشيرة² والبلديَّة ، فكان إذا قال شعراً غنى فيه أحمدُ . وخرج مع ابن الأشعث ، فأتى به الحجاجُ أسيراً في الأسرى ، فقتله صبراً .

[قصَّ رواه على صهره الشَّعبي]

أخبرني بما أذكره من جملة أخباره الحسنُ بن عليِّ الخفاف قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزي عن محمد بن معاوية الأسديُّ أنَّه أخذ أخباره هذه عن ابن كُناسة عن الهيثم بن عديِّ عن حماد الراوية وعن غيرهم من رُواة الكوفيين . قال حدثنا عمر بن شبة وأبو هفان جميعاً عن إسحاق الموصلي عن الهيثم بن عديِّ عن عبد الله بن عيَّاش الهمداني . قال العنزي : وأخذت بعضها من رواية مسعود بن بشر عن الأصمعي . وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرته مفرداً .

أخبرني المهلبُ أبو أحمد حبيب بن نصر وعليُّ بن صالح قالوا حدثنا عمر بن شبة وأبو هفان جميعاً عن إسحاق الموصلي عن الهيثم بن عديِّ عن عبد الله بن عيَّاش الهمداني قال : كان الشَّعبيُّ عامرُ بنُ شراحيل زوجُ أخت أعشى همدان ، وكان أعشى همدان زوجُ أخت الشَّعبيِّ ، فأتاه أعشى همدان يوماً ، وكان أحدَ القراء للقرآن ، فقال له : إني رأيتُ كأنِّي أدخلتُ بيتاً فيه حنطة وشعير ، وقيل لي : خذ أيَّهما شئتَ ، فأخذتُ الشعيرَ ؛ فقال : إن صدقتُ رؤياك تركتُ القرآنَ وقراءته وقلتُ الشعرَ ؛ كأنَّ كما قال .

[أَسْر في الدَّيْلَم فَأُجِيتْ ابنة الأمير وهربت معه]

أخبرني الحسن بن عليِّ قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزي عن محمد بن معاوية الأسدي عن

1 انظر أخبار أعشى همدان في العقد 3 : 208 وزهر الآداب : 620 وبهجة المجالس 1 : 348 ونهاية الأرب 3 : 83 والتذكرة الحمدونية 3 : 120 ، 4 : 215 ، 231 ، 5 : 203 ، 7 : 373 ، 8 : 179 ، 318 .

2 العشيرة : نسبة إلى العشير أو العشيرة .

ابن كُناسة ، قال العَنَزِيّ وَحَدَّثَنِي مَسْعُودُ بْنُ بِشْرٍ عَنْ أَبِي عُبيدة والأَصْمَعِيّ قَالَا ، وَافَقَ رَوَايَتَهُمُ الْهَيْثُمُ بْنُ عَدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ الرَّاوِيَةِ قَالَ : كَانَ أَعْشَى هَمْدَانَ أَبُو الْمُصَبِّحِ مِمَّنْ أَغْزَاهُ الْحَجَّاجُ بِلَدِ الدَّيْلَمِ وَنَوَاحِي دَسْتَبَى¹ ، فَأَسِرَ ، فَلَمْ يَزَلْ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الدَّيْلَمِ² مَدَّةً . ثُمَّ إِنَّ بَنَاتًا لِلْعُلُجِ الَّذِي أُسْرَهُ هَوَيْتَهُ ، وَصَارَتْ إِلَيْهِ لَيْلًا فَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ وَاقَعَهَا ثَمَانِي مَرَّاتٍ ؛ فَقَالَتْ لَهُ الدَّيْلَمِيَّةُ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَهَكَذَا تَفْعَلُونَ بِنِسَائِكُمْ ؟ فَقَالَ لَهَا : هَكَذَا نَفْعَلُ كُلَّنَا ؛ فَقُلْتُ لَهُ : بِهَذَا الْعَمَلِ نَصَرْتُمْ ؛ أَفَرَأَيْتَ إِنْ خَلَصْتُكَ ، أَتَصْطَفِينِي لِنَفْسِكَ ؟ فَقَالَ لَهَا نَعَمْ ، وَعَاهَدَهَا . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ حَلَّتْ قِيودَهُ وَأَخَذَتْ بِهِ طُرْقًا تَعْرِفُهَا حَتَّى خَلَصَتْهُ⁴ وَهَرَبَتْ مَعَهُ . فَقَالَ شَاعِرٌ مِنْ أُسْرَى الْمُسْلِمِينَ :

فَمَنْ كَانَ يَفْدِيهِ مِنَ الْأَسْرِ مَالَهُ فَهَمْدَانُ تَقْدِيهَا الْغَدَاةُ أُبْرُهَُا

وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أسر الديلم :

[من الكامل]

صوت

لَمَنْ الظَّعَائِنُ سِيرُهُنَّ تَرْجُفُ عَوَمَ السَّقَيْنِ إِذَا تَقَاعَسَ مِجْدَفُ⁵
مَرَّتْ بِذِي خُشْبٍ كَانَ حُمُولُهَا نَخْلٌ يَيْشِرِبَ طَلْعُهُ مُتَضَعَفُ⁶

غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَحْمَدُ النَّصْبِيُّ ، وَلَحْنُهُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو وَابْنِ الْمَكِّيِّ . وَفِيهِمَا لِحْمَدُ الزَّفِّ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو : [من الرجز]

عُولَيْنَ دِبَاجًا وَفَاخَرَ سُنْدُسٍ وَبَخَزَ أَكْسِيَةَ الْعِرَاقِ تُحَفَّفُ
وَعَدَتْ بِهِمْ يَوْمَ الْفِرَاقِ عَرَامِسُ⁷ قَتْلُ الْمَرَاثِقِ بِالْهُوَادِجِ دُلْفُ⁷
بَانَ الْخَلِيطُ وَفَاتَنِي بِرَحِيلِهِ خَوْدٌ إِذَا ذُكِرْتَ لِقَلْبِكَ يُشْغَفُ⁸
تَجْلُو بِمَسْوَكِ الْأَرَاكِ مُنْظَمًا عَذْبًا إِذَا ضَحَكَتْ تَهَلَّلَ يَنْطَفُ

1 دَسْتَبَى : كَوْرَةٌ كَانَتْ مَقْسُومَةً بَيْنَ الرِّيِّ وَهَمْدَانَ .

2 فِي ل : بِلَدِ .

3 فِي ل : مَعَاشِرَ .

4 فِي ل : تَخَلَّصَتْهُ .

5 التَّرْجَفُ : الْاضْطِرَابُ الشَّدِيدُ . فِي ل : يُجْدَفُ .

6 ذُو خُشْبٍ : وَادٍ عَلَى مَسِيرَةِ لَيْلَةٍ فِي الْمَدِينَةِ . مُتَضَعَفٌ فِي ل : مُتَعَطِّفٌ وَفِي الدِّيَوَانِ أَيْضًا ص 334 .

7 الْعَرَامِسُ : جَمْعُ عَرْمَسٍ وَهِيَ النَّاقَةُ الصَّلْبَةُ . دُلْفُ : جَمْعُ دَالْفٍ وَهُوَ الْمَاشِي بِالْحِمْلِ الثَّقِيلِ مَقَارِبًا لِلْخَطْوِ .

8 يُشْغَفُ : فِي ل : تُشْغَفُ .

وَكأنَّ رِيقَتَهَا عَلَى عِلَلِ الْكَرَى
وَكأنَّمَا نَظَرْتُ بَعِينِي ظَلِيَّةً
وَإِذَا تَنَوَّءَ إِلَى الْقِيَامِ تَدَاغَعْتُ
ثَقُلْتُ رَوَادِفُهَا وَمَالَ بَخْصَرُهَا
وَلَهَا ذِرَاعَا بَكْرَةٍ رَحِيَّةً
وَعَوَارِضُ مَصْقُولَةٍ وَتَرَائِبُ
وَلَهَا بَهَاءٌ فِي النِّسَاءِ وَبَهْجَةٌ
تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ هَوَايَ وَحَاجَتِي
وَإِذَا تُصَيِّكُ مِنَ الْحَوَادِثِ نَكْبَةً
وَلَكِنْ بَكَيْتُ مِنَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً
عَجَبًا مِنَ الْأَيَّامِ كَيْفَ تَصَرَّفْتُ
أَصْبَحْتُ رَهْنًا لِلْعُدَاةِ مَكْبَلًا
بَيْنَ الْقَلَيْسِمِ فَالْقَيْوُولِ فَحَامِنِ

هذه أسماء مواضع من بلد الدَّيْلِمِ تَكْنَفَتْهُ الهموم بها .

فَجِبَالُ وِيْمَةٍ مَا تَزَالُ مُنِيفَةً
وِيْمَةٍ وَشَلْبَةٍ : نَاحِيَتَانِ مِنْ نَوَاحِي الرِّيِّ .
وَلَقَدْ أَرَانِي قَبْلَ ذَلِكَ نَاعِمًا
وَاسْتَنْكَرْتُ سَاقِي الْوَثَاقِ وَسَاعِدِي
وَلَقَدْ تُضَرَّسُنِي الْحُرُوبُ . وَإِنِّي
أُتَسْرِيلُ اللَّيْلِ الْبَهِيمَ وَأُتَسْرِى

يَا لَيْتَ أَنَّ جِبَالَ وِيْمَةٍ تُنْسَفُ
جَذْلَانِ آبَى أَنْ أَضَامَ وَآفُ
وَأَنَا امْرُؤٌ بِأَدْيِ الْأَشَاجِعِ أُعْجَفُ⁵
أَلْفَى بِكُلِّ مَخَافَةٍ أُتْعَسَفُ
فِي الْخَبْتِ إِذْ لَا يَسْتُرُونَ وَأَوْجِفُ⁶

1 القلال : جمع قلة وهي الجرة العظيمة ، وقيل الكوز الصغير . القرقف : الخمر .

2 طرقت المرأة بناتها : خضب أطراف أصابعها بالحناء .

3 مخطف : ضامر .

4 فالقيول فحامن في ل : فالقيول فحازر .

5 الأشاجع : أصول الأصابع أو عروق الكف .

6 يسترون في الديوان : وأشتدي يشتدون ص 335 .

ما إن أزال مقنّعاً أو حاسراً سلفَ الكتيبة والكتيبةُ وقِفُ
فأصابني قومٌ فكنتُ أُصيبهم فالآن أصيرُ للزمانِ وأُعرفُ
إنِّي لَطَلَّابُ التَّراتِ مَطْلَبُ وبكلِّ أسبابِ المنيّةِ أُشرفُ
باقٍ على الحِداثِ غيرُ مكذِبُ لا كاسفٌ بالي ولا متأسفُ
إن نلتُ لم أفرح بشيءٍ نلتُهُ وإذا سُبِقْتُ به فلا أتلهفُ
إنِّي لأحمي في المضيقِ فوارسي وأكرّرُ خَلْفَ المُستضافِ وأعطفُ¹
وأشدُّ إذ يكبو الجبانُ وأصْطلي حرَّ الأسنّةِ والأسنّةُ تُرْعَفُ²

صوت

فلئن أصابتني الحروبُ فربّما أدعى إذا منع الرّدافُ فاردِفُ
ولربّما يروى بكفي لهذمٌ ماض ومطرِدُ الكعوبِ مُثَقَّفُ³
وأغير غاراتٍ وأشهدَ مشهداً قلبُ الجبانِ به يطيرُ ويرجفُ
وأرى مغانمَ لو أشاء حويتُها فيصدّني عنها غنى وتَعَفُّفُ
غنى في هذه الأبياتِ دَحْمَانُ ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالنصرِ عن الهشامي . قال الهشامي :
فيها لملكٍ خفيفٌ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، وواقفه في هذا ابن المكي .
[خرج مع جيش الحجاج إلى مكران فمرض وقال شعراً]

قالوا جميعاً : ثم ضُربَ البعثُ على جيش أهل الكوفة إلى مُكران⁴ ، فأخرجه الحجاج معهم ، فخرج إليها وطال مُقامه بها ومرض ، فاجتواها وقال في ذلك ، وأنشدني بعض هذه القصيدة اليزيدي عن سليمان بن أبي شيخ :

طلبت الصِّبا إذ علا المكبرُ وشاب القَذال وما تقصُرُ
وبانَ الشبابُ ولذاته ومثلُك في الجهل لا يُعذرُ
وقال العواذل هل ينتهي فيقدّعه الشيبُ أو يُقصرُ⁵

1 المستضاف : من يفرع إليه غيره ويلتجىء به ، يريد به الكميّ الشجاع وفي الديوان : المستضاف ص 336 .

2 يكبو في ل : يبنو .

3 مطرد الكعوب : الرمح ، واطراد كعوبه : تتابعها .

4 مُكران : ولاية واسعة بين كرمان غرباً وسجستان شمالاً والبحر جنوباً والهند شرقاً .

5 يقده : يكفه .

وفي أربعين تَوَفَّيْتُهَا
وموعظةً لامرئٍ حازمٍ
فلا تأسفنَّ على ما مضى
فإنَّ الحوادثَ تُبلي الفتى
فيوماً يُساء بما نابَه
وَمِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَلْقَى الفتى
كَأَنِّي لَمْ أَرْتَحِلْ جَسْرَةً
فَأَجْشِمَهَا كُلَّ دَيْمُومَةٍ
ولم أَشْهَدِ البأسَ يَوْمَ الوَغَى
ولم أَخْرِقِ الصَّفَّ حَتَّى تَمِ
وتَحْتِيَ جَرْدَاءُ خَيْفَانَةً
أَطَاعِنُ بِالرَّحِمِ حَتَّى اللَّبَا
وما كنتُ في الحربِ إِذْ شَمَّرْتُ
ولكنِّي كنتُ ذَا مَرَّةٍ
أُجِيبُ الصَّرِيخَ إِذَا مَا دَعَا
فإنَّ أُمْسِرَ قَدْ لَاحَ فِي الْمَشِي
رَحَاءٍ مِنَ الْعَيْشِ كُنَّا بِهِ
وَإِذَا أَنَا فِي عُنْفَوَانِ الشَّبَا
أَصِيدُ الْحَسَانَ وَيَصْطَلِدُنِي
وبيضاءٍ مِثْلُ مَهَاةِ الْكَثِي
كَأَنَّ مَقْلَدَهَا إِذْ بَدَا

وعَشْرٌ مَضَتْ لِي مُسْتَبْصِرٌ
إِذَا كَانَ يَسْمَعُ أَوْ يُصِيرُ
وَلَا يَحْزَنْنَكَ مَا يُذِيرُ
وإنَّ الزَّمانَ بِهِ يَعُشُرُ
ويوماً يُسَرِّ قَيْسْتَبْشُرُ
وَيُعْنِي لَهُ مِنْهُ مَا يُقْدَرُ
ولم أَجْفِهَا بَعْدَ مَا تَضْمُرُ¹
وَيَعْرِفُهَا الْبَلَدُ الْمُقْفَرُ²
عَلَى الْمُفَاضَةِ وَالْمِغْفَرِ³
لِ دَارِعَةِ الْقَوْمِ وَالْحُسْرِ⁴
مِنَ الْخَيْلِ أَوْ سَابِغٍ مُجْفَرُ
نُ يَجْرِي بِهِ الْعَلَقُ الْأَحْمَرُ
كَمَنْ لَا يُذِيبُ وَلَا يُخْتِرُ
عَطُوفاً إِذَا هَتَفَ الْمُحْجَرُ
وَعِنْدَ الْهِجَاجِ أَنَا الْمِسْعَرُ
بُ أُمُّ الْبَيْنِ ، فَقَدْ أَذْكَرُ
إِذِ الدَّهْرِ خَالٍ لَنَا مُصْجِرُ
بُ يُعْجِبُنِي اللَّهُو وَالسُّمَرُ
وَتَعْجِبُنِي الْكَاعِبُ الْمُعْصِرُ
بُ لَا عَيْبَ فِيهَا لَمَنْ يَنْظُرُ
بِهِ الدُّرُّ وَالشَّدْرُ وَالْجَوْهَرُ⁵

1 الجسرة : الناقة العظيمة الطويلة . أجفاها : أتعها .

2 الديمومة : القلاة الواسعة .

3 المفاضة : الدرع الواسعة ، المغفر : زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة للوقاية به .

4 الدارعة : الفرقة اللابسة الدروع .

5 الشدر : اللؤلؤ الصغير ؛ وقيل خرز يفصل به بين الجواهر في النظم ؛ أو هو قطع من الذهب تُلَقَط من معدنه دون إذابة الحجارة .

مُقَلَّدُ أَذْمَاءِ نَجْدِيَّةٍ يَعْنُ لَهَا شَادِنٌ أَحْوَرُ¹
كَأَنَّ جَنَى النَحْلِ وَالزَّنَجِييَ لَ وَالْفَارَسِيَّةَ إِذْ تُعْصَرُ²
يُصَبِّ عَلَى بَرْدِ أَنْيَابِهَا مُخَالِطُهُ الْمَسْكَ وَالْعَنْبَرُ
إِذَا انْصَرَفَتْ وَتَلَوْتُ بِهَا رِقَاقُ الْمَجَاسِدِ وَالْمِثْرُ³
وَعَصَّ السَّوَارُ وَجَالَ الْوِشَاحُ عَلَى عُكْنِ خَصْرُهَا مُضْمَرُ
وَضَاقَ عَنِ السَّاقِ خَلْخَالُهَا فَكَادَ مُخَدَّمُهَا يَنْدُرُ⁴
فَتَوَرَّ الْقِيَامُ رَحِيمُ الْكَلَا مَ يُفْزِعُهَا الصَّوْتُ إِذْ تَزْجَرُ
وَتُنَمَّى إِلَى حَسَبِ شَامَخٍ فَلَيْسَتْ تُكَذِّبُ إِذْ تَفْخَرُ
فَتَلِكُ الَّتِي شَفَنِي حُبُّهَا وَحَمَلَنِي فَوْقَ مَا أَقْدِرُ
فَلَا تَعْدِلَانِي فِي حُبِّهَا فَإِنِّي بِمَعْدَرَةِ أَجْدَرُ
ومن ها هنا رواية اليزيدي :

وَقَوْلَا لَذِي طَرَبَ عَاشِقٍ : أَشْطُ الْمَزَارِ بِمَنْ تَذَكَّرُ ؟
بِكُوفِيَّةٍ أَصْلُهَا بِالْفُرَا تَ تَبْدُو هُنَاكَ أَوْ تَحْضُرُ
وَأَنْتَ تَسِيرُ إِلَى مُكَّارٍ فَقَدْ شَحَطَ الْوَرْدُ وَالْمَصْدَرُ
وَلَمْ تَكْ مِنْ حَاجَتِي مُكَارٍ وَلَا الْغَزْوُ فِيهَا وَلَا الْمَتَجَرُ
وَحَبِرْتُ عَنْهَا وَلَمْ آتِهَا فَمَا زِلْتُ مِنْ ذِكْرِهَا أَذْعُرُ
بِأَنَّ الْكَثِيرَ بِهَا جَائِعٌ وَأَنَّ الْقَلِيلَ بِهَا مُقْتَرُ
وَأَنَّ لِحَى النَّاسِ مِنْ حَرِّهَا تَطُولُ فَتُجْلَمُ أَوْ تُضْفَرُ⁵
وَيَزْعَمُ مَنْ جَاءَهَا قَبْلَنَا بِأَنَّ سَنَسْهَمَ أَوْ نَنْجَرُ⁶
أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ الْمُخْزِيَا تَ فِيمَا أُسِيرَ وَمَا أَجْهَرُ

1 الأذماء من الظباء : البيضاء تعلوها جدد فيهن غبرة . والشادن : ولد الظبية .

2 الفارسية : الخمر .

3 وتلوت بها في الديوان : وتلوت بها ص 327 . المجاسد : الأثواب التي تلي البدن . جمع مجسد .

4 المخدم : موضع الخلخال ، ويندر : يسقط .

5 تجلم : تقطع بالجلم ، وهو المقص .

6 سَهم الرجل : تغير لونه وبدنه . نَجَرَ الرجل : أصابه عطش شديد .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ مَالَنَا رَجَعَهُ سِنِينَ وَمِنْ بَعْدَهَا أَشْهَرُ
إِلَى ذَاكَ مَا شَابَ أَبْنَاؤُنَا وَبَادَ الْأَخِلَاءَ وَالْمُعَشَرَ
وَمَا كَانَ بِي مِنْ نَشَاطٍ لَهَا وَإِنِّي لَذُو عُدَّةٍ مُوسِرُ
وَلَكِنْ بُعِثْتُ لَهَا كَارَهَا وَقِيلَ انْطَلِقْ كَالَّذِي يُؤْمَرُ¹
فَكَانَ النَّجَاءُ وَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَشَرَّهْمُ مُنْكَرُ²
هُوَ السِّيفُ جُرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ فَلَيْسَ عَنِ السِّيفِ مُسْتَأْخِرُ
وَكَمْ مِنْ أَخٍ لِي مُسْتَأْنَسٍ يَظَلُّ بِهِ الدَّمْعُ يَسْتَحْسِرُ
يُودِّعُنِي وَاتَّحَتْ عِبْرَةٌ لَهُ كَالْجَدَاوِلِ أَوْ أَغْزُرُ
فَلَسْتُ بِلَاقِيهِ مِنْ بَعْدَهَا يَدَ الدَّهْرِ مَا هَبَّتِ الصَّرَصُ³
وَقَدْ قِيلَ إِنَّكُمْ عَابَرُوا نَجْرًا لَهَا لَمْ يَكُنْ يُعْبَرُ
إِلَى السَّنَدِ وَالْهِنْدِ فِي أَرْضِهِمْ هُمُ الْجَنِّ لَكُنْهُمْ أَنْكَرُ
وَمَا رَامَ غَزْوًا لَهَا قَبْلَنَا أَكْبَرُ عَادٍ وَلَا حَمِيرُ
وَلَا رَامَ سَابُورَ غَزْوًا لَهَا وَلَا الشَّيْخُ كِسْرَى وَلَا قَيْصَرُ
وَمِنْ دُونِهَا مَعْبَرٌ وَاسِعٌ وَأَجَرٌ عَظِيمٌ لِمَنْ يُوجَرُ

[قصته مع جارية خالد بن عتاب الرياحي]

وذكر محمد بن صالح بن النطاح أنَّ هشام بن محمد الكلبي حدث عن أبيه : أنَّ أعشى همدان كان مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي بالريِّ ودستبي ، وكان الأعشى شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم ، فلما قدم خالدٌ من مغزاه خرج جواريه يتلقَّينه وفيهنَّ أمُّ ولدٍ له كانت رفيعة القدر عنده ، فجعل الناسُ يمرُّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً⁴ من النعاس ؛ فقالت أمُّ ولدِ خالد بن عتاب لجواريتها : إنَّ امرأة خالد لتُفَاخِرُنِي بأبيها وعمِّها وأخيها ، وهل يزيدون على أن يكونوا مثلَ هذا الشيخ المرتعش . وسمعتها الأعشى فقال : مَنْ هذه ؟ فقال له بعضُ الناس : هذه جارية خالد ؛ فضحك وقال لها : إِلَيْكَ عَنِّي يَا لَكَعَاءُ ؛ ثم أنشأ يقول :

[من الطويل]

1 كالذي في الديوان للذي ص 328 .

2 النجاء : السرعة في السير .

3 يد الدهر : كناية عن الأبد .

4 في ل : وشمالاً .

وما يُدْرِيكَ ما فرسٌ جرورٌ وما يدريك ما حَمْلُ السِّلَاحِ¹
وما يدريك ما شَيْخٌ كبيرٌ عَدَاهُ الدَّهْرُ عن سَنَنِ المِرَاحِ
فَأَقْسِمُ لو رَكِبْتَ الوَرْدَ يوماً وليلته إلى وَضَحِ الصَّبَاحِ
إِذَا لَنظَرْتُ مِنْكَ إلى مكان كَسَحَقِ البُرْدِ أو أَثَرِ الجِرَاحِ²

قال : فأصبحت الجارية فدخلت إلى خالد فشكت إليه الأعشى ؛ فقالت : والله ما تُكْرَمُ ، ولقد اجتريء عليك فقال لها : وما ذلك ؟ فأخبرته أنها مرّت برجل في وجه الصبح ، ووصفته له وأنه سبّها ؛ فقال : ذلك أعشى همدان ؛ فأَيَّ شيء قال لك ؟ فأنشدته الأبيات . فبعث إلى الأعشى ، فلما دخل عليه قال له : ما تقول ؟ هذه زعمت أنك هجوتها ؛ فقال : أسأت سمعاً ، إنما قلتُ :

مررتُ بنسوة متعطّرات كضوء الصبح أبيض الأداحي³
على شَقَرِ البغال فصيذن قلبي بحسن الدّلّ والحدّق الملاح
فقلتُ من الظباء فقلن سِرْبٌ بدا لك من ظباء بني رياح

فقالت : لا والله ، ما هكذا قال ، وأعدت الأبيات ؛ فقال له خالد : أما إنها لولا أنها قد وَلَدَتْ مِنِّي لوهبتُها لك ، ولكنني أفندي جنائتها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال له : أقسمتُ عليك يا أبا المصْبَحِ ألاّ تُعيدَ في هذا المعنى شيئاً بعد ما فرط منك .
وذكر هذا الخبر العنزي في روايته التي قدّمت ذكرها ، ولم يأت به على هذا الشرح .

[خبره مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي]

وقال هو وابنُ النِّطَاحِ جميعاً : وكان خالد يقول للأعشى في بعض ما يمنيّه إياه ويَعِدُّه به : إن وُلِّيتُ عملاً كان لك ما دون الناس جميعاً ، فمتي استُعْمِلْتُ فخذْ خاتمي وأقضِ في أمور الناس كيف شئت . قال : فاستُعْمِلَ خالدٌ على أصبهان وصار معه الأعشى فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه ، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه : [من الوافر]

تُمَنِّينِي إِمَارَتَهَا تَمِيم وما أُمِّي بأمّ بني تَمِيم
وكان أبو سليمان أخاً لي ولكنّ الشَّرَّاءَ من الأديم⁴

1 جرور في ل : حرون .

2 السحق : الثوب البالي ، ويضاف للبيان فيقال : سحق برد وسحق عمامة .

3 الأداحي : جمع أدحية وهي بيض النعام في الرمل .

4 الشراك : أحد سيور النعل التي تكون على وجهها .

أتينا أصبهانَ فهزلتنا وكنا قبلَ ذلك في نعيمٍ
أذكركنا ومرةً إذ غزونا وأنتَ على بُغَيْلك ذي الوُشومِ
ويركبُ رأسه في كلِّ وحلٍّ ويعثرُ في الطريقِ المستقيمِ
وليس عليك إلا طيلسانٌ نصيبِي وإلا سَحَقُ نِيمٍ¹
فقد أصبحتَ في خَزٍّ وقَزٍّ تبخترُ ما ترى لك من حميمِ
وتحسبُ أن تلقاها زماناً كذبتَ وربُّ مكة والحطيمِ

هذه رواية ابن النطاح ، وزاد العنزي في روايته :

وكانت أصبهانُ كخير أرضٍ لمُغْتَرِبٍ وصُعلوكٍ عديمِ
ولكنّا أتيناها وفيها ذوو الأضغانِ والحدقِ القديمِ
فأنكرتُ الوجوهَ وأنكرتني وجوهٌ ما تُخبرُ عن كريمِ
وكان سفاهةً منِّي وجهلاً مسيري لا أسيرُ إلى حميمِ
فلو كان ابنُ عتابٍ كريماً سما لرواية الأمرِ الجسيمِ
وكيف رجاءُ من غلبتُ عليه تنائي الدارِ كالرحمِ العقيمِ

قال ابنُ النطاح : فبعثَ إليه خالد : من مرةً هذا الذي ادّعتِ أني وأنتَ غزونا معه على بغل ذي وُشوم ؟ ومتى كان ذلك ؟ ومتى رأيتَ عليَّ الطيلسانَ والنَّيْمَ اللذينِ وصفتهما ؟ فأرسلَ إليه : هذا كلامُ أردتُ وصفَكَ بظاهره ، فأما تفسيره ، فإنَّ مرةً مرارةً ثمرةً ما غرستَ عندي من القبيح . والبغلُ المركبُ الذي ارتكبه مني لا يزال يعثرُ بك في كلِّ وعثٍ وجَدَدٍ ووَعْرٍ وسَهْلٍ . وأما الطيلسانُ فما ألبسكَ إياه من العارِ والذمِّ ؛ وإن شئتَ راجعتَ الجميلَ فراجعتهُ لك ؛ فقال : لا ، بل أراجعَ الجميلَ وتراجعهُ ؛ فوصلهُ بمالٍ عظيمٍ وترضاهُ . هكذا روى من قدّمتُ ذكره .

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدّثنا الرياشي قال حدّثنا الأصمعي قال : لما ولي خالدُ بنُ عتابِ بنِ ورقاءَ أصبهانَ ، خرجَ إليه أعشى همدان ، وكان صديقَه وجارَه بالكوفة ، فلم يجدْ عنده ما يحبُّ ؛ وأعطى خالدُ الناسَ عطايا فجعله في أقلها وفضلَ عليه آلُ عطارِد ؛ فبلغه عنه أنه ذمّه فحبسه مدّةً ثم أطلقه ؛ فقال يهجوه : [من الطويل]

وما كنتُ ممّن أُلجأتَه خصاصةً إليك ولا ممّن تغرُّ المواعِدُ

ولكنّها الأطماعُ وهي مُدِلَّةٌ دنتُ بي وأنتِ النازح المتباعدُ
 أَتَحْسِنِي في غير شيء وتارةً تلاحظني شَزْراً وأنفك عاقدُ
 فإنّك لا كَأَبْنِي فَرَارَةَ فاعْلَمَنْ خُلِقْتَ ولم يُشَبَّهِها لك والدُ
 ولا مُدْرِكُ ما قد خلا من نَداها أبوك ولا حوضيّهما أنتِ واردُ
 وإنّك لو ساميتَ آلَ عَطَارِدِ لَبَدَّتْكَ أَعناقُ لهم وسواعدُ
 ومأثرةٌ عاديةٌ لن تنالها وبيتٌ رفيعٌ لم تَخْنِه القواعدُ
 وهل أنتِ إلّا ثعلبٌ في ديارهم تُشَلُّ فتَعَسّاً أو يقودُكَ قائدُ¹
 أرى خالداً يخالُ مشياً كأنّه من الكبرياء نَهْشَلُ أو عَطَارِدُ²
 وما كان يَرْبُوعٌ شبيهاً لدارمٍ وما عَدَلَتْ شمسُ النهار الفراقُ

[مدح ابن الأشعث وحرّض أهل الكوفة للقتال معه ضد الحجاج]

قالوا : ولما خرج ابنُ الأشعث على الحجاج بن يوسف حبّشده معه أهل الكوفة ، فلم يَبْقَ من
 وجوههم وقرائهم أحدٌ له نَبَاهَةٌ إلّا خرج معه لِثَقَلِ وطأة الحجاج عليهم . فكان عامر الشَّعْبِيّ
 وأعشى هَمْدان مِمَّنْ خرج معه ، وخرج أحمد النَّصْبِيّ أبو أسامة الهَمْداني المغني مع الأعشى لِإِلفتِهِ
 إِيَّاه ، وجعل الأعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه ، ولا يزال يحرّض أهل الكوفة
 بأشعاره على القتال ، وكان ممّا قاله في ابن الأشعث يمدحه :

[من الكامل]

يأبى الإله وعِزَّة ابن محمد وجدودُ مَلِكٍ قَبْلَ آلِ ثمودِ
 أن تأنسوا بمذمِّمين ، عروفيهم في الناس إنْ نُسبوا عروقُ عبيدِ
 كم من أبٍ لك كان يعقِدُ تاجَه بجبين أبلجٍ مِقُولِ صِنْدِيدِ
 وإذا سألتَ : المجدُ أين محلُّه فالمجدُ بين محمدٍ وسعيدِ
 بين الأشجّ وبين قيسٍ باذخٍ بَخْ بَخْ لوالده وللمولودِ
 ما قصرتُ بك أن تنال مَدَى العُلا أخلاقُ مَكْرُمةٍ وإرثُ جدودِ
 قرُم إذا سامى القُرُومُ ترى له أعراقُ مجدٍ طارفٍ وتَلِيدِ
 وإذا دعا لعظيمة حُشِدَتْ له هَمْدان تحت لوائه المعقودِ
 يَمْشُونَ في حَلَقِ الحديد كأنهم أسدُ الإباء سمعن زارَ أسودِ

1 تُشَلُّ : تُطَرَّد .

2 نهشل وعطارد : قبيلتان من قبائل العرب .

وإذا دعوتَ بآلِ كِنْدَةَ أَجْفَلُوا بكهولِ صدقِ سَيِّدٍ وَمَسُودٍ
وشبابِ مأسَدَةٍ كَأَنَّ سيوفَهُم في كلِّ مَلَحْمَةٍ بروقُ رَعُودٍ
ما إن تَرى قيساً يقاربُ قيسَكُم في المَكْرُماتِ ولا تَرى كسعيدٍ

[طلب من ابن الأشعث في سجستان زيادة عطائه فردّه فقال شعراً]

وقال حمّاد الراوية في خبره : كانت لأعشى همدان مع ابن الأشعث مواقفٌ محمودَةٌ وبلاءٌ حسنٌ وآثارٌ مشهورةٌ ؛ وكان الأعشى من أحواله ، لأنَّ أمَّ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أمُّ عمرو بنتُ سعيد بن قيس الهمداني . قال : فلما صار ابنُ الأشعث إلى سجستانَ جَبى مالا كثيراً ، فسأله أعشى همدان أن يُعطيه منه زيادةً على عطائه فمنعه ؛ فقال الأعشى في ذلك :

هل تعرف الدارَ عفا رُسْمُها بالحِضْرُ فالروضةِ من آمِدٍ¹
دارٌ لَخُودٍ طَفْلَةٍ رُودَةٍ بَأْتٍ فأمسى حُبُّها عامِدِي
بيضاءَ مثلَ الشمسِ رَقَاقَةٍ تَبَسِّمُ عن ذي أَشْرٍ باردٍ
لم يُخْطِ قلبي سَهْمُها إذ رمتُ يا عجباً من سَهْمِها القاصِدِ
يا أَيُّها القَرَمُ الهِجَانُ الذي يَنْطِشُ بطشَ الأَسَدِ اللَّابِدِ²
والفاعلُ الفعلَ الشَريفَ الذي يُنمى إلى الغائبِ والشاهدِ
كم قد أُسَدِّي لك من مِدْحَةٍ تُرَوَّى مع الصادرِ والواردِ
وكم أَجَبنا لك من دَعْوَةٍ فاعرفْ فما العارفُ كالجاحِدِ³
نحن حَمِينُكَ وما تَحْتَمِي في الرُّوعِ من مَثْنَى ولا واحدٍ
يومَ انتصرنا لك مِن عابِدٍ ويومَ أَنجيناكَ من خالِدِ⁴
ووقعة الرِّيِّ التي نَلَتْها بجَحْفَلٍ من جَمْعنا عاقِدِ
وكم لَقِينا لك من واتِرٍ يصرفُ نابِي حَنِقِ حارِدِ⁵

1 الحِضْرُ : مدينة بالقرب من تكريت بالعراق . آمِد : مدينة في ديار بكر .

2 الهِجَان : الخالص وخيار كلِّ شيء .

3 كالجاحِد في الديوان الجاحِد ص 324 .

4 عابِد في ل : غامد .

5 الحارِد : الغاضِب .

ثم وَطِئْناه بِأَقْدَامِنَا
 إلى بلاءِ حَسَنِ قد مَضَى
 فَادْكُرْ أَيَادِينَا وَآلَاءَنَا
 وَيَوْمَ الْإِهْوَازِ فَلَا تَنْسَهُ
 إِنَّا لَنَرْجُوكَ كَمَا نَرْتَجِي
 فَانْفَحْ بِكَفِّكَ وَمَا ضَمَمْنَا
 مَا لَكَ لَا تُعْطِي وَأَنْتَ أَمْرُو
 تَجْنِي سِجِسْتَانَ وَمَا حَوْلَهَا
 لَا تَرْهَبُ الدَّهْرَ وَأَيَّامَهُ
 إِنْ يَكُ مَكْرُوهٌ تَهْجُنَا لَهُ
 ثُمَّ تَرَى أَنَا سَنَرْضَى بِذَا
 وَحُرْمَةِ الْبَيْتِ وَأُسْتَارِهِ
 تِلْكَ لَكُمْ أُمْنِيَّةٌ بَاطِلٌ
 مَا أَنَا إِنْ هَاجَكَ مِنْ بَعْدِهَا
 وَلَا إِذَا نَاطُوكَ فِي خَلْقَةٍ
 فَأَعْطِرْ مَا أُعْطِيَتْهُ طَيِّبًا
 نَحْنُ وَلَدْنَاكَ فَلَا تَجْفُنَا
 إِنْ تَكُ مِنْ كِنْدَةٍ فِي بَيْتِهَا
 شُمُّ الْعَرَانِينَ وَأَهْلُ النَّدَى
 كَمْ فِيهِمْ مِنْ فَارَسٍ مُعَلِّمٍ
 وَرَاكِبٍ لِلْهَوْلِ يَجْتَابُهُ

وَكَانَ مِثْلَ الْحَيَّةِ الرَّاصِدِ
 وَأَنْتَ فِي ذَلِكَ كَالزَّاهِدِ
 بَعُودَةٍ مِنْ حِلْمِكَ الرَّاشِدِ
 لَيْسَ النَّشَا وَالْقَوْلُ بِالْبَائِدِ¹
 صَوَّبَ الْغَمَامَ الْمُبْرِقِ الرَّاعِدِ
 وَافْعَلْ فَعَالَ السَّيِّدِ الْمَاجِدِ
 مُثْرٍ مِنَ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ
 مُتَكَنَّأً فِي عَيْشِكَ الرَّاعِدِ²
 وَتَجَرَّدُ الْأَرْضَ مَعَ الْجَارِدِ
 وَأَنْتَ فِي الْمَعْرُوفِ كَالرَّاقِدِ
 كَلَّا وَرَبُّ الرَّكَعِ السَّاجِدِ
 وَمَنْ بِهِ مِنْ نَاسِكَ عَابِدِ
 وَغَفْوَةٍ مِنْ حُلْمِ الرَّاقِدِ
 هَيَّجْ بَاتِيكَ وَلَا كَابِدِ
 بِحَامِلٍ عَنْكَ وَلَا فَاقِدِ³
 لَا خَيْرَ فِي الْمُنْكَودِ وَالنَّكَادِ⁴
 وَاللَّهُ قَدْ وَصَّاكَ بِالْوَالِدِ
 فَإِنَّ أَمْوَالَكَ مِنْ حَاشِدِ⁵
 وَمُنْتَهَى الضَّيْفَانِ وَالرَّائِدِ
 وَسَائِسٍ لِلْجَيْشِ أَوْ قَائِدِ
 مِثْلَ شِهَابِ الْقَبَسِ الْوَاقِدِ

1 النَّشَا : مَا أَخْبِرَتْ بِهِ عَنْ الرَّجُلِ مِنْ حَسَنِ أَوْ سَيِّئٍ فِي الدِّيَوَانِ : النَّشَا ص 324 .

2 مُتَكَنَّأً فِي ل : مِمَكْنَأً .

3 فَاقِدٌ فِي ل : ذَائِدٌ . فِي الدِّيَوَانِ : نَاقِدٌ ص 325 .

4 الْمُنْكَودُ : الَّذِي يُلْحَقُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ . وَالنَّكَادُ الْمَلْحُ .

5 حَاشِدٌ : حَيٌّ مِنْ هَمْدَانَ .

أَوْ مَلَأَ يُشْفَى بِأَحْلَامِهِمْ مَنْ سَفَهَ الْجَاهِلُ وَالْمَارِدِ
لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ بِأَحْسَابِنَا نَقْصاً وَمَا الناقصُ كَالزَّائِدِ
وَرَبُّ خَالٍ لَكَ ، فِي قَوْمِهِ فَرَعٌ طَوِيلُ الْبَاعِ وَالسَّاعِدِ
يَحْتَضِرُ الْبَاسَ وَمَا يَتَغَيَّرُ سَوَى إِسَارِ الْبَطْلِ النَّاجِدِ¹
وَالطَّعْنِ بِالرَّايَةِ مُسْتَمَكِناً فِي الصَّفِّ ذِي الْعَادِيَةِ النَّاهِدِ²
فَارْتَحَ لِأَخْوَالِكَ وَاذْكُرْهُمْ وَارْحَمَهُمُ لِّلْسَلَفِ الْعَائِدِ
فَإِنَّ أَخْوَالَكَ لَمْ يَبْرَحُوا يُرْتَبُونَ بِالرَّفْدِ عَلَى الرَّافِدِ
لَمْ يَنْخَلُوا يَوْمَاً وَلَمْ يَجْبُنُوا فِي السَّلَفِ الْغَازِيِ وَلَا الْقَاعِدِ
وَرَبُّ خَالٍ لَكَ فِي قَوْمِهِ حَمَالٌ أَثْقَالُ لَهَا وَاجِدِ
مُعْتَرِفٍ لِلرَّءِ فِي مَالِهِ وَالْحَقُّ لِلْسَّائِلِ وَالْعَامِدِ

[مدح النعمان بن بشير عامل حمص لوساطته له في عطاء]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ ،
وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ ، وَأَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ الْكَرَّانِيِّ عَنْ
الْعُمَرِيِّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ ، وَذَكَرَهُ الْعَنْزِيُّ عَنْ أَصْحَابِهِ ، قَالُوا جَمِيعاً : خَرَجَ أَعْشَى هَمْدَانَ
إِلَى الشَّامِ فِي وِلَايَةِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَلَمْ يَنْلُ فِيهَا حِظّاً ؛ فَجَاءَ إِلَى النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ وَهُوَ عَامِلٌ
عَلَى جَمُصَ ، فَشَكَا إِلَيْهِ حَالَهُ ؛ فَكَلَّمَ لَهُ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْيَمَانِيَةَ وَقَالَ لَهُمْ : هَذَا شَاعِرُ الْيَمَنِ
وَلِسَانُهَا ، وَاسْتَمَاحَهُمْ لَهُ ؛ فَقَالُوا : نَعَمْ ، يُعْطِيهِ كُلُّ رَجُلٍ مِائَةَ دِينَارَيْنِ مِنْ عَطَائِهِ ؛ فَقَالَ : لَا ، بَلْ
أَعْطُوهُ دِينَاراً دِينَاراً وَاجْعَلُوا ذَلِكَ مُعْجَلاً ؛ فَقَالُوا : أَعْطِهِ إِيَّاهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَاحْتَسِبْهَا عَلَى كُلِّ
رَجُلٍ مِنْ عَطَائِهِ ؛ فَفَعَلَ النُّعْمَانُ وَكَانُوا عَشْرِينَ أَلْفاً فَأَعْطَاهُ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَارْتَجَعَهَا مِنْهُمْ
عِنْدَ الْعَطَاءِ . فَقَالَ الْأَعْشَى يمدح النعمان :

وَلَمْ أَرِ لِلْحَاجَاتِ عِنْدَ التَّمَاثُلِ كُنُفَمَانَ نُعْمَانَ النَّدَى ابْنَ بَشِيرِ
إِذَا قَالَ أَوْفَى مَا يَقُولُ وَلَمْ يَكُنْ كَمُدُلٍ إِلَى الْأَقْوَامِ حَبْلَ غُرُورِ
مَتَى أَكْفَرَ النُّعْمَانَ لَمْ أَلْفَ شَاكِراً وَمَا خَيْرٌ مِنْ لَا يَقْتَدِي بِشَكُورِ
فَلَوْلَا أَخُو الْأَنْصَارِ كُنْتُ كَنَازِلِ ثَوَى مَا ثَوَى لَمْ يَنْقَلِبْ بِنَقِيرِ
[شعره في حرب نصيبين بين المهلب ويزيد بن أبي صخر]

وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيِّ فِي خَبَرِهِ : حَاصِرَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ نَصِيبِينَ ، وَفِيهَا أَبُو قَارِبٍ

1 إِسَارَ فِي ل : نَزَالَ . وَفِي الدِّيَوَانِ : الْمَاجِدُ بَدَلَ النَّاجِدِ ص 325 .

2 نَاهَد : الْأَسَدُ .

يزيد بن أبي صخر ومعه الخشبيّة¹؛ فقال المهلب: يا أيها الناس، لا يهولنكم هؤلاء القومُ فإنما هم العبيد بأيديها العصى. فحمل عليهم المهلبُ وأصحابه فلَقُوهم بالعصى فهزموهم حتى أزالوهم عن موقفهم. فدنس المهلبُ رجلاً من عبد القيس إلى يزيد بن أبي صخر ليغتاله، وجعل له على ذلك جُعلاً سنياً، قال الهيثم: بلغني أنه أعطاه مائتي ألف درهم قبل أن يمضي ووعدَه بمثلها إذا عاد، فاندس له العبدُ فاعتاله فقتله وقَتَلَ بعده. فقال أدشى همدان في ذلك:

يُسْمَوْنَ أَصْحَابَ الْعِصَى وَمَا أَرَى مَعَ الْقَوْمِ إِلَّا الْمَشْرِقِيَّةَ مِنْ عَصَا
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْثُ الَّذِي جَاءَ حَازِراً وَأَلْقَى بِنَا جَرْمَى الْخِيَامِ وَعَرَصَا²
أَتَحْسَبُ غَزْوَ الشَّامِ يَوْمًا وَحَرَبَهُ كَبِيضٌ يُنْظَمُنُ الْجُمَانَ الْمَفْصَصَا
وَسِيرَكَ بِالْأَهْوَازِ إِذْ أَنْتَ آمِنٌ وَشَرِيكَ أَلْبَانَ الْخَلَايَا الْمُقَرَّصَا³
فَأَقْسَمْتُ لَا تَجِي لَكَ الدَّهْرَ دَرَهَمًا نَصِيْبُونُ حَتَّى تُبْتَلَى وَتُمَحَّصَا
وَلَا أَنْتَ مِنْ أَثَوَابِهَا الْخُضِرَ لَابِسٌ وَلَكِنْ خُشْبَانًا شِدَادًا وَمَشَقَّصَا⁴
فَكَمْ رَدٌّ مِنْ ذِي حَاجَةٍ لَا يَنَالُهَا جُدَيْعُ الْعَتِيكَ رَدَّهُ اللَّهُ أُرْصَا
وَشَيْدٌ بِنِيَانًا وَظَاهِرٌ كَسَوَةً وَطَالَ جُدَيْعٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَوْقَصَا

[تصغير جدع جديع بالدال غير معجمة]. والأبيات التي كان فيها الغناء المذكور معه خبر الأعشى في هذا الكتاب يقولها في زوجة له من همدان يقال لها جَزَلَةٌ، هكذا رواه الكوفيون، وهو الصحيح. وذكر الأصمعي أنها خَوَلَةٌ، هكذا رواه في شعر الأعشى.

[طَلَّقَ زوجته أُمَ الجلال وتزوَّجَ غيرها وشعره في ذلك]

فذكر العنزي في أخبار الأعشى المتقدم إسنادهَا: أنها كانت عند الأعشى امرأةً من قومه يُقال لها أُمُ الجلال، فطالت مدَّتُها معه وأبغضها، ثم خطب امرأةً من قومه يقال لها جَزَلَةٌ، وقال الأصمعي: خولة. فقالت له: لا، حتى تُطَلِّقَ أُمَ الجلال؛ فطلَّقها؛ وقال في ذلك:

[من المتقارب]

- 1 الخشبيّة: أتباع المختار بن أبي عبيد.
- 2 حاذراً: متأهباً مستعداً، وفي الديوان: خادراً ص 333. بنا جرمى في ل: بنا جرمى وفي الديوان أيضاً ص 333.
- 3 الخلايا: الإبل المخلّاة للحلب، الواحدة خلية. والمقرّص: اللبن الذي يجعل في المقارص ليصير قارصاً أي حامضاً. والمقارص: الأوعية التي يقرّص فيها اللبن.
- 4 المشقص: نصل عريض، وقيل: سهم فيه ذلك يُرمى به الوحش.

تَقَادَمَ وَدَكَ أُمُّ الْجَلَالِ فطاشت نبأك عند النضالِ
 وطال لزومك لي حِقْبَةً فرئت قوَى الحبل بعد الوصالِ
 وكان الفؤاد بها مُعْجَباً فقد أصبح اليوم عن ذاك سالي
 صحا لا مُسِئاً ولا ظالماً ولكن سلا سلوةً في جمالِ
 ورُضتِ خلائقنا كلَّها ورُضنا خلائقكم كلَّ حالِ
 فَأَعْيَيْنَا فِي الَّذِي بَيْنَا تَسْؤِمِينَنِي كُلَّ أَمْرِ عُضَالِ
 وقد تأمرينَ بقطع الصديق وكان الصديق لنا غيرَ قالي
 وإتيان ما قد تجنَّبته وليداً ولُمتُ عليه رجالي
 أَفَالْيَوْمَ أَرْكُبُهُ بَعْدَ مَا علا الشَّيْبُ مِنِّي صَمِيمَ الْقَدَالِ
 لَعَمْرُ أَيْبِكَ لَقَدْ خِلْتَنِي ضعيفَ القوَى أو شديدَ المحالِ
 هَلُمِّي اسْأَلِي نَائِلاً فَانْظُرِي أحرِمُكَ الخَيْرَ عند السؤالِ¹
 أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّنِي مُعْرَقٌ نَمَانِي إِلَى المجد عَمِّي وَخَالِي
 وَأَنِّي إِذَا سَاءَنِي مَنْزِلٌ عَزَمْتُ فَأَوْشَكْتُ مِنْهُ ارْتَحَالِي
 فبعضُ العتاب ، فلا تَهْلِكِي فَلَا لَكَ فِي ذَاكَ خَيْرٌ وَلَا لِي
 فلمَّا بدا لي منها البَدا ءِ صَبَحْتُهَا بِثَلَاثِ عِجَالِ
 ثلاثاً خرَجْنَ جميعاً بها فخلَّيْنَهَا ذَاتَ بَيْتٍ وَمَالِ
 إِلَى أَهْلِهَا غَيْرَ مَخْلُوعَةٍ وما مَسَّهَا عِنْدَنَا مِنْ نَكَالِ
 فَأَمَسْتُ تَجِنُّ حَنِينَ اللَّقَا ح من جَزَعٍ إِثْرَ مَنْ لَا يُيَالِي
 فَجِنِّي حَنِينَكَ وَاسْتِيقِنِي بَانَا أَطْرَحْنَاكَ ذَاتَ الشَّمَالِ
 وَأَنْ لَا رَجُوعَ فَلَا تُكْذِبِي نَ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ إِثْرَ الْفِصَالِ
 ولا تحسبيني بِأَنِّي نَدِمَ ت كَلَّا وَخَالِقْنَا ذِي الْجَلَالِ

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ الْجَلَالِ : بئس والله بعلُ الحرَّةِ وقرينُ الزوجة المسلمة أنت ! وَيَحْك ؛
 أَعَدَدْتَ طَوْلَ الصَّحْبَةِ وَالْحَرَمَةَ ذَنْباً تَسْبِي وَتَهْجُونِي بِهِ ! ثُمَّ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُعْضِضَهُ اللَّهُ إِلَى
 زَوْجَتِهِ الَّتِي اخْتَارَهَا ، وَفَارَقَتْهُ . فَلَمَّا انْتَقَلَتْ إِلَى أَهْلِهَا ؛ وَصَارَتْ جَزَلَةً إِلَيْهِ ، وَدَخَلَ بِهَا لَمْ

يَحْظُ عِنْدَهَا ، ففَرِكَه وتَنَكَّرت له واشتدَّ شغفه بها ؛ ثم خرج مع ابن الأشعث فقال
فيها :

حَيِّيا جَزَلَةً مَنِّي بِالسَّلَامِ
لَا تَصُدِّي بَعْدَ وَدِّ ثَابِتٍ
إِنْ تَدُومِي لِي فَوْصِلِي دَائِمٌ
أَوْ تَكُونِي مِثْلَ بَرَقٍ خُلِبَ
أَوْ كَتَخِيلِ سَرَابٍ مُعْرَضٍ
فَاعْلَمِي إِنْ كُنْتَ لِمَا تَعْلَمِي
بَعْدَ مَا كَانَ الَّذِي كَانَ فَلَا
لَا تَنَاسِي كُلَّ مَا أُعْطِيتِي
وَإِذْ كَرِي الْوَعْدَ الَّذِي وَاعَدْتِنِي
فَلَنْ بَدَّلْتَ أَوْ خَسِيتِ بِنَا
[أُمُّ صَمَام : الغدر والحنث] .

لَا تُبَالِيْنَ إِذَا مِنْ بَعْدِهَا
رَاجِعِي الْوَصْلَ وَرُدِّي نَظْرَةً
وَإِذَا أَنْكَرْتَ مَنِّي شِمَةً
فَإِذْ كَرِيهَا لِي أَزُلْ عَنْهَا وَلَا
وَأَرَى حَبْلَكَ رَتْماً خَلَقَاً
عَجِبْتُ جَزَلَةً مَنِّي أَنْ رَأْتُ
وَرَأْتُ جِسْمِي عِلَاهُ كَبْرَةً
وَصَلَيْتُ الْحَرْبَ حَتَّى تَرَكْتُ
أَبْدَأُ تَرَكَ صَلَاةً أَوْ صِيَاماً²
لَا تَلْجِي فِي طِمَاحٍ وَأَثَامٍ
وَلَقَدْ يُنْكَرُ مَا لَيْسَ بِذَامٍ³
تُسْفِحِي عَيْنِكَ بِالْدمْعِ السَّجَامِ
وَحِبَالِي جُدُداً غَيْرَ رِمَامٍ⁴
لِمَتِّي حَفَّتْ بِشَيْبٍ كَالثَّغَامِ⁵
وَصُرُوفَ الدَّهْرِ قَدْ أَبْلَتْ عِظَامِي
جَسَدِي نِضْواً كَأَشْلَاءِ اللَّجَامِ⁶

1 أُمُّ فِي ل : أُمْر . صَمَام : الداهية الشديدة .

2 تَرَكَ فِي ل : أُنْجَرَ .

3 وَلَقَدْ أَنْكَرْتُ فِي ل : فَلَقَدْ أَنْكَرْتُ .

4 حَبْل رِمَام : بِال .

5 الثَّغَام : نَبْتُ يَكُونُ فِي الْجَبَلِ يَنْبْتُ أَخْضَرَ ثُمَّ يَبْيَضُ إِذَا يَبِسَ فَيَشْبَهُ بِهِ الشَّيْبُ .

6 أَشْلَاءُ اللَّجَام : حَدَائِدُهُ بِلَا سَيُور .

وهي بيضاء على منكبيها قَطَطٌ جَعْدٌ وَمَيَّالٌ سُخَامٌ¹
 وإذا تضحك تُبدي حَبِيباً كَرُضَابِ الْمَسْكِ فِي الرَّاحِ الْمُدَامُ
 كَمَلْتُ مَا بَيْنَ قَرْنٍ فَإِلَى مَوْضِعِ الْخُلْخَالِ مِنْهَا وَالْخِدَامُ²
 فَأَرَاهَا الْيَوْمَ لِي قَدْ أَحْدَثَتْ خُلُقاً لَيْسَ عَلَى الْعَهْدِ الْقِدَامُ

[تمثل الشعبي بشعر له فخر به على البصريين في حضرة الأحنف]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعيد الكُراني قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي عن مُجَالِدٍ عن الشَّعْبِيِّ: أَنَّهُ أَتَى الْبَصْرَةَ أَيَّامَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَجَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى قَوْمٍ مِنْ تَمِيمٍ فِيهِمُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فَتَذَاكَرُوا أَهْلَ الْكُوفَةِ وَأَهْلَ الْبَصْرَةِ وَفَاخَرُوا بَيْنَهُمْ ، وَلَمْ تَزَلِ الْمَفَاخِرَةُ بَيْنَهُمْ إِلَى أَنْ قَالَ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : وَهَلْ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَّا خَوَلُنَا ؟ اسْتَفْذَنَاهُمْ مِنْ عَبِيدِهِمْ ، (يعني الخوارج) . قَالَ الشَّعْبِيُّ : فَهَجَسَ فِي صَدْرِي أَنْ تَمَثَّلْتُ قَوْلَ أَعْشَى هَمْدَانَ : [من الرمل]

أَفْخَرْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ أَعْبُدًا وَهَزَمْتُمْ مَرَّةً آلَ عُزَلٍ³
 نَحْنُ سُقْنَاهُمْ إِلَيْكُمْ عُنُوءٌ وَجَمَعْنَا أَمْرَكُمْ بَعْدَ فِشَلٍ
 فَإِذَا فَاخَرْتُمُونَا فَادْكُرُوا مَا فَعَلْنَا بِكُمْ يَوْمَ الْجَمَلِ
 بَيْنَ شَيْخٍ خَاضِبٍ عُثْنُونَهُ وَفَتًى أَيْضَ وَضَاحٍ رِفْلٍ⁴
 جَاءَنَا يَرْفُلُ فِي سَابِغَةٍ فَذَبَحْنَاهُ ضَحًى ذَبَحَ الْحَمَلِ⁵
 وَعَفَوْنَا فَنَسِيتُمْ عَفْوَنَا وَكَفَرْتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ الْأَجَلِ

قال : فضحك الأحنف ، ثم قال : يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، قَدْ فَخَرَ عَلَيْكُمُ الشَّعْبِيُّ وَصَدَّقَ وَانْتَصَفَ ، فَأَحْسِنُوا مَجَالَسَتَهُ .

[شعر له في هزيمة الزبير الخثعمي بجؤلواء]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَزْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ عَنْ أَبِي مُحَلَّمٍ⁶

1 القَطَطُ : الشعر القصير . والسُخَامُ : الشعر اللين الحسن .

2 قرن في ل : فرق . الخِدَامُ : الخلاخيل ، واحده خدمة . وفي الديوان : الخزام ص 340 .

3 آل في ل : قوماً . العزل : الاعتزال والتنحي . ويريد بال عزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين .

4 الرِّفْلُ من النَّاسِ : الطويل الذليل .

5 يَرْفُلُ فِي الدِّيَّانِ : يهدج ص 337 .

6 أبو محلم الشيباني : واسمه محمد بن سعد ، ويقال محمد بن هشام بن عوف السعدي . وكان يسمي محمداً وأحمد . أعرابي ، أعلم الناس بالشعر واللغة . توفي سنة ثمان وأربعين ومائتين . وله من الكتب كتاب الأنواء ، وكتاب الخيل ، وكتاب خلق الإنسان .

عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال : بعث بشر بن مروان الزبير بن خزيمة الخثعمي إلى الري ؛ فلقية الخوارج بجلولاء¹ ، فقتلوا جيشه وهزموه وأبادوا² عسكره ، وكان معه أعشى همدان ، فقال في ذلك :

أمرت خثعم على غير خير
ثم أوصاهم الأمير بسير
أين ما كنتم تعيفون لنا
س وما تزجرون من كل طير
ضلت الطير عنكم بجلولاء
ء وغرتكم أماني الزبير
قدر ما أتيح لي من فلسطين
ن على فالج ثقال وغير³
خثعمي مغصص جرجمان
ي محل غزا مع ابن نمير⁴

[مدح الأصمعي شعره وفضله]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال : سألت الأصمعي عن أعشى همدان فقال : هو من الفحول وهو إسلامي كثير الشعر ؛ ثم قال لي : العجب من ابن دأب حين يزعم أن أعشى همدان قال :

من دعا لي غزلي أربح الله تجارته

ثم قال : سبحان الله ، أمثل هذا يجوز على الأعشى ؟ أن يجزم اسم الله عز وجل ويرفع تجارته وهو نصب . ثم قال لي خلف الأحمر : والله لقد طمع ابن دأب في الخلافة حين ظن أن هذا يقبل منه وأن له من الحل مثل أن يجوز مثل هذا . قال ثم قال : ومع ذلك أيضاً إن قوله :

من دعا لي غزلي

لا يجوز ، إنما هو : من دعا لغزلي ، ومن دعا لبعير ضال .

[مدح خالد بن عتاب فأجازه]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال : أملت أعشى همدان فأتى خالد بن عتاب بن ورقاء فأنشده :

[من الطويل]

1 جلولاء : ناحية حدثت فيها موقعة بين المسلمين والفرس .

2 في ل : وأباحوا .

3 الفالج : الجمل الضخم ذو السنمين يحمل من السند للفحلة . الثقال : البطيء من الدواب والناس .

4 مغصص في الديوان : مغصص ص 331 .

رَأَيْتُ ثَنَاءَ النَّاسِ بِالْقَوْلِ طَيِّباً
عَلَيْكَ وَقَالُوا مَاجِدٌ وَابْنُ مَاجِدٍ¹
بَنِي الْحَارِثِ السَّامِينِ لِلْمَجْدِ ، إِنَّكُمْ
بَنَيْتُمْ بَنَاءً ذَكَرُهُ غَيْرُ بَائِدٍ
هَنِيئاً لِمَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ وَاعْلَمُوا
بَأَنِّي سَاطِرِي خَالِداً فِي الْقَصَائِدِ
فَإِنْ يَكُ عَتَابٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ
فَمَا مَاتَ مِنْ يَبْقَى لَهُ مِثْلُ خَالِدٍ
فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ .

[أنشد سابق البربري من شعره عمر بن عبد العزيز فأبكاها]

أخبرني هاشم بن محمد الخُرَاعي قال حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ يُونُسَ [قال] :
قال عمر بن عبد العزيز يوماً لسابق البربري ، ودخل عليه : أنشدني يا سابقُ شيئاً من شعركَ
تذكرني به ؟ فقال : أَوْخِيراً مِنْ شِعْرِي ؟ فقال : هَاتِ ؛ قال قال أعشى همدان : [من البسيط]

وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ أَمْسَى نَاعِماً جَذِلاً²
فِي أَهْلِهِ مَعْجَباً بِالْعَيْشِ ذَا أَنْقٍ²
غَرّاً ، أُتِيحَ لَهُ مِنْ حَيْنِهِ عَرَضٌ³
فَمَا تَلَبَّثَ حَتَّى مَاتَ كَالصَّعِقِ³
ثُمَّتْ أَضْحَى ضُحًى مِنْ غَبٍّ ثَالِثَةٍ⁴
مُقَنَّعاً غَيْرَ ذِي رُوحٍ وَلَا رَمَقٍ
يُكَيِّ عَلَيْهِ وَأَدْنُوهُ لِمُظْلِمَةٍ
تُعَلِّي جَوَانِبُهَا بِالتُّرْبِ وَالْفِلَقِ
فَمَا تَزُوْدُ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ
إِلَّا حَنُوطاً وَمَا وَاوَاهُ مِنْ خِرْقٍ⁴
وغير نفحة أعوادٍ تُشَبُّ لَهُ
وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلِقِ
قال : فبكى عمر حتى اخضلتُ لحيتَهُ .

[هجا شجرة العبيسي بشعر أجازته عليه الحجاج]

أخبرني الحرَامي بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الدِّينَارِيُّ قَالَ
حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ الرَّائِيَةِ قَالَ : سَأَلَ أَعْشَى
هَمْدَانَ شَجَرَةَ بَنِ سَلِيمَانَ الْعَبْسِيِّ حَاجَةً فَرَدَّ عَنْهَا ، فَقَالَ يَهْجُوهُ : [من الطويل]

لَقَدْ كُنْتُ خَيَّاطاً فَأَصْبَحْتُ فَارِساً
تُعَدُّ إِذَا عُدَّ الْفَوَارِسُ مِنْ مُضَرٍّ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَنْكَرْتَ هَذَا فَقُلْ كَذَا
وَبَيِّنْ لِي الْجُرْحَ الَّذِي كَانَ قَدْ دَثَّرَ

1 بالقول في الديوان : بالغيب ص 322 .

2 الأنق : الفرح والسرور .

3 غراً في الديوان : غدا ص 336 .

4 الحنوط : طيب يخلط للميت خاصة .

وإصْبَعَكَ الوَسْطَى عَلَيْهِ شَهِيدَةً وما ذاك إِلَّا وَخَزُّهَا الثَّوْبَ بِالْإِبْرِ

قال وكان يقال : إِنَّ شَجَرَةَ كان خِيَاطاً ، وقد كان ولي للحجَّاج بعضُ أعمال السَّواد . فلَمَّا قَدِمَ على الحِجَّاج قال له : يا شَجَرَةَ ، أَرِنِي إصْبَعَكَ أَنْظُرْ إِلَيْهَا ؛ قال : أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ ، وما تَصْنَعُ بها ؟ قال : أَنْظُرْ إلى صِفَةِ الأَعْشى ؛ فَنَجِلَ شَجَرَةَ . فقال الحِجَّاج لحاجبه : مُرِ الْمُعْطِيَّ أَنْ يُعْطِيَ الأَعْشى من عِطاء شَجَرَةَ كذا وكذا . يا شَجَرَةَ ، إذا أَتَاكَ امرؤٌ ذُو حَسَبٍ وَلِسانٍ فَاشْتَرِ عِرْضَكَ مِنْهُ .

[أُسِرَ الحِجَّاج وَذَكَرَهُ بِشعر قاله لِيَكْتَنَهُ ثَمَّ قَلَهُ]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْأَزْدِيُّ قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْحَنْفِيُّ عَنْ جَمَاعَةٍ قالَ الْمُبَرِّدُ : أَحْسَبُ أَنَّ أَحَدَهُمْ مُورِّجُ بْنُ عَمْرٍو السَّدُوسِيُّ قالوا : لَمَّا أَتَى الحِجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ الثَّقَفِيَّ بِأَعْشى هَمْدَانَ أُسِيرًا ، قال : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ ، أَلَسْتَ الْقَاتِلَ :

لَمَّا سَمَوْنَا لِلْكَفُورِ الْفَتَانَ	بِالسَّيِّدِ الْغَطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ¹
سَارَ بِجَمْعٍ كَالْقَطَا مِنْ قَحْطَانِ	وَمِنْ مَعَدٍّ قَدْ أَتَى ابْنَ عَدْنَانَ ²
أَمَكَّنَ رَبِّي مِنْ ثَقِيفِ هَمْدَانَ	يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَلِّي مَا كَانَ
إِنَّ ثَقِيفًا مِنْهُمْ الْكَذَّابَانِ	كَذَّابُهَا الْمَاضِي وَكَذَّابُ ثَانٍ

أَوَلَسْتَ الْقَاتِلَ :

يَا ابْنَ الْأَشْجِ قَرِيعَ كِنْدٍ	دَعَا لَا أَبَالِي فِيكَ عَنَّا ³
أَنْتَ الرَّئِيسُ ابْنُ الرَّئِيسِ	سِ وَأَنْتَ أَعْلَى النَّاسِ كَعْبَا ⁴
نُبْتُ حَجَّاجَ بْنَ يَوْسَفَ	سَفَا خَرَّ مِنْ زَلْقٍ فَنَبَا
فَانْهَضَ فَدَيْتَ لَعْلَهُ	يَجْلُو بِكَ الرَّحْمَنُ كَرَبَا
وَابْعَثْ عَطِيَّةً فِي الْخِيَوِ	لَ يَكْبَهُنَّ عَلَيْهِ كَبَا ⁵

1 سفا : خَفَّ وَأَسْرَعَ وفي الديوان : إِنَّا سَمَوْنَا ص 342 .

2 كَالْقَطَا فِي الدِّيوان : كَالِدِي ص 342 .

3 الْأَشْج : هُوَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسِ الْكَنْدِيِّ جَدُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْنِيِّ فِي هَذَا الشَّعْرِ ، وَفِي الدِّيوان : لَا بِنِ الْأَشْجِ ص 312 . لَا أَبَالِي فِي الدِّيوان : لَا أَبِينُ ص 312 . وَالْقَرِيع : السَّيِّدُ .

4 النَّاسُ فِي الدِّيوان : الْقَوْمُ ص 312 .

5 هُوَ عَطِيَّةُ بْنُ عَمْرٍو الْعَبْرِيُّ ، وَكَانَ عَلَى مَقْدَمَةِ جِيُوشِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ إِلَى الْعِرَاقِ . وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ الْحِجَّاجُ بِالْخَيْلِ فَجَعَلَ عَطِيَّةٌ لَا يَلْقَى خَيْلاً إِلَّا هَزَمَهَا .

كلّا يا عدوّ الله ، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خرّ من زَلَقٍ فَنَبَّ ، وحرار وانكبّ ، وما لقي ما أحب ؛ ورفع بها صوته واربّد وجهه واهتزّ منكباها ، فلم يبقَ أحدٌ في المجلس إلّا أَهَمَّتْهُ نفسه وارتعدت فرائضه . فقال له الأعشى : بل أنا القائل أيّها الأمير :

أبى الله إلّا أن يتم نوره ويُظْفَىء نَارَ الفاسقين فتحمداً
ويُنْزَلُ ذُلًّا بالعراق وأهله كما نقضوا العهد الوثيق المؤكداً
وما لبث الحجاجُ أن سلّ سيفه علينا فولّى جمعنا وتبدداً¹
وما زاحف الحجاجُ إلّا رأيته حساماً مُلقًى للحروب مُعوّداً²
فكيف رأيت الله فرّق جمعهم ومزقهم عُرضَ البلاد وشرّداً
بما نكثوا من بيعة بعد بيعة إذا ضمّنها اليوم خاسوا بها غداً³
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة من القول لم تصعدْ إلى الله مصعداً
ولما ذلّفنا لابن يوسف ضيلّةً وأبرق منا العارضان وأرعداً⁴
قطعنا إليه الخندقين وإنما قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرّصداً⁵
فصادمنا الحجاجُ دون صفوفنا كفاحاً ولم يضرب لذلك موعداً⁶
بجندٍ أمير المؤمنين وخيله وسلطانهِ أَمسى مُعاناً مؤيداً⁷
ليهنيء أمير المؤمنين ظهوره على أمةٍ كانوا بُغاةً وحُسّداً⁸
وجدنا بني مروان خير أئمةٍ وأعظمَ هذا الخلقِ حلماً وسُودداً⁹
وخيرَ قريشٍ في قريشٍ أرومةً وأكرمهم إلّا النبيّ محمّداً
إذا ما تدبّرنا عواقبَ أمرنا وجدنا أمير المؤمنين المُسدّداً
سيغلبُ قوماً غالبوا الله جَهرةً وإن كايده كان أقوى وأكيدا

1 وتبدداً في ل : متبدداً .

2 حساماً في الديوان : معلناً ص 320 .

3 نكثوا في الديوان : وما نكثوا ص 320 . خاس : غدر ونكث .

4 في الديوان : ولما زحفنا لابن يوسف عدوة ص 320 .

5 مُرّصداً : مُترقباً .

6 فصادمنا في الديوان : فكافحنا ص 320 .

7 بجند في الديوان : جُنود ص 320 . معانا : في الديوان : عزيزاً ص 320 .

8 ليهنيء في الديوان : فيهنّي ص 321 .

9 وأعظم في الديوان : أفضل ص 321 . الخلق في الديوان : الناس ص 321 .

كذلك يُضِلُّ الله مَنْ كان قلبه
فقد تركوا الأموال والأهل خلفهم
يناديهم مستعبرات إليهم
والأ تناولهن منك برحمة
تعطف أمير المؤمنين عليهم
لعلهم أن يحدثوا العام توبة
لقد شمت يا ابن الأشعث العام مصرنا
كما شام الله النجير وأهله
ضعيفاً ومن والى النفاق والحدأ¹
وبيضاً عليهن الجلابيب خرداً
ويُذرين دمعاً في الخدود وإثمدا
يكن سبائاً والبعولة أعبدأ
فقد تركوا أمر السفاهة والردي
وتعرف نصحاً منهم وتوددا
فظلوا وما لاقوا من الطير أسعدأ²
بجلك مَنْ قد كان أشقى وأنكدأ³

فقال مَنْ حضر من أهل الشام : قد أحسن أيها الأمير ، فخل سبيله ؛ فقال : أظنون أنه أراد المدح ؟ لا والله ؛ لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه وأراد به أن يحرض أصحابه . ثم أقبل عليه فقال له : أظننت يا عدو الله أنك تخذعني بهذا الشعر وتنفلت من يدي حتى تنجو ؟ ألسنت القاتل ، ويحك ! :
[من الكامل]

وإذا سألت : المجد أين محله
بين الأغر وبين قيس باذخ
فالمجد بين محمد وسعيد
بخ بخ لوالده وللمولود⁴

والله لا تبخبخ بعدها أبداً . أولست القاتل :
[من الكامل]

وأصابني قومٌ وكنتُ أصيهم
فاليوم أصير للزمان وأعرف⁵

كذبت والله ، ما كنت صبوراً ولا عروفاً . ثم قلت بعده :
[من الكامل]

وإذا تُصيبك من الحوادث نكبة
فاصبر فكل غيبة ستكشف⁶

أما والله لتكونن نكبة لا تنكشف غيبتها عنك أبداً ، يا حرسى ، اضرب عنقه ؛ فضرب

عنقه .

1 ضعيفاً في الديوان : مريضاً ص 321 .

2 شمت : من شامت بتسهيل الهمة وفي الديوان :

لقد شام المصريين فرخ محمد بحق وما لاقى من الطير أسعدأ

3 النجير : حصن باليمن قرب حضرموت منيع ، لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس .

4 الأغر في الديوان : الأشج ص 323 .

5 فاليوم في الديوان : فالآن ص 335 .

6 غيبة في الديوان : مصيبة ص 335 .

وذكر مؤرِّج السَّدُوسِيَّ أَنَّ الْأَعْشَى كَانَ شَدِيدَ التَّحْرِيزِ عَلَى الْحَجَّاجِ فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ ، فَجَالَ أَهْلُ الْعِرَاقِ جَوْلَةً ثُمَّ عَادُوا ، فَتَزَلَّ عَنْ سَرَجِهِ وَنَزَعَهُ عَنْ فَرَسِهِ ، وَنَزَعَ دِرْعَهُ فَوَضَعَهَا فَوْقَ السَّرَجِ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهَا فَأَحْدَثَ وَالنَّاسُ يَرَوْنَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ : لَعَلَّكُمْ أَنْكَرْتُمْ مَا صَنَعْتُ ؟ قَالُوا : أَوَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ نَكِيرٍ ؟ قَالَ : لَا ، كُلُّكُمْ قَدْ سَلَّحَ فِي سَرَجِهِ وَدِرْعَهُ خَوْفًا وَفَرَقًا ، وَلَكِنَّكُمْ سَتَرْتُمُوهُ وَأَظْهَرْتُهُ ؛ فَحَمِيَ الْقَوْمُ وَقَاتَلُوا أَشَدَّ قِتَالِ يَوْمِهِمْ إِلَى اللَّيْلِ ، وَشَاعَتْ فِيهِمُ الْجِرَاحُ وَالْقَتْلُ ، وَانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ عَاوَدُوهُمْ مِنْ غَدٍ وَقَدْ نَكَأَتْهُمْ الْحَرْبُ ؛ وَجَاءَ مَدَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَبَاكَرُوهُمْ الْقِتَالَ وَهُمْ مُسْتَرِيحُونَ فَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ وَقُتِلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ . وَقَدْ حُكِّيتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَنْ أَبِي كَلْدَةَ الْيَشْكُرِيِّ أَنَّهُ فَعَلَهَا فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ ، وَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ فِي أَخْبَارِ أَبِي كَلْدَةَ ، وَقَدْ ذَكَرَ مَا حَكَاهُ مَعَ أَخْبَارِهِ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

[76] - أخبار أحمد النّصبي ونسبه

[نسبه ، وهو مغني طنبوري كان ينادم عبيد الله بن زياد]

النّصبيّ هو صاحبُ الأنصاب . وأوّلُ مَنْ غَنَّى بها وعنه أُخِذَ النّصَبُ¹ في الغناء هو أحمد بن أسامة الهمداني ، من رَهْطِ الأعشى الأذنين . ولم أجِدْ نسبَهُ متّصلاً فأذكره . وكان يغني بالطنبور ومرتجلاً ، ويقال إنه أوّل مَنْ غَنَّى بالطنبور في الإسلام . وكان ، فيما يُقال ، ينادم عبيد الله بن زياد سرّاً ويغنيه . وله صنعةٌ كثيرةٌ حسنةٌ لم يَلَحِقْها أحدٌ من الطنبوريّين ولا كثيرٌ ممّن يغني بالعود .

[حديث جحظة عنه]

وذكره جَحْظَةُ في كتاب الطنبوريّين فأتى من ذكره بشيء ليس من جنس أخباره ولا زمانه ، وثَلَبه فيما ذكره . وكان مذهبه عفا الله عنّا وعنه ، في هذا الكتاب أن يَثْلِبَ جميعَ مَنْ ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قَدَّرَ عليه ، وكان يجب عليه ضدُّ هذا ، لأنَّ مَنْ انتسب إلى صناعة ، ثم ذكر متقدّمي أهلها ، كان الأجملُ به أن يذكر محاسن أخبارهم وظريف قصصهم وملح ما عرفه منهم لا أن يَثْلِبَهم بما لا يعلم وما يعلم . فكان فيما قرأتُ عليه من هذا الكتاب أخبارُ أحمد النّصبيّ ، وبه صدّر كتابه فقال : أحمد النّصبيّ أوّلُ مَنْ غَنَّى الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيرها ؛ ولم يخدم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب .

[كان بخيلاً مرابطاً ومات بفالوذجة حارة]

وحَدَّثني جماعةٌ من الكوفيّين أنّه لم يكن بالكوفة أبخلُ منه مع يساره ، وإنّه كان يُقرضُ الناسَ بعينه² ، وإنّه اغتصّ في دعوة دُعي إليها بفالوذجة حارة فبلعها فجمعت أحشاءه فمات . وهذا كلّ باطل . أمّا الغناء فله منه صنعة في الثقل الأوّل وخفيف الثقل الثاني ، ما ليس لغيره مثلاً . منها الصوت الذي تقدّم ذكره وهو قوله :

حيّا خولةً منّي بالسلام

ومنها :

[من الطويل]

سَلَبَتِ الجوّاري حَلِيَّهِنَّ فلم تَدَعِ سِوَاراً ولا طَوْقاً على النحرِ مُدْهِباً

1 النصب : ضرب من الغناء أرق من الحداء .

2 عينة : الرّيا .

وهو من الثقيل الثاني ، والشعر للعُدَيْل بن الفرخ¹ ، وقد ذكرتُ ذلك في أخباره .
ومنها :

يا أيُّها القلبُ المطيعُ الهوى أننى اعتراك الطَّربُ النازحُ
وهو أيضاً من الثقيل الثاني ، وأصوات كثيرة نادرة تدلّ على تقدّمه .

وأما ما وصفه من بخله وقَرْضِه للناس بالرِّبَا وموته من فالوذجة حارّة أكلها ، فلا أدري مَنْ مِنَ الكوفيّين حدّثه بهذا الحديث ، ليس يخلو من أن يكون كاذباً ، أو نَحَل هو هذه الحكاية ووضعتها هنا ، لأنّ أحمد النّصيّ خرج مع أعشى همدان وكان قرابته وإلفه في عسكرِ ابن الأشعث ، فقتل فيمن قُتل . روى ذلك الثقاتُ من أهل الكوفة والعلم بأخبار الناس ، وذلك يُذكر في جملة أخباره .

[اتصاله بأعشى همدان وغناؤه بشعره في سليم بن صالح إذ نزلا عليه]

أخبرنا محمد بن مَزِيد بن أَبِي الأَزهَر والحسين بن يحيى قالَا حَدَّثَنَا حَمَاد بن إِسْحَاق عن أبيه ، وذكره العَنَزِيّ في أخبار أعشى همدان المذكورة عنه عن رجاله المُسمَّين قال :
كان أحمد النّصيّ مواخياً لأعشى همدان مواصلاً له ، فأكثرُ غنائه في أشعاره مثلُ صنّعتِه في شعره :

حيّيا خولةً منّي بالسلامِ

[من الكامل]

و :

لَمَن الطَّعائن سيرهنّ ترَجُفُ

[من السريع]

و :

يا أيُّها القلبُ المطيعُ الهوى

وهذه الأصوات فلائدُ صنّعتِه وغُررُ أغانيه . قال : وكان سبب قوله الشعرَ في سليم بن صالح بن سعد بن جابر العَنَبَرِيّ ، وكان منزلُ سليم سابات² المدائن ، أن أعشى همدان وأحمد النّصيّ خرجا في بعض مغازيهما ، فنزلا على سليم فأحسن قِراهما وأمر لدوابّهما بعلُوفة وقَضِيم³ ، وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا ، فعرض عليهما الشراب فأنعما به وطلباه

1 العديل بن الفرخ هو العديل بن الفرخ العجليّ ، ولقبه العباب ، وكان العباب كلباً له ، وهو من رهط أبي النجم (العجليّ) . وكان هجا الحجاج فطلبه ، فهرب منه إلى قيصر ملك الروم ، انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 :

413 ، وفي الاشتقاق 208 والخزاة 2 : 367-368 .

2 سابات : موضع بالمداين لكسرى أبرويز .

3 القضييم : شعير الدابة .

فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان ؛ فقال أحمد النّصبيّ للأعشى : قل في هذا الرجل الكريم شعراً تمدحه به حتى أغنيّ فيه ؛ فقال الأعشى يمدحه : [من السريع]

يا أيّها القلبُ المطيعُ الهوى	أنى اعتراك الطّربُ النّازحُ
تذكرُ جُملاً فإذا ما نأتُ	طار شعاعاً قلبك الطّامحُ
هلاً تناهيتَ وكنتَ امرأً	يزجرك المرشيدُ والنّاصحُ
ما لك لا تتركُ جهلَ الصّبا	وقد علاك الشّمطُ الواضحُ
فصار من ينهاك عن حبّها	لم ترَ إلّا أنّه كاشحُ
يا جُمْل ما حُبّي لكم زائلٌ	عني ولا عن كيدي نازحُ ¹
حُمِلت وُدّاً لكم خالصاً	جداً إذا ما هزل المازحُ
ثم لقد طال طلايكم	أسعى وخيرُ العملِ النّاجحُ
إني توسّمت امرأً ماجداً	يصدق في مدّحته المادحُ
ذوابة العنبرِ فاخترته	والمرء قد يُعشّهُ الصّالحُ
أبلجُ بهلولاً وظنّي به	أنّ ثنائي عنده رابحُ ²
سليمٌ ما أنتَ بينكسٍ ولا	ذمك لي غادٍ ولا رائحُ
أعطيت وُدّي وثنائي معاً	وخلّة ميزانها راجحُ
أرعاك بالغيب وأهوى لك الـ	رشد وجيبي فاعلمنّ ناصحُ ³
إني لمن سالتَ سليمٌ ومن	عاديت أُمسي وله ناطحُ
في الرأس منه وعلى أنفه	من نَقماتي ميسمٌ لائحُ
نعم فتى الحيّ إذا ليلةٌ	لم يُور فيها زندهُ القادحُ
وراح بالشّوّل إلى أهلها	مغبّرةً أذفانها كالخُ ⁴
وهبت الرّيحُ شاميّةً	فانجَحَر القابسُ والنابحُ

1 نازح في ل : بارح .

2 أبلج في ل : أبيض . البهلول : السيّد الجامع لكلّ خير .

3 الجيب : القلب والصّدر .

4 الشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجفّ لبنها . الكالح : الأمر الشديد .

قد علم الحيّ إذا أمحلوا أنّك رَفَادٌ لهم مانحُ
في الليلة القالي قراها التي لا غابِقٌ فيها ولا صابحُ
فالضيفُ معروفٌ له حقّه له على أبوابكم فاتحُ
والخيلُ قد تعلمُ يومَ الوغى أنّك من جمرتها ناضحُ¹

قال : فغنّي أحمد النّصبيّ في بعض هذه الأبيات ، وجاريةً لسليم في السطح ، فسمعت الغناء ، فنزلتُ إلى مولاها وقالت : إني سمعتُ من أضيافك شعراً ما سمعتُ أحسنَ منه ؛ فخرج معها مولاها فاستمع حتى فهم ، ثم نزل فدخل عليهما ، فقال لأحمد : لِمَن هذا الشعر والغناء ؟ ومن أنتما ؟ فقال : الشعر لهذا ، وهو أبو المصبح أعشى همدان ، والغناء لي ، وأنا أحمد النّصبيّ الهمداني ، فانكبَّ على رأس أعشى همدان فقبله وقال : كتمتُماني أنفسكما ، وكِدْتُمَا أن تفارقاني ولم أعرفكما ، ولم أعلم خبركما ، واحتبسهما شهراً ثم حملهما على فرسين ، وقال : خلّفا عندي ما كان من دوابكما ، وارجعا من مغزأكما إليّ . فمضيا إلى مغزاهما ، فأقاما حيناً ثم آنصرفا ، فلما شارفا منزله قال أحمد للأعشى : إني أرى عجباً ، قال : وما هو ؟ قال : أرى فوق قصر سليم ثعلباً ؛ قال : لكن كنتَ صادقاً فما بقي في القرية أحد . فدخلوا القرية ، فوجدوا سليماً وجميع أهل القرية قد أصابهم الطاعون ، فمات أكثرهم وانتقل باقيهم . هكذا ذكر إسحاق ، وذكر غيره : أنّ الحجاج طالب سليماً بمال عظيم ، فلم يخرج منه حتى باع كلّ ما يملكه ، وخربتُ قريته وتفرّق أهلها ؛ ثم باعه الحجاج عبداً ، فاشتراه بعضُ أشرف أهل الكوفة ، إمّا أسماً بنُ خارجةً وإمّا بعض نظرائه ، فأعتقه .

نسبة هذا الصوت الذي قال الأعشى شعره

وصنع أحمد النّصبيّ لحنه في سليم

صوت

[من السريع]

يا أيّها القلبُ المطيع الهوى أنّى اعتراك الطربُ النازحُ
تذكرُ جُملاً فإذا ما نأت طار شجاعاً قلبك الطامحُ

1 الجمرة : القبيلة فيها ثلاثمائة فارس وقيل : ألف . أو هي كلّ قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يخالفون أحداً ولا ينضمّون إلى أحد ، تكون القبيلة نفسها جمرّة تصيرُ لقراع القبائل . الناضح : المدافع الرامي .

أَعْطَيْتَ وَدِّي وَثْنَائِي مَعاً وَخَلَّهَ مِيزَانُهَا رَاجِحُ
 إِنِّي تَخَيَّرْتُ امْرَأً مَاجِداً يَصْدُقُ فِي مِدْحَتِهِ الْمَادِحُ
 سَلِيمٌ مَا أَنْتَ بِنَكْسٍ وَلَا ذَمِّكَ لِي غَادٍ وَلَا رَائِحُ
 نَعَمْ فَتَى الْحَيِّ إِذَا لَيْلَةٌ لَمْ يُورِ فِيهَا زَنْدُهُ الْقَادِحُ
 وَرَاحَ بِالشَّوْلِ إِلَى أَهْلِهَا مُغْبِرَةً أَذْقَانُهَا كَالْحُ
 وَهَبْتَ الرِّيحُ شَامِيَةً فَانْجَحَرَ الْقَابِسُ وَالنَّابِحُ

الشعر لأعشى همدان . والغناء لأحمد النصببي ، ولحنه ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر يونس أن فيه لمالك لحناً ولسان الكاتب لحناً آخر .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

تَنَكَّرَ مِنْ سُعْدَى وَأَقْفَرَ مِنْ هِنْدٍ مُقَامُهُمَا بَيْنَ الرَّغَامَيْنِ فَالْفَرْدِ¹
 مَحَلٌّ لِسُعْدَى طَالَمَا سَكَنْتَ بِهِ فَأَوْحَشَ مَنْ كَانَ يَسْكُنُهُ بَعْدِي

الشعر لحَمَاد الراوية . والغناء لَعَبَادِل ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، ذكر الهشامي أنه للهذلي ، وذكر عمرو بن بانة أنه لَعَبَادِل بن عطية² .

1 الرغام : اسم رملة يعينها من نواحي اليمامة بالوشم ، وقد ثناه الشاعر لضرورة الشعر . الفرد : موضعان يطلق عليهما الاسم نفسه .

2 سترد ترجمته في هذا الجزء ص 71 .

[77] - أخبار حماد الراوية ونسبه¹

[نسبه وولادته وعلمه بأخبار العرب وأيامها]

هو حماد بن ميسرة ، فيما ذكره الهيثم بن عدي ، وكان صاحبه وراويته وأعلم الناس به ، وزعم أنه مولى [بني] شيبان . وذكر المدائني والقحذمي أنه حماد بن سابور ، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتوثره وتستزيه ، فيقد عليهم وينادهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويجزلون صلته .

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي وعمي وإسماعيل العتكي قالوا حدثنا الرياشي قال : قال الأصمعي : كان حماد أعلم الناس إذا نصح . قال وقتل حماد : ممن أنتم ؟ قال : كان أبي من سبي سلمان بن ربيعة ، فطرحتنا سلمان لبني شيبان ، فولأنا لهم . قال : وكان أبوه يسمى ميسرة ، ويكنى أبا ليلي . قال العتكي في خبره : قال الرياشي : وكذلك ذكر الهيثم بن عدي في أمر حماد .

[سأله الوليد عن سبب تلقيه بالراوية فأجاب]

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن العتيبي والهيثم بن عدي ولقيط² قالوا : قال الوليد بن يزيد لحماد الراوية : بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال : باني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أنشد شعراً قديماً ولا محدثاً إلا ميزت القديم منه من المحدث ؟ فقال : إن هذا لعلم وأبيك كثير ! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ، ولكنني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام ؛ قال : سأمتحنك في هذا ، وأمره بالإنشاد ؛ فأنشد الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه ؛ فأنشده ألفين وتسعمائة

1 حماد الراوية : انظر أخباره في معجم الأدباء 3 : 1201-1205 وفي التذكرة الحمدونية 3 : 55-56 ، طبقات ابن المعتز : 69 والمعارف 451 والفهرست : 104 ومراتب النحويين : 72 وطبقات الزبيدي 209 وأمال المرتضى 1 : 131 ومصورة ابن عساكر : 5 : 273 وتهذيب ابن عساكر : 4 : 430 ومختصر ابن منظور : 70 : 244 وابن خلكان 2 : 206 وسير الذهبي 7 : 157 والوافي 13 : 137 ولسان الميزان : 2 : 352 وبغية الوعاة : 1 : 549 والخزاعة : 4 : 129 .

2 هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربي الكوفي من بني محارب ، من الرواة للعلم المصنفين للكتب . كان شاعراً سيئ الخلق ، عاش إلى سنة تسعين ومائة .

قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

[ما كان بينه وبين مروان بن أبي حفصة في حضرة الوليد]

أخبرني يحيى بن علي المنجم قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق الموصلي عن مروان بن أبي حفصة ، وأخبرني محمد بن خلف بن المزيان قال حدثني أبو بكر العامري عن الأثرم¹ عن مروان بن أبي حفصة قال : دخلت أنا وطريح بن إسماعيل الثقفي والحسين بن مطير الأسدي في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في فرش قد غاب فيها ، وإذا رجل عنده ، كلما أنشد شاعر شعراً ، وقف الوليد بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ؛ فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حماد الراوية . فلما وقفت بين يدي الوليد أنشده قلت : ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحنة لحانة ؛ فأقبل الشيخ علي وقال : يا ابن أخي ، إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً ؟ فذهب عني الشعر كله إلا شعر ابن مقبل ؛ فقلت له : نعم ، شعر ابن مقبل ؛ قال : أنشد ، فأنشدته قوله : [من الطويل]

سل الدار من جنبي حير فواهب إذا ما رأى هضب القلب المضيق²

ثم جرت ؛ فقال لي : قف فوقفت ؛ فقال لي : ماذا يقول ؟ فلم أدر ما يقول !

فقال لي حماد : يا ابن أخي ، أنا أعلم الناس بكلام العرب . يقال : تراءى الموضعان إذا

تقابلا .

[سأل الهيثم بن عدي عن معنى شعر فعجز]

حدثني عمي قال حدثني الكراني عن العُمري عن الهيثم بن عدي قال : قلت لحَمَّاد الراوية يوماً : ألقى علي ما شئت من الشعر أفسره لك ؛ فضحك وقال لي : ما معنى قول ابن مزاحم الثمالي :

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تَامَكاً قَرْداً كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ³ ؟

فلم أدر ما أقول ؛ فقال : تَخَوَّفَ : تنقَّص . قال الله عز وجل : ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوَّفٍ﴾ 47/16 أي على تنقُّص .

قال الهيثم : ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد .

1 الأثرم : هو أبو الحسن علي بن المغيرة صاحب الأصمعي وأبي عبيدة ، روى عن جماعة من العلماء وعن فضحاء العرب ، وتوفي سنة ثلاثين ومائتين .

2 جنبي حير فواهب في ل : خبتي خبير فذاهب . المضيق : ماء لبني البكاء .

3 التامك : السنام . والقرد : المتلبّد الصوف . والسفن : الحديدية التي تبرّد بها القسي .

[كذب الفرزدق في شعر نسبه لنفسه فأقر]

حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثني الكُراني محمد بن سعد عن النضر بن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال : أنشدني الفرزدق وحماد الراوية حاضر : [من الطويل]

و كنتَ كذئبُ السَّوءِ لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحوالاً على الدم¹
فقال له حماد : أنت تقوله ؟ قال : نعم ؛ قال : ليس الأمر كذلك ، هذا لرجل من أهل اليمن ؛ قال : ومن يعلم هذا غيرك ! أفأردت أن أتركه وقد نحلني الناس ورووه لي لأنك تعلمه وحدك ويجهله الناس جميعاً غيرك ! .
[كان هو وأبو عمرو كل منهما يقدم الآخر على نفسه]

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني الفضل قال حدثني ابن النطاح قال حدثني أبو عمرو الشيباني قال : ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية إلا قدمه على نفسه ، ولا سألت حماداً عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه .
[هو أحد الحمادين الثلاثة]

حدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم ، وذكر عبد الله بن مسلم عن الثقف عن إبراهيم بن عمر [و] العامري قالوا : كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون : حماد عجرد ، وحماد بن الزبيرقان ، وحماد الراوية ، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا كأنهم نفس واحدة ، وكانوا يرمون بالزندقة جميعاً .
[كان بخيلاً فداعبه مطيع وابن زياد عن سراج]

أخبرني الحسن بن يحيى المزداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دخل مطيع بن إياس ويحيى بن زياد على حماد الراوية ، فإذا سراجهم على ثلاث قصبات قد جمع أعلاهن وأسفلهن بطين ، فقال له يحيى بن زياد : يا حماد ، إنك لمُسْرِفٌ مبتذل لحر المتاع ؛ فقال له مطيع : ألا تبيع هذه المنارة وتشترى أقل ثمناً منها وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتسع به ؟ فقال له يحيى : ما أحسن ظنك به ! ومن أين له مثل هذه ؟ إنما هي وديعة أو عارية ؛ فقال له مطيع : أما إنه لعظيم الأمانة عند الناس ! قال له يحيى : وعلى عظيم أمانته فما أجهل من يخرج مثل هذه من داره ويأمن عليها غيره ! قال مطيع : ما أظنها عارية ولا وديعة ولكني أظنها مرهونة عنده على مال ، وإلا فمن يخرج مثل هذه من بيته ! فقال لهما حماد : قوما عني يا ابني الزانيتين واخرجا من منزلي ، فشر منكما من يدخلكما بيته .

1 أحوال على الدم : أقبل عليه .

[كان منقطعاً ليزيد فجفاه هشام]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن عُبَيْد أبو عَصِيدَة قال حدَّثني مُحَمَّد بن عبد الرحمن العبديّ عن حُمَيْد بن مُحَمَّد الكوفيّ عن إبراهيم بن عبد الرحمن القرشيّ عن مُحَمَّد بن أنس ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن حَمَاد الراوية ، وخبر حَمَاد بن إسحاق أتمّ واللفظ له .

قال حَمَاد الراوية : كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك ، فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أُمَيَّة في أيام يزيد ، فلمّا مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خِفَّتْهُ ، فمكثت في بيتي سنة لا أخرج إلّا لَمَنْ أَتق به من إخواني سرّاً ؛ فلمّا لم أسمع أحداً يذكرني سنة أَمِنْتُ فخرجت فصلّيت الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل فإذا شُرَطيّان قد وقفا عليّ فقالا لي : يا حَمَاد ، أجب الأمير يوسف بن عمر ، فقلت في نفسي : من هذا كنت أحذر¹ ، ثم قلت للشُرَطيّين : هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودّعهم وداع من لا يتصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك من سبيل . فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر ، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ، ورمى إليّ كتاباً فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أمّا بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حَمَاد الراوية من يأتيك به غير مُروّع ولا مُتعتّع ، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهريّاً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق» . فأخذت الخمسمائة الدينار ، ونظرت فإذا جمل مرّحول ، فوضعت رجلي في الغرّز² وسرت اثنتي عشرة ليلة حتى وافيت باب هشام ، فاستأذنت فأذن لي ، فدخلت عليه في دار قوراء³ مفروشة بالرخام ، وهو في مجلس مفروش بالرخام ، وبين كلّ رختامين قضيب ذهب ، وحيطان كذلك ، وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب خزّ حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلّبه بيده فتفوح روائحها ، فسلمتُ فردّ عليّ ، واستدنانني فدنوت حتى قبلتُ رجله ، وإذا جاريتان لم أر قبلهما مثلهما ، في أذني كلّ واحدة منهما حلقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقدان ؛ فقال لي : كيف أنت يا حَمَاد وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين ؛ قال : أتدري فيم بعثت إليك ؟ قلت : لا ؛ قال : بعثت إليك لبيت خطر بيالي لم أدر من قاله ؛ قلت : وما هو ؟ فقال :

[من الخفيف]

1 في ل : يرجع .

2 الغرز : ركاب الرجل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب .

3 قوراء : واسعة .

فَدَعَوْا بِالصُّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ
 قَلْتُ : هَذَا يَقُولُهُ عَدِيٌّ بْنُ زَيْدٍ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ ؛ قَالَ : فَأَنْشَدْنِيهَا ، فَأَنْشَدْتُهُ :
 بَكَرَ الْعَاذِلُونَ فِي وَضَحِ الصَّبِّ سَحَّ يَقُولُونَ لِي أَلَّا تَسْتَفِيْقُ
 وَيُلُومُونَ فِيكَ يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهُ وَالْقَلْبُ عِنْدَكُمْ مَوْهَوِقُ¹
 لَسْتُ أَدْرِي إِذَا أَكْثَرُوا الْعَذْلَ عِنْدِي أَعْدُوْ يُلُومَنِي أَوْ صَدِيقُ²
 زَانِهَا حَسَنُهَا وَفَرَعُ عَمِيمٍ وَأَثِيْتُ صَلْتُ الْجَبِيْنَ أُنِيقُ
 وَثَانِيَا مُفْلَجَاتٍ عَذَابٍ لَا قِصَارَ تُرَى وَلَا هُنَّ رُوقُ³
 فَدَعَوْا بِالصُّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ
 قَدَمْتُهُ عَلَى عُقَارِ كَعِيْنِ الْـ لَدَيْكَ صَفَى سُلَافِهَا الرَّأْوِقُ
 مُزَّةٌ قَبْلَ مَرْجِهَا فَإِذَا مَا مُزَجْتُ لَذَّ طَعْمِهَا مَن يَذُوقُ
 وَطَفْتُ فَوْقَهَا فِقَاقِيْعُ كَالِدٍ رَّ صِغَارٍ يُثِيرُهَا التَّصْفِيْقُ⁴
 ثُمَّ كَانَ الْمِزَاجُ مَاءً سَمَاءً غَيْرَ مَا آجَنِ وَلَا مَطْرُوقُ

قال : فطرب ، ثم قال : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا حَمَّادُ ، يَا جَارِيَةَ اسْقِيهِ ، فَسَقَنْتِي شَرْبَةً ذَهَبَتْ
 بثَلْثَ عَقْلِي . وقال : أَعِدْ ، فَأَعَدْتُ ، فَاسْتَخَفَّهُ الطَّرْبُ حَتَّى نَزَلَ عَنْ فَرْشِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِلجَّارِيَةِ
 الْآخَرَى : اسْقِيهِ ، فَسَقَنْتِي شَرْبَةً ذَهَبَتْ بِثَلْثِ عَقْلِي . فَقُلْتُ : إِنْ سَقَنْتِي الثَّالِثَةَ افْتَضَحْتُ ،
 فَقَالَ : سَلْ حَوَائِجَكَ ، فَقُلْتُ : كَائِنَةً مَا كَانَتْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قُلْتُ : إِحْدَى الْجَارِيَتَيْنِ ؛
 فَقَالَ لِي : هُمَا جَمِيعًا لَكَ بِمَا عَلَيْهِمَا وَمَا لُهُمَا ، ثُمَّ قَالَ لِلْأُولَى : اسْقِيهِ ، فَسَقَنْتِي شَرْبَةً⁵
 سَقَطَتْ مَعَهَا ، فَلَمْ أَعْقِلْ حَتَّى أَصْبَحْتُ فَإِذَا بِالْجَارِيَتَيْنِ عِنْدَ رَأْسِي ، وَإِذَا عِدَّةٌ مِنَ الْعُخْدَمِ مَعَ
 كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُنَّ بَذْرَةٌ ، فَقَالَ لِي أَحَدُهُنَّ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : خُذْ
 هَذِهِ فَانْتَفِعْ بِهَا ، فَأَخَذْتُهَا وَالْجَارِيَتَيْنِ وَانصرفت . هَذَا لَفْظُ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ . وَلَمْ يَقُلْ أَحْمَدُ بْنُ
 عُبَيْدٍ فِي خَبَرِهِ أَنَّهُ سَقَاهُ شَيْئًا ، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ طَرِبَ لِإِنْشَادِهِ ، وَوَهَبَ لَهُ الْجَارِيَتَيْنِ لَمَّا طَلَبَ
 إِحْدَاهُمَا ، وَأَنْزَلَهُ فِي دَارٍ ، ثُمَّ نَقَلَهُ مِنْ غَدٍ إِلَى مَنْزِلٍ أَعَدَّهُ لَهُ ، فَانْتَقَلَ إِلَيْهِ فَوَجَدَ فِيهِ الْجَارِيَتَيْنِ
 وَمَا لَهُمَا وَكُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ أَقَامَ عِنْدَهُ مَدَّةَ فَوْصِلٍ إِلَيْهِ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَهَذَا هُوَ

1 الموهوق : المشدود بالوهق : وهو الحبل المغار يرمى فيه أنشودة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

2 عندي في معجم الأدباء : فيها ، 1203/3 .

3 روق : طوال .

4 فقايقع في ل : فواقع .

5 في ل : عشرة .

الصحيح ؛ لأنَّ هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقي أحد بحضرته مسكراً ، وكان يُنكر ذلك ويعيبه ويعاقب عليه .

في أبيات عديّ المذكورة في هذا الخبر غناء ، نسبته :

[من الخفيف]

صوت

بكر العاذلون في وَضَح الصب ح يقولون ما له لا يُفِيقُ
ويلومون فيك يا ابنَةَ عبد الله والقلبُ عندكم مَوْهُوقُ
ثم نادوا إلى الصُّبُوح فقامتُ قَيْنَةٌ في يمينها إبريقُ¹
قدّمته على عُقار كعين الدُّ يك صفى سلافها الراوقُ

في البيتَيْن الأوّلين لحن من الثَّقِيل الأوّل مختلفٌ في صانعه ، نسبته يحيى بن المُكَيّ إلى معبد ، ونسبه الهشاميّ إلى حُثَيْن . وفي الثالث وهو «ثم نادوا» والرابع لعبد الله بن العباس الرِّبَيعيّ رَمَلٌ ، وفيهما خفيفٌ رَمَلٌ يُنسب إلى مالك وخفيفٌ ثَقِيل ، ذكر حبّش أنّه لِحْنَيْن .

[أجازه يوسف بن عمر بأمر الوليد وأرسله إليه مكرماً]

أخبرني محمد بن مَرْزِد والحسين بن يحيى قالا حَدَّثَنَا حَمَّاد بن إِسْحاق عن أبيه عن الأصمعيّ قال : قال حمّاد الراوية : كتب الوليدُ بن يزيد وهو خليفة إلى يوسف بن عمر : احملْ إليّ حمّاداً الراوية على ما أَحَبَّ من دوابِّ البريد ، وأعطيه عشرة آلاف درهم مَعُونَة له ؛ فلمّا أتاه الكتاب وأنا عنده نَبْذَه إليّ ، فقلتُ : السمع والطاعة ، فقال : يا ذُكَيْن بن شَجْرَة ، أعطه عشرة آلاف درهم ، فأخذتها . فلمّا كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودّعاً ، فقال : يا حمّاد ، أنا بالموضع الذي قد عرفت من أمير المؤمنين ، ولستُ مستغنياً عن ثنائِك ، فقلت : أصلح الله الأمير : «إنَّ العوان لا تعلّم الخِمْرَة»² . فخرجتُ حتّى أتيتُ الوليد بن يزيد وهو بالبَحْراء³ فاستأذنتُ فأذن لي ، فإذا هو على سريرٍ ممهّد وعليه ثوبان : إزار ورداء يقيئان الزعفران قَيْئاً ، وإذا عنده معبد ومالك وأبو كامل مولاه ، فتركني حتّى سكن جأشي ، ثم قال : أنشدني :

أَمِنَ المَنُونِ ورِيْهَها تَوَجَّعُ

فأنشدته إياها حتّى أتيتُ على آخرها . فقال لساقيه : اسقه يا سَبْرَة أكْوَساً ، فسقاني ثلاث أكْوَـس خدّرتُ ما بين الدَّوَابَة والنعل . ثم قال : يا معبد غنّني :

[من المَرْج]

1 نادوا في ل : ناروا .

2 مثل .

3 البَحْراء : ماءٌ مَنَتَة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

ألا هل جاءك الأظعا ن إذ جاوزن مُطَّلَحَا

فغناه . ثم قال : غنني : [من الوافر]

أتنسى إذ تودّعنا سليمى بفرع بشامية ، سُقيَ البشام¹

فغنني . ثم قال : غنني : [من البسيط]

جلا أُميَّة عنا كلَّ مَظْلَمَة سهلُ الحجابِ وأوفى بالذي وعدا

فغناه . ثم قال : اسقني يا غلام بزُبِّ فرعون ، فأتاه بقدح معوج فيه طول فسقاه به عشرين قدحاً . ثم أتاه الحجاب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، الرجل الذي طلبت بالباب ؛ فقال : أدخله ، فدخل غلام شاب لم أر أحسن منه وجهاً في رجله فدع² ، فقال : يا سيرة اسقه كأساً ، فسقاه ، ثم قال له : غنني : [من الرمل]

وهي إذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لعب

فغناه ، فنبد إليه أحد ثوبيه ، ثم قال : غنني : [من مجزوء الكامل]

طَرَقَ الخيالُ فمرحباً ألفاً بروية زينبا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين ، إنا مُقبلون إليك بأقدارنا وأساننا ، وإنك تتركنا بمزجر الكلب وأقبلت على هذا الصبي ؛ فقال : والله يا أبا عبّاد ما جهلتُ قدرك ولا سنك ، ولكن هذا الغلام طرحني على مثل الطيّاجن من حرارة غناؤه . فسألتُ عن الغلام ؟ فإذا هو ابن عائشة .

[كان في حانة فطلبه المنصور فجاءه وأنشد من شعر هفان بن همام]

حدّثني الحسن بن محمد المادرائي الكاتب قال حدّثني الرياشي عن العُتبيّ ، وأخبرني به هاشم بن محمد عن الرياشي ، وليس خبره بتمام هذا ، قال : طلب المنصور حماداً الراوية ، فطلب ببغداد فلم يوجد ، وسئل عنه إخوانه فعرّفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة ، فوجّهوا إليه برسول يُشخصه . قال الرسول : فوجدته في حانة وهو غريان يشرب نبيذاً من إجانة³ وعلى سواته رأس دَسْتَجَة⁴ ، فقلت : أجب أمير المؤمنين . فما رأيتُ رسالة أرفع ولا حالة أوضع من تلك . فأجاب ، فأشخصته إليه . فلما مثل بين يديه ، قال له : أنشدني شعر هفان بن همام بن نضلة يرثي أباه ؛ فأنشده :

[من الطويل]

1 البشام : شجر طيب الريح والطعم يُستاك به .

2 فدع : عوج وميل في المفاصل كلّها خلقة أو داء .

3 الإجانة : آنية تغسل فيها الثياب .

4 الدستجة : الإناء الكبير من الزجاج .

خليليَّ عوجاً إنَّها حاجةٌ لنا على قبر هَمَامٍ سقته الرواعدُ
على قبر مَنْ يُرجى نداءه ويُتغى جداه إذا لم يحمد الأرض رائدُ
كريم النَّثا حلو الشماثل بينه وبين المَرْجى نَفَنٌ متباعدُ¹
إذا نازع القومَ الأحاديثَ لم يكن عِيّاً ولا ثِقْلاً على مَنْ يقاعدُ
صبورٌ على العِلَّاتِ يُصبح بطنه خميصاً وآتية على الزاد حامدُ
وضعنا الفتى كلَّ الفتى في حَفيرة بحرّين قد راحت عليه العوائدُ²
صريعاً كنصل السيف تضربُ حوله ترائبهنَّ المُعولاتُ الفواقدُ
قال : فبكى أبو جعفر حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : هكذا كان أخي أبو العباس رضي
الله عنه .

[ذكره ابن إياس لابن الكردية فطلبه واستنشدته فأنشده شعراً أغضبه فضربه]

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان جعفر بن
أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكردية يستخفُّ مطيع بن إياس ويحبّه ، وكان منقطعاً إليه وله
منه منزلة حسنة ، فذكر له حمادُ الراوية ، وكان صديقه ، وكان مطرّحاً مجفوفاً في أيامهم ،
فقال : اتنا به لنراه . فأتى مطيع حماداً فأخبره بذلك وأمره بالمسير معه إليه ؛ فقال له حماد : دعني
فإن دولتي كانت مع بني أمية ومالي عند هؤلاء خير ، فأبى مطيع إلا الذهاب إليه ، فاستعار حماد
سواداً وسيفاً ثم أتاه ، ثم مضى به مطيع إلى جعفر . فلما دخل عليه سلّم عليه سلاماً حسناً وأثنى
عليه وذكر فضله ؛ فردّ عليه وأمره بالجلوس فجلس . فقال جعفر : أنشدني ؛ فقال : لمن أيها
الأمير ؟ الشاعر بعينه أم لمن حَضَرَ ؟ قال : بل أنشدني لجرير . قال حماد : فسُليخ والله شعر جرير
كلّه من قلبي إلا قوله :

بَانَ الخليطُ برامتين فودَّعوا أو كلّما اعترموا لبّين تجزَعُ

فاندفعتْ فأنشدته إياه ، حتى انتهت إلى قوله :

وتقول بوزُعُ قد دبَّت على العصا هلاً هزئتِ بغيرنا يا بوزُعُ

قال حماد : فقال لي جعفر : أعد هذا البيت ، فأعدته ؛ فقال : بوزُع ، أي شيء هو ؟
فقلت : اسم امرأة ؛ فقال : امرأة اسمها بوزُع ! هو بريء من الله ورسوله ونفي من العباس بن
عبد المطلب إن كانت بوزُع إلا غولاً من الغيلان ؛ تركتني والله يا هذا لا أنام الليلة من فزع

1 المَرْجى : الضعيف . النفن : الهوة بين الجبلين .

2 حُرّين : بلد قرب آمد .

بوزع ؛ يا غلمان ! فقاها ؛ فصُفِعْتُ والله حتى لم أدْرِ أين أنا ، ثم قال : جَرُّوا برجله : فجرُّوا برجلي حتى أخرجت من بين يديه مسحوباً ، فتخرَّق السواد وانكسر جفنُ السيف ولقيتُ شراً عظيماً ممَّا جرى عليّ ؛ وكان أغلظَ من ذلك كله وأشدَّ بلاءً إغرامِي ثمنَ السَّواد وجفنِ السيف ؛ فلما انصرفتُ أتاني مُطِيع يتوجَّع لي ؛ فقلت له : ألم أخبرك أنَّي لا أُصيب منهم خيراً وأنَّ حظِّي قد مضى مع بني أُميَّة ! .

[حديثه مع مأبون]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : بلغني أنَّ رجلاً تحدَّث في مجلس حماد الراوية فقال : بلغني أنَّ المأبون له رحم كرحم المرأة ، قال : وكان الرجل يُرمى بهذا الداء فقال حماد لغلامه : اكتب هذا الخبر عن الشيخ ، فإن خير العلم ما حُمِلَ¹ عن أهله .

[كتب إلى بعض الأشراف شعراً يسأله جبةً فأرسلها إليه]

قال : وكتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال : [من الخفيف]

إنَّ لي حاجةً فرأيتُ فيها لك نفسي فدى من الأوصابِ
وهي ليست ممَّا يُلغها غيب ري ولا يستطيعها في كتابِ
غير أنَّي أقولها حين ألقا ك رؤيداً أُسرُّها في حجابِ

فكتب إليه الرجل : اكتب إليَّ بحاجتك ولا تشهري بشعرك ؛ فكتب إليه حماد : [من الخفيف]

إنَّني عاشقٌ لجيتك الدُّك بناءً عشقاً قد حال دون الشرابِ
فاكسنيها فدتك نفسي وأهلي أتباهي بها على الأصحابِ
ولك الله والأمانة أن أج علها عمرها أميرَ ثيابي

فبعث إليه بها . وقد رُوِيَتْ هذه القصَّة لمُطِيع بن إياس .

[هو والخزيمي وغلام أمرد]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثني أبو يعقوب الخزيمي² قال : كنت في مجلس فيه حماد عَجَرْد وحماد الراوية ومعنا غلام أمرد ، فنظر إليه حماد الراوية نظراً شديداً وقال لي : يا أبا يعقوب ، قد عزمت الليلة على أن أدبَّ على هذا الغلام ؛ فقلت : شأنك به ؛ ثم نِمْنَا ، فلم أشعر بشيء إلا وحماد ينيكني ، وإذا أنا قد غلِطت ونمت في موضع الغلام ، فكرهت أن أتكلَّم فينتبه الناس فأفتضح وأبطلَ عليه ما أراد ، فأخذت بيده فوضعتها

1 في ل : أخذ .

2 الخزيمي : هو إسحاق بن حسان يكنى أبا يعقوب .

على عيني العوراء ليعرفني ؛ فقال : قد عرفتُ الآن ، فيكون ماذا ؟ وفديناه بذبحٍ عظيم .
قال : وما برح علم الله وأنا أعالجه جهدي فلا ينفعني حتى أنزل .

[أهدى إلى صديق له غلاماً]

قال إسحاق : وأهدى حماد إلى صديق له غلاماً وكتب إليه : قد بعثت إليك غلاماً تتعلم عليه كظم الغيظ .

[استهدى نبذاً من صديق له فأجابه]

قال : واستهدى من صديق له نبذاً فأهدى إليه دُستِجة نبذ تمرى . فكتب إليه : لو عرفت في العدد أقل من واحد ، وفي الألوان شراً من السواد ، لأهديته إلي .

[رد على مغني أخطأت في شعر]

قال : وسمع مغنية تغني :

[من الخفيف]

عاد قلبي من الطويلة عاد¹

فقال : وثمود ، فإن الله عز وجل لم يفرق بينهما . والشعر :

[من الخفيف]

عاد قلبي من الطويلة عِيد

[أنشده رجل شعراً فأنكره عليه وقال اهجني فهجاه]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثني أبو عثمان اللاحيقي ،
وأخبرني به محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن بشر بن الفضل بن
لاحق قال : جاء رجل إلى حماد الراوية فأنشده شعراً وقال : أنا قلته ؛ فقال له أنت لا
تقول مثل هذا ، هذا ليس لك ، وإن كنت صادقاً فاهجني . فذهب ثم عاد إليه فقال له :
قد قلتُ فيك :

[من الطويل]

سيعلم حماد إذا ما هجوته	انتحل الأشعار أم أنا شاعر
ألم تر حماداً تقدّم بطنه	وأخر عنه ما تُجنّ المازر
فليس براء خصيتيه ولو جئنا	لركبته ، ما دام للزيت عاصر
فيا ليته أمسى قعيدة بيته	له بعل صدق كومه متواتر ²
فحماد نعم العرس للمرء يتغي الـ	نكاح وبئس المرء فيمن يفاخر

فقال حماد : حسبنا ، عافاك الله ، هذا المقدار وحسبك ؛ قد علمنا أنك شاعر وأنت قائل

1 الطويلة : روضة الصمان .

2 الكوم : النكاح .

الشعر الأول وأجود منه ، وأحب أن تكتم هذا الشعر ولا تديعه فتفضّحني ؛ فقال له : قد كنت غنياً عن هذا . وانصرف الرجل وجعل حماد يقول : أسمعتم أعجب مما جرّرتُ على نفسي من البلاء ! .

[عاب شعراً لأبي الغول فهجاه]

حدثني الأسدي أبو الحسن قال حدثنا الرياشي قال حدثنا أبو عبد الله الفهمي قال : عاب حماد الراوية شعراً لأبي الغول فقال يهجوه :

[من الكامل]

نعم الفتى لو كان يعرف ربه	ويقيم وقت صلاته حماد
هذلت مشافره الدنان فأنفه	مثل القدوم يسنها الحداد
وآبيض من شرب المدامة وجهه	فبياضه يوم الحساب سواد
لا يعجبك بزه وثيابه	إن اليهود ترى لها أجلاذ
حماد يا ضبعا تجر جعارها	أخني لها بالقريتين جراد ¹
سبعاً يلاعبها ابنها ويناتها	ولها من الخرق الكبار وساد

[من الكامل]

قال معنى قوله :

أخني لها بالقريتين جراد²

هو مثل قول العرب للضبع : خامري³ أم عامر ، أبشري بجراد⁴ عظام وكمر رجال ؛ فإن الضبع تجيء إلى القتل وقد استلقى على قفاه ، وانتفخ غرؤوله فكان كالمنعظ ، فتحتك به وتحيض من الشهوة ، فيثب عليها الذئب حينئذ فتلد منه السمنع ، وهو دابة ، لا يولد له مثل البغل . وفي مثل هذا المعنى يقول الشنفرى الأزدي .

[من الرمل]

تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب لها يستهل⁵

تضحك : تحيض .

[كان لصائم تاب وطلب الأدب والشعر]

وقال ابن النطاح : كان حماد الراوية في أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك والصوص ، فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حماد

1 الجعار : جمع جعر ، والجعر : نجو كل ذات مخلب من السباع . وجعار : اسم الضبع لكثرة جعرها .

2 أخني الجراد : كثر بيضه .

3 خامري : استتري .

4 الجراد العظام الذي ركب بعضه بعضاً كثرة .

5 يستهل : يصيح ويستغوي الذئاب . اختلف المفسرون حول تضحك ، وأغلبهم على أنها تكشر .

فاستحلاه وتحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ .

[استشده المهدي أحسن أبيات في السكر ثم أجازته]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن أبيه عن جدّه عن حمّاد الراوية قال : دخلتُ على المهدي فقال : أنشدني أحسن أبيات قيلت في السكر ، ولك عشرة آلاف درهم وخيلتان من كسوة الشتاء والصيف ؛ فأنشدته قول الأخطل : [من البسيط]

ترى الزجاج ولم يُطْمَثْ يُطيف به كأنه من دم الأجواف مُختَضَبُ¹
حتى إذا افتَضَ ماءُ المزن عُذرتَها راح الزجاجُ وفي ألوانه صَهَبُ
تنزرو إذا شجّها بالماء مازجُها نزّو الجنادب في رمضاء تلهبُ
راحوا وهم يحسبون الأرض في فُلك إن صرّعوا وقت الرّاحات والرّكبُ

فقال لي : أحسنت وأمر لي بما شرّطه ووعدني به فأخذته .

[مدح بلال بن أبي بردة فأنكر ذو الرمة أنه شعره]

حدثني اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثني صالح بن سليمان قال : قدم حمّاد الراوية على بلال بن أبي بردة البصرة ، وعند بلال ذو الرمة ، فأنشده حمّاد شعراً مدحه به ؛ فقال بلال لذي الرمة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيداً وليس له ؛ قال : فمن يقوله ؟ قال : لا أدري إلا أنه لم يقله ؛ فلما قضى بلال حوائج حمّاد وأجازته ، قال له : إن لي إليك حاجة ؛ قال : هي مقضية ؛ قال : أنت قلت ذلك الشعر ؟ قال : لا ؛ قال : فمن يقوله ؟ قال : بعض شعراء الجاهلية ، وهو شعر قديم وما يرويه غيري ؛ قال : فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام .

[أنشد بلالاً شعراً في مدح أبي موسى نسبة للخطيئة]

قال صالح : وأنشد حمّاد الراوية بلال بن أبي بردة ذات يوم قصيدة قالها ونخلها الخطيئة يمدح أبا موسى الأشعري يقول فيها :

جمعت من عامرٍ فيها ومن جُشَم ومن تميمٍ ومن حاءٍ ومن حام
مُستَحِقّيات رواياها جحافلها يسمو بها أشعري طَرْفُه سامي
فقال له بلال : قد علمتُ أنّ هذا شيء قلته أنت ونسبته إلى الخطيئة ، وإلا فهل كان

يجوز أن يمدح الخطيئة أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه ! ولكن دعها تذهب في الناس وسيرها حتى تشتهر ، ووصله .

[يرى الفضل الضبي أنه أفسد شعر العرب بتخليطه وغله شعره للقماء]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخزاز يقول سمعت ابن الأعرابي يقول سمعت الفضل الضبي يقول : قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً . فقيل له : وكيف ذلك ؟ أخطىء في روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟

[اجتمع مع الفضل الضبي عند المهدي فأجازه لجودة شعره وأبطل روايته]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني السعيد الراوية وأبو إياد المؤدب ، وكان مؤدبي ثم أدب المعتصم بعد ذلك وقد تعالت سنه ، وحدثني بنحو من ذلك عبد الله بن مالك وسعيد بن سلم² وحدثني به ابن غزالة أيضاً واتفقوا عليه : أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيساباذ³ ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب ، فدعا بالفضل الضبي الراوية فدخل ، فمكث ملياً ثم خرج إلينا ومعه حماد والفضل جميعاً وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم ، وفي وجه الفضل السرور والنشاط ، ثم خرج حسين الخادم معهما ، فقال يا معشر من حضر من أهل العلم : إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل الفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته ، فمن أراد يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن الفضل ؛ فسألنا عن السبب فأخبرنا أن المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده : إني رأيت زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

[من السريع]

دع ذا وعد القول في هرم

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال له الفضل : ما سمعت يا أمير

1 في ل : بأن .

2 لعنه سعيد بن سلم الباهلي أبو عمرو وقد كان معاصراً لعبد الله بن مالك الخزاعي .

3 محلة كانت شرقي بغداد كانت إقطاعاً لعيسى بن المهدي .

المؤمنين في هذا شيئاً إلا أنني توهمته كان يفكر في قول بقوله ، أو يُروى في أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال دع ذا ، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا ، أي دع ما أنت فيه من الفكر وعدّ القول في هرم ؛ فأمسك عنه . ثم دعا بحماد فسأله عن مثل ما سأله عنه المفضل ، فقال ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ؛ قال فكيف قال ؟ فأنشده : [من الكامل]

لَمَن الديارُ بَقَّةَ الحَجَرِ أَقْوَيْنَ مُذْ حَجَجَ وَمُذْ دَهَرُ
قَفَرَ بِمُنْدَقِ النَحَائِثِ مِنْ ضَفَوَى أُولَاتِ الضَّالِّ وَالسُّدْرِ¹
دَعَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ خَيْرِ الْكُهُولِ وَسَيِّدِ الْحَضَرِ

قال : فأطرق المهدي ساعة ، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبراً لا بدّ من استخلاصك عليه ، ثم استحلفه بأيمان البيعة وكلّ يمين مُخرِجة ليصدقته عن كلّ ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثّق منه . قال له : اصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير ؛ فأقر له حينئذ أنه قائلها ؛ فأمر فيه وفي المفضل بما أمر به من شهرة أمرها وكشفه .

[سأله الوليد عن مقدار روايته واستنشدته شعراً في الخمر وأجازه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال حدثنا الأصمعي قال : قال حماد الراوية : أرسل إليّ أمير الكوفة فقال لي : قد أتاني كتاب أمير المؤمنين الوليد بن يزيد يأمرني بحملك . فحُملت فقدمت عليه وهو في الصيد . فلما رجع أذن لي ، فدخلت عليه وهو في بيت منجد² بالأرمني³ أرضه وحيطانه ؛ فقال لي : أنت حماد الراوية ؟ فقلت له : إن الناس ليقولون ذلك ؛ قال : فما بلغ من روايتك ؟ قلت : أروي سبعمائة قصيدة أول كلّ واحدة منها : بانت سعاد ؛ فقال : إنها لرواية ؛ ثم دعا بشراب فأتته جارية بكأس وإبريق فصبت في الكأس ثم مزجته حتى رأيت له حباباً ؛ فقال : أنشدني في مثل هذه ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هي كما قال عدي بن زيد :

بَكَرَ الْعَاذِلُونَ فِي وَضَحِ الصَّبِ ح يَقُولُونَ لِي أَلَا تَسْتَفِيقُ
ثُمَّ ثَارُوا إِلَى الصَّبُوحِ فَقَامَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيقُ
قَدَّمَتْهُ عَلَى سُلَافٍ كَرِيحِ الـ حَمْسِكَ صَفَى سُلَافَهَا الرَّأُوقُ

1 النحائث : آبار في موضع معروف . ضَفَوَى : مكان دون المدينة .

2 المنجد : المزين .

3 لعلّه نوع من الحرير منسوب إلى أرمن بأذربيجان .

فَتَرَى فَوْقَهَا فِقَاقِيعَ كَالِيَا قَوْتُ يَجْرِي خِلَالَهَا التَّصْفِيقُ¹

قال : فشربها ولم يزل يستعيدني الأبيات ويشرب عليها حتى سكر ؛ ثم قام فتناول مِرْفَقَةً من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى : مَنْ يَشْتَرِي لَحْمَ الْبَقَرِ ؟ ثم قال لي : يا حماد ، دونك ما في البيت فهو لك ؛ فكان أَوَّلَ مَا تَأْتَلْتُهُ .

[حمقه خلف الأحمر وطعن في روايته]

حَدَّثَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُرَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا دِمَازُ² عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : قَالَ خَلْفٌ : كُنْتُ أَخْذُ مِنْ حَمَّادِ الرَّائِيَةِ الصَّحِيحَ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأُعْطِيهِ الْمُنْحُولَ ، فَيَقْبَلُ ذَلِكَ مِنِّي وَيَدْخُلُهُ فِي أَشْعَارِهَا . وَكَانَ فِيهِ حَمَقٌ .

[أُنشِدَ زِيَادُ شِعْرًا لِلْأَعْشَى فِيهِ اسْمُ أُمِّهِ فَغَضِبَ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانَ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِ فِرَاسٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُسَوَّرُ الْعَنْزِيُّ ، وَكَانَ مِنْ رِوَاةِ الْعَرَبِ وَكَانَ أَسَنُّ مِنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ ، [عَنْ حَمَّادٍ] قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى زِيَادٍ فَقَالَ لِي : أُنْشِدْنِي ؛ فَقُلْتُ : مِنْ شِعْرِ مَنْ أَتَيْهَا الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : مِنْ شِعْرِ الْأَعْشَى ؛ فَأُنْشِدْتُهُ :

بَكَرَتْ سُمَيَّةٌ غُدُوَّةً أَجْمَالُهَا

قال : فما أتممت القصيدة حتى تبيّنت الغضب في وجهه ؛ وقال الحاجب للناس : ارتفعوا ؛ فقاموا ؛ ثم لم أَعُدْ وَاللَّهِ بَعْدَهَا إِلَيْهِ . قَالَ حَمَّادٌ : فَكُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا اسْتَنْشَدَنِي خَلِيفَةً أَوْ أَمِيرًا تَنَبَّهْتُ قَبْلَ أَنْ أُنْشِدَهُ لِئَلَّا يَكُونَ فِي الْقَصِيدَةِ اسْمُ أُمِّ لَهْ أَوْ ابْنَةِ أَوْ أُخْتٍ أَوْ زَوْجَةٍ .

[سَأَلَهُ الْوَلِيدُ عَنْ سَبَبِ تَسْمِيَّتِهِ بِالرَّائِيَةِ فَاجَابَهُ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانَ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ لِحَمَّادِ الرَّائِيَةِ : لِمَ سُمِّيتَ الرَّائِيَةُ ؟ وَمَا بَلَغَ مِنْ حِفْظِكَ حَتَّى اسْتَحَقَقْتَ هَذَا الْاسْمَ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ يَجْرِي عَلَى ثَمَانِيَةِ وَعَشْرِينَ حَرْفًا ، أَنَا أُنْشِدُكَ عَلَى كُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا مِائَةَ قَصِيدَةٍ ؛ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا لِحِفْظٍ ؛ هَاتِ ، فَانْدَفَعْتُ بِشِدِّ حَتَّى مَلَّ الْوَلِيدُ ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْإِسْتِمَاعِ مِنْهُ خَلِيفَةً حَتَّى وَفَّاهُ مَا قَالَ ؛ فَأَحْسَنَ الْوَلِيدُ صِلَتَهُ وَصَرَفَهُ .

[أَمَرَ الْوَلِيدُ يُوسُفَ بْنَ عَمْرِ بْنِ إِسْحَاقَ إِلَى وَاسْتَنْشَدَهُ شِعْرًا فِي الْخَمْرِ]

أَخْبَرَنِي الْحَرْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الدِّينَارِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : قَالَ حَمَّادُ الرَّائِيَةِ : أُرْسِلَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ إِلَيَّ بِمِائَتِي دِينَارٍ ، وَأَمَرَ يُوسُفَ بْنَ

1 فِقَاقِيعَ : فِي ل : فَوَاقِعَ .

2 دِمَازُ : هُوَ أَبُو غَسَّانَ رَفِيعُ بْنُ سَلَمَةَ صَاحِبُ أَبِي عُبَيْدَةَ . وَدِمَازُ لَقَبُ كَانَ يُنْبِئُ بِهِ .

عمر بحملي إليه على البريد . قال فقلت : لا يسألني إلا عن طرفيه قريش وثقيف ، فنظرت في كتابي قريش وثقيف . فلما قدّمت عليه سألتني عن أشعار بلي ، فأنشدته منها ما استحسنته ؛ ثم قال : أنشدني في الشراب ، وعنده وجوه من أهل الشام ، فأنشدته : [من مجزوء الخفيف]

أصبح القوم قهوةً في أباريق تحتذى
من كميتٍ مدامةٍ حبذا تلك حبذا
يترك الأذن شربها أرجواناً بها خذا

فقال : أعدّها ، فأعدتها ؛ فقال لخدمه : خذوا آذان القوم ، فأتينا بالشراب فسقينا حتى ما درينا متى نقلنا ؛ قال : ثم حملنا وطرحنا في دار الضيفان ، فما أيقظنا إلا حرّ الشمس . وجعل شيخ من أهل الشام يشتمني ويقول : فعل الله بك وفعل ، أنت الذي صنعت بنا هذا . [أنشده الطرماح شعراً فزاد فيه وادّعه لنفسه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ قال حدثني أبو عبيدة قال حدثني يحيى بن صبيرة بن الطرمّاح بن حكيم عن أبيه عن جدّه الطرمّاح قال : أنشدت حمّاداً الراوية في مسجد الكوفة ، وكان أذكى الناس وأحفظهم . قولي : [من الكامل]

بأن الخليط بسحرة فتبدّوا¹

وهي ستون بيتاً ، فسكت ساعة ولا أدري ما يريد ثم أقبل عليّ فقال : أهذه لك ؟ قلت : نعم ؛ قال : ليس الأمر كما تقول ، ثم ردّها عليّ كلّها وزيادة عشرين بيتاً زادها فيها في وقته ؛ فقلت له : ويحك ! إن هذا الشعر قلته منذ أيام ما أطلع عليه أحد ؛ قال : قد والله قلت أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فعليّ وعليّ ؛ فقلت : لله عليّ حجة حافياً راجلاً إن جالستك بعد هذا أبداً ؛ فأخذ قبضة من حصى المسجد وقال : لله عليّ بكلّ حصاة من هذا الحصى مائة حجة إن كنت أبالي ؛ فقلت : أنت رجل ماجن والكلام معك ضائع ثم انصرفت . قال دماذ : وكان أبو عبيدة والأصمعيّ ينشدان بيتي الطرمّاح في هذه القصيدة وهما : [من الكامل]

مُجتاب حُلّة بُرجدٍ لسرّاته قَدَدًا وأخلفَ ما سواه البُرجد²
يبْدو وتضمّره البلاد كأنه سيفٌ على شرفٍ يُسلُّ ويُعمدُ

وكانا يقولان : هذا شعر الناس في هذين [البيتين] .

1 السُّحْرَة : السَّحَر الأعلَى أيّ أوّل السحر .

2 هذان البيتان في وصف ثور . اجتاب القميص : لبسه . البرجد : كساء من صوف أحمر ، وقيل : كساء غليظ ، أو كساء مخطّط يصلح للخباء . سرّاته : ظهره .

[78] - أخبار عبادل ونسبه

[نسبه ومنزلته من الغناء]

هو عبادل بن عطية مولى قريش ، مكي ، مغنٌ مُحسنٌ متقدمٌ من الطبقة الثانية التي منها يونس الكاتب وسياطٌ ودخمان . وكان حسنَ الوجه ، نظيفَ الثياب ظريفاً ، ولم يفارق الحجاز ولا وفد إلى الملوك من بني أمية كما وفد غيره من طبقته ومن هو فوقها . ويقال إنه كان مقبولَ الشهادة .

[صفته ، وكان يغني مشيخة قريش وله صنعة كثيرة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثنا حماد عن ابن أبي جناح قال : كان عبادل بن عطية سرّياً نبيلاً نظيفاً ساكنَ الطرف حسنَ العشرة ، وكان يعاشر مشيخة قريش وجلة أحداثها ، فإذا أرادوا الغناء منه غنى فأحسن وأطرب . وكانت له صنعة كثيرة .

منها : [من البسيط]

تقول يا عمّتا كُفّي جوانبه وئلي بليت وأئلي جيدي الشعرُ

ومنها : [من المتقارب]

أمن حذرّ البين ما ترقُدُ ودمعك يجري فما يجمدُ

ومنها : [من الكامل]

إني استحيئك أن أفوه بحاجتي فإذا قرأتَ صحيفتي ففتهم

ومنها : [من البسيط]

قولاً لنائل ما تقضين في رجلٍ يهوى هواك وما جنته اجتبا

ومنها : [من الطويل]

علام ترينَ اليومَ قتلي لديكم حلالاً بلا ذنبٍ وقتلي محرمٌ

[قال] : وكانوا يقولون له : ألا تُكثر الصنعة ؟ فيقول : بأبي أنتم ، إنما أُنحت من صخرٍ ، ومن أكثر أرذل .

نسبة هذه الأصوات صوت

[من المتقارب]

أَمِنْ حَذَرِ الْبَيْنِ مَا تَرَقَدُ وَدَمْعُكَ يَجْرِي فَمَا يَجْمَدُ
دَعَانِي إِلَى الْحَيْنِ فَاقْتَادِنِي فَوَادُ إِلَى شِقْوَتِي يَعْجَدُ
فَلَوْ أَنَّ قَلْبِي صَحَا وَارْعَوَى لَكَانَ لَهُ عَنْكُمْ مَقْعَدُ
يَبِيدُ الزَّمَانُ وَحُبِّي لَكُمْ يَزِيدُ خَبَالاً وَمَا يَنْفَدُ

الغناء لعبادل ثقیلٌ أَوَّلُ بالسَّيَّالَةِ والوسطى عن ابن المَكِّيِّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقیل .
ومنها :

[من الكامل]

صوت

إِنِّي اسْتَحَيْتُكَ أَنْ أَفُوهُ بِحَاجَتِي فَإِذَا قَرَأْتَ صَحِيفَتِي فَتَفْهَمُ
وَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ أَنْبَأْتَهُ أَهْلَ السَّيَّالَةِ إِنْ فَعَلْتَ وَإِنْ لَمْ
هَكَذَا قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ ، وَالْمَغْنُونُ يَغْنُونُهُ :
وَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ أَخْبَرْتَهُ أَحَدًا وَإِنْ أَظْهَرْتَهُ بِتَكْلُمِ

الشعر لابن هَرْمَةَ . والغناء لعبادل .

[طلب ابن هرمة بشعره من الحسن بن حسن خمراً فوشى به إلى الوالي فقرّ هو وصحبه]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ الْجَعْفَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ حَسَنَ بْنَ حَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ كَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ ، وَفِيهِ يَقُولُ
ابْنُ هَرْمَةَ :

إِنِّي اسْتَحَيْتُكَ أَنْ أَفُوهُ بِحَاجَتِي فَإِذَا قَرَأْتَ صَحِيفَتِي فَتَفْهَمُ
وَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ أَنْبَأْتَهُ أَحَدًا وَلَا أَظْهَرْتَهُ بِتَكْلُمِ

قال عبد الله بن محمد الجَعْفَرِيُّ : وكان ابن هرمة كما حدثني أبي يشرب هو وأصحابه له
بشرف¹ السَّيَّالَةِ عند سَمَرَةٍ بالشَّرَفِ يُقال لها سَمَرَةٌ جَرَانَةٌ فَنَفِدَ شَرَابُهُمْ ؛ فَكُتِبَ إِلَى حَسَنَ بْنِ
حَسَنَ بْنِ عَلِيٍّ يَطْلُبُ مِنْهُ نَبِيذًا ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ . فَلَمَّا قَرَأَ حَسَنٌ رَقْعَتَهُ قَالَ : وَأَنَا
عَلِيٌّ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ لَمْ أَخْبِرْ بِهِ عَامِلُ السَّيَّالَةِ ، أَمْنِي يَطْلُبُ الدَّعِيَّ الْفَاعِلُ نَبِيذًا ؟ وَكُتِبَ إِلَى عَامِلِ

1 شرف السَّيَّالَةِ : منزل بين ملل والروحاء .

السيالة أن يجيء إليه فجاء لوقته ، فقال له : إن ابنَ هرمة وأصحابه السفهاء يشربون عند سَمْرَةٍ جرانة ، فاخرج فخذهم ؛ فخرج إليه العامل بأهل السيالة ، وأنذرَ بهم ابنَ هرمة فسبقهم هرباً ، وتعلق هو وأصحابه بالجبل ففاتوهم . وقال في حسن : [من الوافر]

كُتِبَ إِلَيْكَ أَسْتَهْدِي نَبِيذاً وأدلي بالجوار وبالحقوق
فخبرتَ الأميرَ بذاك غَدراً وكنتَ أخوا مُفاضحةً وموقٍ¹

ومنها : [من الطويل]

صوت

علامَ تَرَيْنَ اليومَ قَتلي لديكم حلالاً بلا ذنب وقتلي مُحَرَّمٌ
لكِ النفسُ ما عاشت وقاءً من الردى ونحن لكم فيما تَجَنَّبْتَ أَظْلَمُ

وأما صنعته في : [من البسيط]

قولا لنائلَ ما تَقْضِيَن في رجلٍ

فإن الشعرَ لَمُسْعَدَة بنَ الْبَحْثَرِيِّ ابنِ أُخي المَهْلَبِ بنِ أَبِي صُفْرة . والغناء لَعْبَادِل . وقد ذكرتُ ذلك في موضع من هذا الكتاب مفرد ، لأنَّ نائلة² التي عُنِيَتْ بهذا الشعر هي بنت المَيْلَاء ، ولها أخبارُ ذكرتُ في موضع مفرد صَلَّحت له .

ومنها : [من البسيط]

صوت

تقول يا عَمَّتَا كُفِّي جوانبه وَئلي بَلِيَتْ وَأبلي جِيْدِي الشَّعْرُ
مثلُ الأَسَاوِدِ قد أَعْيَا مَوَاشِطَه تَضِلُّ فِيهِ مَدَارِيهَا وتَنكسرُ³
فإن نَشَرْتَ على عَمْدٍ ذَوَائِبَهَا أَبْصَرْتَ مِنْهُ فَتَيْتَ الْمِسْكَ يَنْتَشِرُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لَعْبَادِل ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسَّبَابَةِ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسَّبَابَةِ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثَقِيل يُنسب إلى دَحْمَان وإلى الْغَرِيض وإلى عْبَادِل أيضاً .

1 الموق : الحق .

2 نائلة : هي بنت عمر بن يزيد الأسدي أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم . وكان أبوها سيِّداً شريفاً ، وكان على شرط العراق من قبل الحجاج .

3 الأَسَاوِد : الحيات .

صوت من المائة المختارة

[من البسيط]

ليستْ نَعَمْ مِنْكَ لِلْعَافِينَ مُسَجَّلَةٌ من التخلُّقِ لَكِنْ شِيمَةٌ خُلُقٌ¹
يكاد بأبْكَ مِنْ عِلْمٍ بِصَاحِبِهِ من دون بَوَّابِهِ لِلنَّاسِ يَنْدَلِقُ²

[شعران متشابهان لابن هرمة وطريح بن إسمايل الثقفي]

إسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقليل الأوَّل بالنصر عن عمرو . وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أنَّ الشعر لطريح . وذكر يعقوب بن السُّكَيْت أنَّه لابن هرمة . والغناء في اللحن المختار لشهية مولاة العَبَلاتِ خفيفٌ رَمَلٌ بالنصر في مجراها . فمن روى هذه الأبيات لابن هرمة ذكر أنَّها من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ؛ ومن ذكر أنَّها لطريح ذكر أنَّها من قصيدة له يمدح بها الوليد بن يزيد . والصحيح من القولين أنَّ البيت الأوَّل من البيتين لطريح والثاني لابن هرمة . فبيت طريح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وهي طويلة ، يقول في تشبيها :

تقول والعيسُ قد شُدَّتْ بِأَرْحُلِهَا أَلْحَقَّ أَنْتَ مِنَّا الْيَوْمَ مَنْطَلِقُ ؟
قُلْتُ نَعَمْ فَاكْظِمِي قَالَتْ وَمَا جَلْدِي وَلَا أَظُنُّ اجْتِمَاعاً حِينَ نَفْتَرُقُ
فَقُلْتُ إِنْ أَحْيَا لَا أَطُولُ بِعَادَتِكُمْ وَكَيْفَ وَالْقَلْبُ رَهْنٌ عِنْدَكُمْ غَلَقُ³
فَارْقَتْهَا لَا فَوَادِي مِنْ تَذَكُّرِهَا سَالِي الِاهْمُومِ وَلَا حُبْلِي لَهَا خَلَقُ
فَاضَتْ عَلَى إِثْرِهِمْ عَيْنَاكَ دَمْعُهَا كَمَا تَتَابَعُ يَجْرِي اللَّوْلُو النَّسَقُ

صوت

[من البسيط]

فَاسْتَبَقِي عَيْنَكَ لَا يُودِي الْبُكَاءُ بِهَا وَاكْضِفْ بُوَادِرَ دَمْعٍ مِنْكَ تَسْتَبِقُ
لَيْسَ الشَّوْنُ وَإِنْ جَادَتْ بِيَاقِيَةٍ وَلَا الْجَفُونُ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ

إسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقليل الأوَّل بالنصر عن عمرو ، يقول فيها في مدح

1 ليست في ل : وما . مسجلة : مبدولة أو مرسله .

2 اندلاق الباب : انفتاحه سريعاً .

3 غَلَقَ الرَّهْنُ غَلَقاً : استحققه المرتهن .

الوليد :

[من البسيط]

وما نَعَمْ منك للعافين مُسَجَلَةٌ من التخلُّق لكنَّ شِمةً خُلِقُ
ساهمتَ فيها وفي لا فاختَصَصْتَ بها وطار قومٌ بلا والذمَّ فانطَلَقوا
قوم هم شَرَف الدنيا وسودُّها صَفُّوا على الناس لم يُخلَط بهم رَنَقُ
إن حاربوا وَضَعُوا أو سلموا رَفَعُوا أو عاقدوا ضَمِنُوا أو حَدَّثُوا صدَقُوا¹

وأما قصيدة إبراهيم بن هرمة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها ، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها . ومن أبي أحمد² رحمه الله سَمِعْنَا ذلك أجمع . ولكنه حكى عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق . ولعله لم يتفق ذلك ، أو لعلَّ أحدَ الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحلله وسرقه من قائله .

[ابن هرمة ومدحه عبد الواحد بن سليمان وتعريضه بالعباس بن الوليد]

أخبرني يحيى بن علي قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة ، وحدَّثني به وكيع قال حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة وخبره أتم قال : قال العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وكان بخيلاً لا يحبُّ أن يُعطي أحداً شيئاً ، ما بالُ الشعراء تمدح أهل بيتي أجمع ولا تمدحني ؟ . فبلغ ذلك ابنَ هرمة ، وكان قد مدحه فلم يُثبه ، فقال يعرض به ويمدح عبد الواحد بن سليمان :

[من البسيط]

ومُعجَب بمدح الشعر يمنعُه من المدح ثوابُ المدح والشَّقُّ
يا آبي المدح من قولٍ يُحِبُّه ذو نِيقَةٍ في حواشي شعره أنقُ³
إنك والمدح كالعذراء يُعجبها مسُّ الرجال ويثني قلبها الفرقُ
لكنَّ بمدَّين من مفضي سُويمرة⁴ من لا يُذمَّ ولا يُشَنَّا له خلُقُ⁴
أهلُ المدائح تأتيه فتمدحه والمادحون إذا قالوا له صدَقوا

يعني عبد الواحد بن سليمان :

لا يستقرَّ ولا تخفى علامته إذا القنا شالَ في أطرافها الحرقُ⁵

1 ضمنوا في ل : أحكموا .

2 هو أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم من شيوخ أبي الفرج .

3 النيقة : اسم من التنوق . يقال تنوق فلان في منطقته وملبسه واموره إذا تجود وبالح . الأنق : الروعة والحسن .

4 مدَّين : مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام ، وسويمرة : موضع في نواحي المدينة .

5 شال : ارتفع . والحرق : لهب النار .

في يومٍ لا مالَ عند المرء ينفعه إلاَّ السَّنانُ وإلاَّ الرمح والدرقُ
يَظعن بالرمح أحياناً ويضربهم بالسيف ثم يُدانيهم فيعتقُ
وهذا البيت سرقه ابن هرمة من زهير ومن مهلهل جميعاً ، فإنَّهما سبقا إليه . قال مهلهل
وهو أقدمهما :

انْبَضُوا مَعْجِسَ الْقِسِيِّ وَأَبْرَقَ بنا كما تُوعِدُ الْفُحُولُ الْفُحُولاً¹
يعني أنهم لما أخذوا الْقِسِيَّ ليرموهم من بعيد انتَضَوْا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم
بها .

وقال زهير وهو أشرح من الأول :
يَظعنُهم ما ارتَمَوْا حتى إذا أطعنوا ضاربَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا
فما ترك في المعنى فضلاً لغيره .

رجع إلى شعر ابن هرمة : [من البسيط]

يكاد بأبك من جود ومن كرم من دون بوابه للناس يندلقُ
ويروى : «إذا أطاف به الجادون» . و«العافون» أيضاً . ويروى : «ينبلق» .
إِنِّي لَأَطْوِي رجلاً أَنْ أَزورَهُمْ وفيهم عَكَرَ الْأَنْعامِ وَالْوَرَقُ²
طَيَّ الثياب التي لو كُشِفَتْ وَجِدَتْ فيها الْمَعَاوِزُ فِي التَّفْتِيشِ وَالخِرَقُ³
وأترك الثوبَ يوماً وهو ذو سعة وألْبَسَ الثوب وهو الضيقُ الْخَلَقُ⁴
إكرامَ نفسي وأنِّي لا يوافقني ولو ظَمِئْتُ فَحُمْتُ الْمَشْرَبُ الرَّيْقُ⁴

قال هارون⁵ بن الزيات في خبره : فلما قال ابن هرمة هذه القصيدة أنشدها عبد الواحد بن
سليمان وهو إذ ذاك أمير الحجاز ، فأمر له بثلاثمائة دينار وخِلعة موشية من ثيابه ، وحمله على
فرس وأعطاه ثلاثين لَقحة ومائة شاة ، وسأله عما يكفيه في كل سنة ويكفي عياله من البرِّ
والتمر ، فأخبره به ؛ فأمر له بذلك أجمع لسنَّة ، وقال له : هذا لك علي ما دمتُ ودمتُ في الدنيا ،
واقطعه لنفسه وأنس به ، وقال له : لستُ بمُحوجك إلى غيري أبداً .

- 1 أنبض الرامي القوس وعن القوس : جذب وترها لتصوت . المعجس : مقبض القوس . أبرق الرجل : لمع بسيفه .
- 2 العكر : جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل ، والورق : المال من الإبل والغنم .
- 3 المعاوز : خلقان الثياب المبتذلة ، واحدها معوز وفي ل : العواوير .
- 4 الرنق : الكدر .
- 5 هو هارون بن محمد بن عبد الملك .

[مدح والي المدينة بعد عبد الواحد فجفاه ثم رضى عنه بشفاعة عبد الله بن الحسن]

فلما عُزل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة ، تصدَّى للوالي مكانه وامتدحه . ولم يلبث أن ولي عبد الواحد بعد ذلك وبلغه الخبر ، فأمر أن يُحجب عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه ، حتى تحمَّل¹ عليه بعبد الله بن الحسن [بن الحسن] ، فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أُحبّه .

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا الرياشي ، وأخبرني به علي بن سليمان الأُخفش عن أحمد بن يحيى ثعلب عن الرياشي وخبره أتم قال الرياشي حدثني أبو سلمة الغفاري قال قال ابن رُبَيْع راوية ابن هرمة قال حدثني ابن هرمة قال : أول من رفعني في الشعر عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فأخذ عليّ ألا أمدح أحداً غيره ، وكان والياً على المدينة ، وكان لا يدع برّي وصلتي والقيام بمؤوتي . فلم ينشَب أن عُزل ووُلّي غيره مكانه ، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب . فدعنتي نفسي إلى مدحه طمعاً أن يَهَب لي كما كان عبد الواحد يهب لي ، فمدحته فلم يصنع بي شيئاً كما ظننت . ثم قَدِم عبد الواحد المدينة ، فأخبرني مدحت الذي عُزل به ، فأمر بي فحُجبت عنه ، ورُمّت الدخول عليه فمُنِعْتُ ، فلم أَدع بالمدينة وجهاً ولا رجلاً له نباهةً وقدر من قريش إلا سألتُه أن يشفع لي في أن يُعيدني إلى منزلتي عنده ، فيأبى ذلك فلا يفعله . فلما أعوزتني الحيل أتيت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعليهم فقلت : يا ابن رسول الله ، إن هذا الرجل قد كان يُكرمني وأخذ عليّ ألا أمدح غيره ، فأعطيته بذلك عهداً ، ثم دعاني الشره والكّد إلى أن مدحت الوالي بعده . وقصصت عليه قصتي وسألتُه أن يشفع لي ، فركب معي . فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد الله بن حسن لما دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه ، ثم قال : أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله ؟ قال نعم ؛ قال : كل حاجة لك مقضية إلا ابن هرمة ؛ فقال له : إن رأيتَ ألا تستثني في حاجتي فأفعل ؛ قال : قد فعلت ؛ قال : فحاجتي ابن هرمة ؛ قال : قد رضى عنه وأعدته إلى منزلته ؛ قال : فتأذن له أن يُنشدك ؛ قال : تُعفيني من هذه ؛ قال : أسألك أن تفعل ؛ قال اتنوا به ؛ فدخلتُ عليه وأنشدته قولي فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

قال فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رِزُه² ثم وثب مُغضباً وتجوّزتُ في الإنشاد ثم لحقته فقلت له : جزاك الله خيراً يا ابن رسول الله ؛ فقال : ولكن لا جزاك الله خيراً يا ماصّ

1 تحمّل بفلان على فلان : تشفّع به إليه .

2 الرز : الصوت .

[من الوافر]

بَظُرُ أُمِّهِ ، أَتَقُولُ لِابْنِ مَرْوَانَ :

وَكَأَنَّ أَبُوكَ قَادِمَةٌ الْجَنَاحِ

بِحَضْرَتِي وَأَنَا ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَابْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ : جَعَلَنِي اللَّهُ
فِدَاكَ ، إِنِّي قُلْتُ قَوْلًا أَخَذَعَهُ بِهِ طُلُبًا لِدُنْيَاهُ ، وَوَاللَّهِ مَا قَسَيْتُ بِكُمْ أَحَدًا قَطُّ . أَفَلَمْ تَسْمَعْنِي قَدْ
قُلْتُ فِيهَا :

[من الوافر]

وَبَعْضُ الْقَوْلِ يَذْهَبُ بِالرِّيَّاحِ

فَضَحِكَ عَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ : قَاتِلَكَ اللَّهُ ، مَا أَظْرَفَكَ ! .

[حائية ابن هرمة في مدح عبد الواحد]

وهذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبد الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيد
شعر ابن هرمة خاصة ، وأولها :

[من الوافر]

صَرَمَتْ حَبَائِلًا مِنْ حَبِّ سَلَمَى	لَهْنِدٍ مَا عَمَدَتْ لِمُسْتَرَا حِ
فَإِنَّكَ إِنْ تُقِمَّ لَا تَلْقَ هِنْدًا	وَإِنْ تَرَحَّلْ فَقَلْبُكَ غَيْرُ صَاحِي
يَظْلُ نَهَارَهُ يَهْذِي بِهِندَ	وَيَأْرَقُ لَيْلَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ
أَعْبَدَ الْوَاحِدَ الْحَمُودَ إِنِّي	أَغْصُ حَذَارَ سَخَطِكَ بِالْقَرَا حِ
فَشَلَّتْ رَاحَتَايَ وَجَالَ مُهْرِي	فَالْقَانِي بِمُسْتَجَرِّ الرَّمَاحِ
وَأَقْعَدَنِي الزَّمَانُ فَيْتَ صِفْرًا	مِنْ الْمَالِ الْمُعْزَبِ وَالْمُرَا حِ
إِذَا فَخَّمْتُ غَيْرَكَ فِي ثَنَائِي	وَنَصَحِي فِي الْمَغْيَةِ وَامْتِدَا حِ
كَأَنَّ قِصَائِدِي لَكَ فَاصْطَنَعِي	كَرَائِمُ قَدْ غُضِّلْنَ عَنِ النِّكَاحِ
فَإِنْ أَكْ قَدْ هَفَوْتُ إِلَى أَمِيرٍ	فَعَنْ غَيْرِ التَّطَوُّعِ وَالسَّمَا حِ
وَلَكِنْ سَقَطَةُ عَيْتٍ عَلَيْنَا	وَبَعْضُ الْقَوْلِ يَذْهَبُ فِي الرِّيَا حِ
لَعَمْرِكَ إِنِّي وَبَنِي عَدِيٍّ	وَمَنْ يَهْوَى رِشَادِي أَوْ صِلَا حِ ¹
إِذَا لَمْ تَرْضَ عَنِّي أَوْ تَصِلْنِي	لَفِي حَيْنٍ أَعَالَجَهُ مُتَا حِ
وَإِنِّي إِنْ حَطَطْتُ إِلَيْكَ رَحْلِي	بِغُرْبَى الشَّرَا لَذُو ارْتِيَا حِ ²

1 بنو عدي : هم قوم ابن هرمة .

2 الشرا : صقع بالشام بين دمشق والمدينة .

هششت^١ لحاجة ووعدت^٢ أخرى ولم تبخل بناجزة السراح
وجدنا غالباً خلقت^٣ جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح
إذا جعل البخل^٤ البخل ترساً وكان سلاحه دون السلاح
فإن سلاحك المعروف حتى تفوز بعرض ذي شيم^٥ صحاح

[سئل عن سبب مدحه لعبد الواحد فأجاب]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني إبراهيم بن إسحاق العمري قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال : قلت لابن هرمة : أتمدح عبد الواحد بن سليمان بشعر ما مدحت به أحداً غيره فتقول فيه هذا البيت : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح^١

ثم تقول فيها :

أعبد^٢ الواحد الميمون إني أغص^٣ جذار سخطك بالقراح

فبأي شيء استوجب ذلك منك ؟ فقال : إني أخبرك بالقصة لتعذرني : أصابتني أزمة وقحمة^٤ بالمدينة ، فاستنهضتني بنت عمي للخروج ؛ فقلت لها : ويحك ! إنه ليس عندي ما يُقِل^٥ جناحي ؛ فقالت : أنا أنهضك بما أمكنتي ، وكانت عندي ناب^٦ لي فنهضت عليها نهجد^٧ النوام ونوذي السمّار ، وليس من منزل أنزله إلا قال الناس : ابن هرمة ! حتى دفعت^٨ إلى دمشق ، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل ، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر ، فإذا الباب يتفلق عن رجل كأنه البدر ، فدنا فأذن ثم صلى ركعتين ، وتأمّله فإذا هو عبد الواحد ، فقمّت فدنوت منه وسلّمت عليه ؛ فقال لي : أبو إسحاق ! أهلاً ومرحباً ؛ فقلت لبيك ، بأبي أنت وأمي ! وحيّاك الله بالسلام وقربك من رضوانه ؛ فقال : أما أن لك أن تزورنا ؟ فقد طال العهد واشتدّ الشوق ، فما وراءك ؟ قلت : لا تسليني بأبي أنت وأمي ، فإن الدهر قد أخنى عليّ فما وجدت مستغاثاً غيرك ؛ فقال : لا تُرْعَ فقد وردت عليّ ما تحب^٩ إن شاء الله . فوالله إني لأخطبه فإذا بثلاثة فتية قد خرجوا كأنهم الأشطان ، فسلموا عليه ، فاستدنى الأكبر منهم فهمس إليه بشيء دوني ودون أخويه ، فمضى إلى البيت ثم

١ كانت في ل : خلقت .

٢ القحمة : السنة الشديدة والقحط .

٣ في ل : يصل .

٤ في ل : أويت .

رجع ، فجلس إليه فكلّمه بشيء دوني ثم ولّى ، فلم يلبث أن خرج ومعه عبدٌ ضابط¹ يحمل عيشاً من الثياب حتى ضرب به بين يديّ ؛ ثم همس إليه ثانية فعاد ؛ وإذا به قد رجع ومعه مثل ذلك ، فضرب به بين يديّ . فقال لي عبد الواحد : اذنُ يا أبا إسحاق ، فإنّي أعلم أنّك لم تصير إلينا حتى تفاقم صدّغك² ، فخذ هذا وارجع إلى عيالك ، فوالله ما سلّنا لك هذا إلا من أشدّاق عيالنا ؛ ودفع إليّ ألف دينار ، وقال لي : قم فارحل فأغيث من وراءك ؛ فقممت إلى الباب ، فلمّا نظرتُ إلى ناقتي ضيّقتُ³ ؛ فقال لي : تعال ، ما أرى هذه مُبلّغتكَ ، يا غلام ، قدّم له جملي فلاناً . فوالله لقد كنتُ بالجميل أشدّ سروراً منّي بكلّ ما نلته ؛ فهل تلومني أن أغصّ جذار سخط هذا بالقراح ؟ ووالله ما أنشدته ليلتذ بيتاً واحداً .

[مدح المنصور فعاتبه لمدحه بني أمية ثم أكرمه]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني محمد بن عمر الجرّجانيّ قال حدّثني عثمان بن حفص الثّقفيّ قال حدّثني محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام قال : دخلت مع أبي علي المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان ، فلمّا اجتمع الناس قام ابنُ هرمة فقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، شاعرك وصنيعتك إن رأيت أن تأذن لي في الإنشاد ؛ قال هات ؛ فأنشده قوله : [من الطويل]

سرى ثوبه عنك الصبّا المتخايل⁴

حتى انتهى إلى قوله :

له لحظات عن حِفَافِي سريره إذا كرّها فيها عقابٌ ونائلٌ
فأمّ الذي آمنت آمنة الردى وأمّ الذي خوَفَت بالثكل ثاكلٌ

فقال له المنصور : أمّا لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تنشده قولك فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

قال : فقطع بابن هرمة حتى ما قدر على الاعتذار ؛ فقال له المنصور : أنت رجل شاعر طالبٌ خير ، وكلّ ذلك يقول الشاعر ، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينار . فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ، إن ابن هرمة رجل منفاق متلاف لا يليق شيئاً⁴ ، فإن رأى أمير المؤمنين

1 ضابط : قويّ شديد .

2 في ل : صمت .

3 سرى عنه الثوب : كشفه .

4 لا يليق شيئاً : أي ما يمسكه ولا يلصق به .

أَنْ يَأْمُرَ لَهُ بِهَا يُجْرَى عَلَيْهِ مِنْهَا مَا يَكْفِيهِ وَيَكْفِي عِيَالَهُ وَيَكْتَبَ بِذَلِكَ إِلَى صَاحِبِ الْجَارِي أَنْ يُجْرِيَهَا عَلَيْهِمْ فَعَلَ ؛ فَقَالَ : افْعَلُوا ذَلِكَ بِهِ . قَالَ : وَإِنَّمَا فَعَلَ بِهِ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ هَذَا لِأَنَّهُ كَانَ مُغْضَبًا عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ :

مَا غَيَّرْتُ وَجْهَهُ أَمْ مُهْجَنَةٌ إِذَا الْقِتَامُ تَغَشَّى أَوْجُهُ الْهَجْرُنِ

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى ، وَأَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ وَجَحْظَةُ قَالَا حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ فِي خَبَرِهِ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى ، وَلَمْ يَقُلْهُ الْآخَرَانِ : دَخَلَ ابْنُ هَرْمَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي قَدْ مَدَحْتُكَ مَدِيحًا لَمْ يَمْدَحْ أَحَدٌ أَحَدًا بِمِثْلِهِ قَالَ : وَمَا عَسَى أَنْ تَقُولَ فِيَّ بَعْدَ قَوْلِ كَعْبِ الْأَشْقَرِيِّ¹ فِي الْمَهْلَبِ :

بِرَاكَ اللَّهُ حِينَ بَرَكَ بِحَرًّا وَفَجَّرَ مِنْكَ أَنْهَارًا غِزَارًا

فَقَالَ لَهُ : قَدْ قُلْتُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا ؛ قَالَ : هَاتِ ، فَأَنْشُدْهُ قَوْلَهُ :

لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافِي سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ

قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ تَكَلَّفَ فِي سَفَرِهِ إِلَيْكَ نَحْوَهَا ؛ فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : يَا بُنَيَّ ، إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَهُ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَهَبْتُ لَهُ نَفْسَهُ ، أَلَيْسَ هُوَ الْقَائِلُ لِعَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ :

إِذَا قِيلَ مَنْ خَيْرُ مَنْ يُرْتَجَى لَمُعْتَرٌّ فَهَرٍ وَمُحْتَاجِهَا²

وَمَنْ يُعْجَلُ الْخَيْلَ يَوْمَ الْوَعَى بِالْجَمَاهَا قَبْلَ إِسْرَاجِهَا

أَشَارَتْ نِسَاءُ بَنِي غَالِبَ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَزْوَاجِهَا

وهذه القصيدة من فخر شعر ابن هرمه ، وأولها :

أَجَارَتْنَا رَوْحِي نَعْمَةً عَلَى هَائِمِ النَّفْسِ مُهْتَاجِهَا

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ مُسْتَكْرِهِ وَلَا حَاجَةٍ دُونَ إِنْضَاجِهَا

يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان :

كَأَنَّ قُتُودِي عَلَى خَاضِبٍ زُفُوفِ الْعَشِيَّاتِ هَدَاجِهَا³

1 هو كعب بن معدان ، من الأزد وأمه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان ، من أصحاب المهلب .

2 المعتز : الفقير والمتعرض للمعروف من غير أن يسأل .

3 الخاضب : ذكر النعام . وزفوف حسن المشي سريعه . والهداج : الذي في مشيه أو عدوه أو سعيه ارتعاش .

إلى مَلِكٍ لا إلى سُوقَةٍ كَسْتَهُ الملوِكُ ذُرّاً تاجها
تَحُلَّ الوفودُ بأبوابه فتَلَقَى الغنى قَبْلَ إرتاجها
بِقَرَاعِ أبوابِ دور الملو كِ عِنْدَ النَحِيَّةِ وَلَاجها
إلى دار ذي حسبٍ ماجِدٍ حَمُولُ المَغارِمِ فَرَّاجها
رَكُودِ الجِفانِ غِداةَ الصِّبَا ويومَ الشَّمالِ وإِرهاجها¹
وقَفْتُ بِمَدْحِهِ عِنْدَ الجِما رِ أنشدَه بَيْنَ حُجَّاجها²

[دَسَ المنصور إليه مَنْ يسمع منه مدحه لعبد الواحد]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهرُ المبرّد قال حدّثني أبو إسحاق طلحةُ بن عبد الله الطلحيّ قال حدّثني محمد بن سليمان بن المنصور قال : وجّه المنصور رسولا قاصداً إلى ابن هرم: ودفع إليه ألفَ دينار وخِلعة ، ووصفه له وقال : امض إليه ؛ فإنك تراه جالسا في موضع كذا من المسجد ، فانتسب له إلى بني أُميّة أو موالِيهم ، وسلّه أن يُنشدك قصيدته الحائية التي يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةً الجناح

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه وجثني براسه ؛ وإن أنشدك قصيدته اللاميّة التي يمدحني بها فادفع إليه الألفَ الدينار والخِلعة ، وما أراه يُنشدك غيرها ولا يعترف بالحائية . قال : فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور ، فجلس إليه واستنشدته قصيدته في عبد الواحد ؛ فقال : ما قلت هذه القصيدة قطُّ ولا أعرفها وإنّما نحلها إِيّاي مَنْ يُعاديّني ، ولكن إن شئت أنشدتك ما هو أحسنُ منها ؛ قال : قد شئتُ فهات ؛ فأنشدته :

سَرَى ثوبَه عنك الصِّبَا المتخايلُ

حتى أتى على آخرها ؛ ثم قال له : هاتِ ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إليّ ؛ فقال : أيّ شيء تقول يا هذا وأيّ شيء دفع إليّ ؟ فقال : دَعُ ذا عنك ، فوالله ما بعثك إلّا أمير المؤمنين ومعلك مالٌ وكسوة إليّ ، وأمرُك أن تسألني عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إيّاها ضربت عنقي وحملت رأسي إليه ، وإن أنشدتك هذه اللاميّة دفعت إليّ ما حَمَلَك إيّاه ؛ فضحك الرسول ثم قال : صدقتَ لعمري ، ودفع إليه الألفَ الدينار والخِلعة . فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما .

1 الركود من الجفان : الثقل المملوء . الإرهاج : الإمطار .

2 الجمار : اسم موضع بمعنى .

[استقل المهدي على المنصور جائزته له فأجابه]

أخبرني محمد بن مزيّد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عمي عن جدّي قال : لما أنشد ابنُ هرمة المنصور قصيدته اللامية التي مدحه بها أمر له بألف درهم ؛ فكلمه فيه المهدي واستقلّها ؛ فقال يا بُنيّ ، لو رأيتَ هذا بحيث رأيتَه وهو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان يُنشده :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةً الجناح
لاستكثرت له ما استقلّته ، ولرأيت أن حياته بعد ذلك القول ربح كثير . والله إني يا بُنيّ
ما هممتُ له منذُ يومئذٍ بخير فذكرتُ قوله إلا زال ما عرض بقلبي إلى ضده حتّى أهُمّ بقتله ثم
أعفو عنه . فأمسك المهدي .
[بعض شعره الذي يغني فيه]

ومّا يُغني فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قوله من قصيدة أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات ، على أن المغنّين قد خلطوا مع أبياته أبياتاً لغيره :

صوت

ولما أن دنا منا ارتحال¹ وقرب ناجيات السير كُوم¹
تحاسر واضحات اللون زهر على ديباج أوجهها النعيم²
أتين مودعات المطايا لدى أكوارها خوص هُجوم²
فكم من حرة بين المنقى إلى أخذٍ إلى ما حاز ريم³

ويروى :

فكم بين الأقارع فالمنقى⁴

وهو أجود .

إلى الجماء من خد أسيل نقيّ اللون ليس به كُوم⁵

- 1 الكوم : النوق الضخمة السنام .
- 2 خوص : جمع أخوص وخوصاء ، والخوص : ضيق العيون وصغرها وغزورها . وهجمت العين هجوماً : غارت ودخلت في موضعها .
- 3 المنقى : طريق بين أحد والمدينة . الريم : واد لمزينة قرب المدينة .
- 4 الأقارع : جبل بين مكة والمدينة .
- 5 الجماء : جبل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق . وقيل : هي إحدى هضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة ، وقيل : الجمّوات ثلاث بالمدينة .

كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرٍ مَا أَلاَقِي إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
سَلِيمٌ مَلٌّ مِنْهُ أَقْرَبُوه وَأَسْلَمَهُ الْمُدَاوِي وَالْحَمِيمُ

ذكر الزبير بن بكار أنَّ هذا الشعر كله لأبي المنهال نُقَيْلَةُ الْأَشْجَعِي . قال : وسمعتُ بعض أصحابنا يقول : إِنَّهُ لَمَعْمَرُ بْنُ الْعَنْبَرِ الْهَذَلِيُّ . والصحيح من القول ، أَنَّ بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان مخفوضة الميم ، ولما غَنَّى فيها وفي أبيات نُقَيْلَةَ وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غَيْرَ إِلَى مَا أوجب رفعها . فأما ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أولها :

أَجَارَتَنَا بِذِي نَفَرٍ أَقِيمِي	فَمَا أَبْكِي عَلَى الدَّهْرِ الذَّمِيمِ ¹
أَقِيمِي وَجَهَ عَامِكَ ثُمَّ سِيرِي	بِلا وَاهِي الْجَوَارِ وَلَا مُلِيمِ
فَكَمْ بَيْنَ الْأَقَارِعِ فَالْمُنْقَى	إِلَى أُحْدٍ إِلَى أَكْنَفِ رِيمِ
إِلَى الْجَمَاءِ مِنْ خَدِّ أَسِيلِ	نَقَى اللَّوْنِ لَيْسَ بِذِي كُلوْمِ
وَمِنْ عَيْنٍ مَكْحَلَّةٍ الْأَمَاقِي	بِلا كُحْلٍ وَمِنْ كَشْحٍ هَضِيمِ
أَرَقْتُ وَغَابَ عَنِّي مِنْ يَلُومِ	وَلَكِنْ لَمْ أَتَمَّ أَنَا لِلْهَمُومِ
أَرَقْتُ وَشَفَنِي وَجَعٌ بِقَلْبِي	لَزِينَبَ أَوْ أُمَيْمَةَ أَوْ رَعُومِ
أَفَاسِي لَيْلَةً كَالْحَوْلِ حَتَّى	تَبْدَى الصَّبْحُ مُنْقَطِعَ الْبَرِيمِ ²
كَأَنَّ الصَّبْحَ أُبْلُقُ فِي حُجُولِ	يَشُبُّ وَيَتَّقِي ضَرْبَ الشَّكِيمِ
رَأَيْتُ الشَّيْبَ قَدْ نَزَلَتْ عَلَيْنَا	رَوَائِعُهُ بِحِجَّةٍ مُسْتَقِيمِ
إِذَا نَاكَرْتَهُ نَاكَرْتُ مِنْهُ	خُصُومَةً لَا أَلَدَّ وَلَا ظَلُومِ
وَوَدَّعَنِي الشَّبَابُ فَصِرْتُ مِنْهُ	كَرَاضٍ بِالصَّغِيرِ مِنَ الْعَظِيمِ
فَدَعُ مَا لَا يَسْرُدُ عَلَيْكَ شَيْئاً	مِنَ الْجَارَاتِ أَوْ دِمَنِ الرُّسُومِ
وَقُلْ قَوْلًا تُطَبِّقُ مِفْصَلِيهِ	بِمِدْحَةِ صَاحِبِ الرَّأْيِ الصَّرُومِ ³
لَعَبْدِ الْوَاحِدِ الْفَلَجِ الْمُعَلَّى	عَلَا خُلِقَ النَّفُورَةُ وَالْخُصُومُ ⁴

1 نفر في ل : بقر .

2 البريم : ضوء الشمس مع بقية سواد الليل .

3 تطبّق مفصليه : تصيب فيه الحجة . الصرّوم : القاطع .

4 الفلج : الظفر والغلب . نفورة الرجل : نافرته وهي أسرته وفصيلته التي تغضب لغضبه .

دعته المَكْرُمَاتُ فناولته خِطَامَ المجد في سِنِّ الفَظِيمِ

وهي طويلة . فمن الأبيات التي فيها الغناء أربعة أبيات لابن هرمة قد مضت في هذه القصيدة ؛ وإنما غُيِّرَتْ حتى صارت مرفوعةً ، فانْتَفَقَتِ الأبياتُ وَغُنِّيَ فيها . وأما أبيات نُفَيْلَةَ فما بقي من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له . ويتلو ذلك من أبيات نُفَيْلَةَ قوله :

يُضِيءُ دَجَى الظلام إذا تَبَدَّى	كضوء الفجر منظره وَسِيمُ
وقائِلَةٍ ومُثْنِيَةٍ علينا	تقول وما لها فينا حَمِيمُ
وأخرى لُبُّها معنا ولكنْ	تَصَبَّرُ وهي واجمةٌ كَطُومُ
تُعَدُّ لنا الليالي تحتصيها	متى هو حائنٌ منه قُدُومُ ¹
متى تَرَّ غفلةً الواشين عنها	تَجُدُّ بدموعها العينُ السَّجُومُ ²

والغناء في هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعرُ ابن هرمة ونُفَيْلَةَ لمعبد ، ولحنه الثقيل الأوَّلُ بالوسطى عن عمرو ويونس . وفيها لحن من الثقيل الثاني ينسب إلى الواصِي . وفيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريح .

1 منه في ل : منا .

2 عنها في ل : يوماً .

79 - [الوابصي وأخباره]

[أخباره وسبب تنصره]

وهذا الوابصي هو الصلت بن العاصي بن وابصة بن خالد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . كان تنصراً ولحق ببلاد الروم ؛ لأن عمر بن عبد العزيز فيما ذكر حده في الخمر ، وهو أمير الحجاز ، فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصّر هناك ، ومات هنالك نصرانياً .

[راه رسول عمر بن عبد العزيز الذي ذهب إلى الروم لفك الأسرى]

فأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن عبد العزيز قال أخبرني ابن العلاء ، أظنه أبا عمرو أو أخاه ، عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا سعيد بن عامر¹ عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم ، وقد جمعت الروايتين ، قال اليزيدي في خبره : إن إسماعيل حدث : أن عمر بن عبد العزيز بعث به في الفداء . وقال عمر بن شبة : إن إسماعيل حدث قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذي جاء من القسطنطينية فحدثه قال : بينا أنا أجول في القسطنطينية إذ سمعت رجلاً يغني بلسان فصيح وصوت شج : [من الوافر]

فكم من حُرّة بين المنقى إلى أحدٍ إلى جنّات ريم

فسمعتُ غناء لم أسمع قط أحسن منه . فلما سمعت الغناء وحسنه ، لم أدر أهو كذلك حسن ، أم لغربته وغربة العربية في ذلك الموضع . فدنوت من الصوت ، فلما قُرِبْتُ منه إذا هو في غرفة ، فنزلت عن بغلتي فأوثقتها ثم صعدت إليه فقامت على باب الغرفة ، فإذا رجل مُستلق على قفاه يغني هذين البيتين لا يزيد عليهما وهو واضع إحدى رجله على الأخرى ، فإذا فرغ بكى فيبكي ما شاء الله ثم يعيد الغناء . ففعل ذلك مراراً ؛ فقلت : السلام عليكم ؛ فوثب وردّ السلام ؛ فقلت : أبشّر فقد فكّ الله أسرك ، أنا يريد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى هذا الطاغية في فداء الأسارى . ثم سألته : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا الوابصي ، أخذت فعُذِّبت حتى دخلت في دينهم ؛ فقلت له : أنت والله أحبُّ مَنْ أفنديه إلى أمير المؤمنين وإلى إن لم تكن دخلت في الكفر ؛ فقال : قد والله دخلت فيه ؛ فقلت : أنشدك الله إلا أسلمت ؛ فقال : أسلم وهذان ابناي وقد تزوّجت امرأة منهم وهذان ابناها ، وإذا دخلت المدينة قيل لي يا نصراني وقيل مثل ذلك لولدي وأمهما ؛ لا والله لا أفعل . فقلت له : قد كنت قارئاً للقرآن فما بقي معك منه ؟ قال : لا شيء إلا هذه الآية ﴿رُبُّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ

1 في ل : سعد بن عباس . وهو سعيد بن عامر الضبي أبو محمد البصري وهو ابن أخت جويرية بن أسماء .

كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ . قال : فعاودته وقلت له : إِنَّكَ لَا تُعَيِّرُ بِهِذَا ؛ فقال : وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ؟ فقلت : سبحانَ الله ! أما تقرأ : ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ فجعل يُعِيدُ عَلَيَّ قَوْلَهُ : فكيف بما فعلت ؟ ولم يجيني إلى الرجوع . قال : فرفع عمر يده وقال : اللهم لا تُمَتِّنِي حَتَّى تُمَكِّنَنِي مِنْهُ . قال : فوالله ما زلتُ راجياً لإجابة دعوة عمر فيه . قال جويرية في حديثه : وقد رأيت أخا الوابصي بالمدينة .
[لقبه رجل بصري فأخبره أَن سَبَّ تَصَرَّه عَشَقَهُ لَامْرَأَةً مِنْهُمْ]

وقال يعقوب بن السُّكَيْتِ في هذا الخبر . أَخْبَرَنِي ابْنُ الْأَزْرَقِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَنَسِيَتْ اسْمَهُ قَالَ : نَزَلْنَا فِي ظِلِّ حَصْنٍ مِنَ الْحَصُونِ الَّتِي لِلرُّومِ ، فَإِذَا أَنَا بِقَاتِلٍ يَقُولُ مِنْ فَوْقِ الْحَصْنِ :

فكَمْ بَيْنَ الْأَفَارِعِ فَالْمُنْقَى إِلَى أَحَدٍ إِلَى مِيقَاتِ رِيمٍ¹
إِلَى الزُّورَاءِ مِنْ ثَغَرِ نَقْيٍ عَوَارِضُهُ وَمِنْ دَلٍّ رَخِيمٍ
وَمِنْ عَيْنٍ مُكْحَلَّةٍ الْأَمَاقِي بَلَا كُحْلٍ وَمِنْ كَشْحٍ هُضِيمٍ

وهو يُنْشِدُ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ وَيَكِي ، فَنَادَيْتُهُ : أَيُّهَا الْمُنْشِدُ ، فَأَشْرَفَ فَتَيَّ كَأَحْسَنِ النَّاسِ . فقلت : مَنْ الرَّجُلُ وَمَا قَصَصْتُكَ ؟ فقال : أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْغَزَاةِ مِنَ الْعَرَبِ نَزَلْتُ مَكَانَكَ هَذَا ، فَأَشْرَفْتُ عَلَيَّ جَارِيَةً كَأَحْسَنِ النَّاسِ فَعَشَقْتُهَا فَكَلَّمْتُهَا ؛ فَقَالَتْ : إِنْ دَخَلْتَ فِي دِينِي لَمْ أُخَالَفَكَ ؛ فغَلَبَ عَلَيَّ الشَّيْطَانُ فَدَخَلْتُ فِي دِينِهَا ، فَأَنَا كَمَا تَرَى . فقلت : أَكُنْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ فقال : إِي وَاللَّهِ لَقَدْ حَفَظْتُهُ . قلت : فَمَا تَحْفَظُ مِنْهُ الْيَوْمَ ؟ قَالَ : لَا شَيْءَ إِلَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ . قلت : فَهَلْ لَكَ أَنْ نَعْطِيَهُمْ فِدَاءَكَ وَتَخْرُجَ ؟ قَالَ : فَفَكَّرَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : انْطَلِقْ صَحْبِكَ اللَّهُ .

صوت من المائة المختارة

وَمَا فِي الْأَخْبَارِ مِنْ شَعْرِ ابْنِ هَرْمَةَ :

فِي حَاضِرٍ لَجِبٍ بِاللَّيْلِ سَامِرُهُ فِيهِ الصَّوَاهِلُ وَالرَّايَاتُ وَالْعَكْرُ²
وَحُرْدٌ كَلَمَهَا حُورٌ مَدَامُعُهَا كَانَتْهَا بَيْنَ كُتُبَانِ النَّقَا الْبَقْرُ

الشعر لابن هَرْمَةَ . والغناء في اللحن المختار لحنين ، ولحنه من الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . قَالَ إِسْحَاقُ : وَفِيهِ لِأَبِي هَمَّهَمَةَ لَحْنٌ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ أَيْضاً . وَأَبُو هَمَّهَمَةَ هَذَا مَغْنًى أَسْوَدُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، لَيْسَ بِمَشْهُورٍ وَلَا يَمُنُّ نَادِمُ الْخُلَفَاءِ وَلَا وَجَدْتُ لَهُ خَبِراً فَأَذْكُرُهُ .

1 مِيقَاتٍ فِي ل : أَكْنَف .

2 فِي : فِي ل : مِنْ . الْحَاضِرُ : الْحَيِّ الْعَظِيمُ . وَالسَّامِرُ : الْمَتَسَامِرُونَ .

80 - [عوداً إلى أخبار نصيب]

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

بزئب أَلَمْ قَبْلُ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ وَقُلْ إِنَّ تَمَلِّينَا فَمَا مَلَكَ الْقَلْبُ
وَقُلْ فِي تَجَنُّيْهَا لَكَ الذَّنْبُ : إِنَّمَا عَتَابُكَ مَنْ عَاتَبَتْ فِيمَا لَهُ عَتَبُ

الشعر لُنُصَيْب . والغناء في اللحن المختار لكَرْدَم بن معبد ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشامي ودنانير . وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأول ذكره الهشامي .
[بعض أخبار لنصيب]

وقد تقدّم من أخبار نصيب ما فيه كفاية ، وإنّما تأخّر منها ما له موضع يصلح إفرادُه فيه ،
مثل أخبار هذا الصوت .
[ذكر عن نفسه أنّه قال شعراً فعلم أنّه شاعر]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عمّي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن
ابن كُنَاسة قال : قال نصيب : ما توهّمت أنّي أحسن أن أقول الشعرَ حتى قلت : [من الطويل]
بزئب أَلَمْ قَبْلُ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ

[سمع جميل وجريّر من شعره فتمنّيا لو أنّهما سبقاه إليه]

أخبرنا الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحرّاميّ
عن محمد بن مَعْن الغفاريّ قال أخبرني ابن الرّيح قال : مرّ بنا جَمِيل ونحن بِضَرْيَّة¹ ، فاجتمعنا
إليه فسمعته يقول : لأن أكون سَبَقْتُ الأسودَ إلى قوله :

بزئب أَلَمْ قَبْلُ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ

أحبُّ إليّ مِنْ كَذَا وكَذَا لشيءٍ قاله عظيم .

أخبرني الحرّميّ قال حدّثني الزُّبَيْر قال حدّثني سعيد بن عمرو عن حَبِيب بن شَوْذَب
الأسديّ قال : مرّ بنا جَرِير بن الخطّفيّ ونحن بِضَرْيَّة ، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول : لأن

1 ضَرْيَّة : قرية في طريق مَكَّة من البصرة من بلاد نجد . وقيل هي صقع واسع بنجد .

أَكُونُ سَبَقْتُ الْعَبْدَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا ؛ يَعْنِي قَوْلَهُ : [من الطويل]

بَزِينَبَ أَلَمْتُ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرُّكْبُ

[أنشده الكميث من شعره وبكى]

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْبِزْزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي الْفَضْلُ عَنْ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ عَنْ ابْنِ كُنَاسَةَ قَالَ : اجْتَمَعَ الْكُمَيْثُ بْنُ زَيْدٍ وَنُصَيْبٌ فِي الْحَمَّامِ ، فَقَالَ لَهُ الْكُمَيْثُ : أَنْشِدْنِي قَوْلَكَ :

بَزِينَبَ أَلَمْتُ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرُّكْبُ

فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَحْفَظُهَا ؛ فَقَالَ الْكُمَيْثُ : لَكِنِّي أَحْفَظُهَا ، أَفَأَنْشُدُكَ إِيَّاهَا ؟ قَالَ نَعَمْ ، فَأَقْبَلَ الْكُمَيْثُ يُنْشِدُهُ وَهُوَ يَبْكِي .

[كان مع زوجته فمرَّ به ابن سريج يتغنى بشعرٍ له فيها فلامته]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ ذَكَرَ ابْنُ أَبِي الْخَوَرِثِ عَنْ مَوْلَاةٍ لَهُمْ ، وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَثْمَانَ بْنِ حَفْصٍ عَنْ مَوْلَاةٍ لَهُمْ قَالَتْ : إِنَّا لَبِئْنِي إِذْ نَظَرْتُ إِلَى أُنْبِيَةِ مَضْرُوبَةٍ وَأَثَاثٍ وَأَمْتَعَةٍ ، فَلَمْ أَذِرْ لَمَنْ هِيَ ، حَتَّى أُنِخَ بِعَيْرٍ ، فَتَزَلَّ عَنْهُ أَسْوَدُ وَسُودَاءُ فَأَلْقَيَا أَنْفُسَهُمَا عَلَى بَعْضِ الْمَتَاعِ ، وَمَرَّ رَاكِبٌ يَتَغَنَّى غَنَاءَ الرُّكْبَانِ :

بَزِينَبَ أَلَمْتُ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرُّكْبُ

فَرَأَيْتُ السُّودَاءَ تَخْبِطُ الْأَسْوَدَ وَتَقُولُ لَهُ : شَهَّرْتَنِي وَأَذَعْتَ فِي النَّاسِ ذِكْرِي ؛ فَإِذَا هُوَ نُصَيْبٌ وَزَوْجَتُهُ . قَالَ إِسْحَاقُ فِي خَبْرِهِ : وَكَانَ الَّذِي اجْتَاَزَ بِهِمْ وَتَغَنَّى ابْنُ سَرِيجٍ .

[كان ابن سريج يغني لنسوة في شعره فلم يشأ أن يتعرف بهن]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كُنَاسَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : [قال] نُصَيْبٌ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرٌ عَلَى رَاِحَتِي إِذْ أُدْرِكْتُ نِسْوَةً ذَوَاتِ جَمَالٍ يَتَنَاشِدْنَ قَوْلِي :

بَزِينَبَ أَلَمْتُ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرُّكْبُ

وَإِذَا مَعَهُنَّ ابْنُ سَرِيجٍ ؛ فَقُلْنَ لَهُ : يَا أَبَا يَحْيَى ، غَنَّا فِي هَذَا الشَّعْرِ ، فَغَنَّا هُنَّ فَأَحْسَنَ ؛ فَقُلْنَ : وَدِدْنَا وَاللَّهِ يَا أَبَا يَحْيَى أَنْ نُصَيِّبًا مَعَنَا فَيَتَمَّ سُرُورُنَا ؛ فَحَرَكْتُ بِعَيْرِي لِأَتَعْرِفَ بِهِنَّ وَأَنْشِدَهُنَّ ؛ فَالْتَفَتْتُ إِحْدَاهُنَّ إِلَيَّ فَقَالَتْ حِينَ رَأَتْني : وَاللَّهِ لَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ نُصَيِّبًا يُشَبِّهُ هَذَا الْأَسْوَدَ لَا جَرَمَ ؛ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَتَعْرِفُ بِهِنَّ سَائِرَ الْيَوْمِ ، وَمَضَيْتُ وَتَرَكْتُهُنَّ . قَالَ : وَكَانَ الَّذِي تَغَنَّى بِهِ ابْنُ

سُرِيج من شعري :

بزينب أَلِمَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَكَ الْقَلْبُ
وَقُلْ إِنْ تُنَلِّ بِالْحَبِّ مِنْكَ مَوَدَّةً فَمَا مِثْلُ مَا لَقِيتَ مِنْ حُبِّكَمْ حُبٌ
وَقُلْ فِي تَجَنُّيْهَا لَكَ الذَّنْبُ إِنَّمَا عَتَابَكَ مَنْ عَاتَبَتْ فِيمَا لَهُ عَتَبُ
فَمَنْ شَاءَ رَامَ الْوَصْلَ أَوْ قَالَ ظِلْمًا لَذي وَدَّهْ ذَنْبٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبُ

[سأله جد جمال بنت عون أن ينشده قصيدته في زينب فأنشده]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إبراهيم بن عبد الله السعدي عن جدته جمال بنت عون عن جدّها قال : قلت للنصيب : أنشدني يا أبا مِجْنَن من شعرك شيئاً ؟ فقال : أيّه تريد ؟ قلت : ما شئت ؛ قال : لا أنشدك أو تقترح ما تريد ؛ فقلت : قولك :

بزينب أَلِمَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ

قال : فنبسّم وقال : هذا شعرٌ قلته وأنا غلام ؛ ثم أنشدني القصيدة . قال الزبير : وهي أجود ما قال .

[لأمه عمر على تشهيره بالنساء فأخبر أنه تاب واستجاره فأجازه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي قال حدثني أيوب بن شاس ، ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي عن أيوب بن شاس ، وروايته أتم من رواية عمر بن شبة ، قال أيوب : حدثني عبد الله بن سعيد : أن النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة ؛ فقال له : هيه يا أسود :

بزينب أَلِمَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَكَ الْقَلْبُ

أأنت الذي تشهر النساء وتقول فيهن ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قد تركت ذلك وتبت من قول الشعر ، وكان قد نسك ؛ فأثنى عليه القوم وقالوا فيه قولاً جميلاً ؛ فقال له : أمّا إذ أثنى عليك القوم فسل حاجتك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين لي بنبات سويداوات أرغب بهن عن السودان ويرغب عنهن البيضان ، فإن رأيت أن تفرض لهن فافعل ؛ ففعل .

[رأى عثمان بن الضحّاك امرأة فمُثِّلَ بشعره في زينب فكانت هي وأخبرته أنه آت لزيارتها]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن شبيب عن محمد بن المؤمل بن طلوت عن أبيه عن عثمان بن الضحّاك الحزامي قال : خرجت على بغير لي أريد الحج ، فنزلت في فناء

خيمة بالأبواء¹ ، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيديها ، فاستلهاني حسنها ، فتمثلت قول نصيب :

بزینب المم قبل أن يرحل الركب وقُل إن تملينا فما ملك القلبُ
فقلت الجارية : أتعرف قائل هذا الشعر ؟ قلت : نعم ، ذاك نصيب ؛ قالت : أتعرف زينب هذه ؟ قلت : لا ؛ قالت : فأنا والله زينب ، وهو اليوم الذي وعدني فيه الزيارة ، ولعلك لا ترحل حتى تراه . فوقفت ساعة فإذا أنا براكب قد طلع فجاء حتى أناخ قريباً منها ، ثم نزل فسلم عليها وسلمت عليه ؛ فقلت : عاشقان التقيا ولا بد أن يكون لهما حاجة ، فقممت إلى راحلتي فشددت عليها ؛ فقال : على رسلك ، أنا معك ؛ فلبث ساعة ثم رحل ورحلت معه ؛ فقال لي : كأنك قلت في نفسك كذا وكذا ؛ قلت : قد كان ذاك ؛ فقال لا ، ورب الكعبة البينة المستورة ما جلست معها مجلساً قط هو أقرب من هذا .

[شبه حماد بن إسحاق قصيدة له بشعر امرئ القيس]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو ربيعة : لو لم تكن هذه القصيدة :

بزینب المم قبل أن يرحل الركب
لنصيب ، شعر من كانت تشبه ؟ فقلت : شعر امرئ القيس ، لأنها جزلة الكلام جيدة . قال : سبحان الله ؛ قلت : ما شأنك ؟ فقال : سألت أباك عن هذا فقال لي مثل ما قلت ، فعجبت من اتفاقكما .

[منقذ الهلالي وطربه بشعر نصيب]

قال هارون وحدثني حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفي عن رجل سمّاه قال : أتاني منقذ الهلالي ليلة وضرب عليّ الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : منقذ الهلالي ؛ فخرجت فزعاً ، فقلت : فيم السري ، أي ما جاء بك تسري إليّ ليلاً ، في هذه الساعة ؟ قال : خير ، أتاني أهلي بدجاجة مشوية بين رغيفين ، فتغذيت بها معهم ، ثم أتيت بقنينة نبيذ قد التقى طرفاها ، فشربت وذكرت قول نصيب :

بزینب المم قبل أن يرحل الركب

فأنشدتها فأطربتني ، وفكرت في إنسان يفهم حسن ذلك ويعرف فضله فلم أجِد غيرك

1 الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة ، وقيل هي جبل على الطريق من المدينة إلى مكة . وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ .

فَأَتَيْتِكَ . فَقُلْتُ : مَا جَاءَ بِكَ إِلَّا هَذَا ؟ قَالَ : لَا ، وَانصَرَف .
 قَالَ حَمَّادُ : مَعْنَى قَوْلِهِ «التَّقَى طَرَفَاهَا» أَيَّ قَدْ صَفَّتْ وَرَاقَتْ فَأَسْفَلَهَا وَأَعْلَاهَا سِوَاءٍ فِي الصَّفَاءِ .
 وَمَا يُغْنِي فِيهِ مِنْ قَصِيدَةٍ نُصِيبُ الْبَائِيَةَ الْمَذْكُورَةَ قَوْلُهُ :
 [من الطويل]

صوت

خَلِيلِي مَنْ كَعَبٍ أَلَمَّا هُدَيْتُمَا بَزِينِبَ لَا يَفْقِدُكُمَا أَبَدًا كَعَبُ
 مِنْ الْيَوْمِ زُورَاهَا فَإِنَّ رِكَابَنَا غَدَاةً غَدٍ عَنْهَا وَعَنْ أَهْلِهَا نُكَبُ
 الْغَنَاءُ لِمَالِكٍ خَفِيفُ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ .

صوت

من المائة المختارة على رواية جحظة عن أصحابه

[من السريع]

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوَجُوهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنْمٌ
 وَالْدَّارُ وَحْشٌ وَالرُّسُومُ كَمَا رَقَّشٌ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمٌ
 لَسْتُ كَأَقْوَامٍ خَلَّاتِقُهُمْ نَثُ أَحَادِيثٍ وَهَتْكَ حُرْمٌ¹
 نَثُ الْحَدِيثِ : إِشَاعَتُهُ . وَالْعَنَمَ : شَجَرُ أَحْمَرٍ ، وَقِيلَ : بَلْ هُوَ دُودٌ أَحْمَرٌ كَالْأَسَارِيعِ يَكُونُ
 فِي الْبَقْلِ فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ . وَالْأَدِيمُ : الْجِلْدُ . وَجِلْدُ كُلِّ شَيْءٍ أَدِيمُهُ . وَرَقَّشَ : زَيْنَ . الشَّعْرُ²
 لِمَرْقُشٍ الْأَكْبَرِ³ ، وَالْغَنَاءُ لِابْنِ عَائِشَةَ هَزَجٌ بِالْبَنْصَرِ فِي مَجْرَاهَا .

1 أحاديث وهتك في ل : الأحاديث ونهكة .

2 هذا الشعر من قصيدة المرقش يرثي بها ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة ، قتله مهلهل ، وكان معه مرقش فأُفْلِتَ ، ثم إنه طلب بدم ثعلبة فقتل رجلاً من تغلب يُقال له عمرو بن عوف . (انظر ديوان المرقشين ، تحقيق كارين صادر ، دار صادر ، بيروت ، 1998 .

3 في ل : الأصغر .

[81] - أخبار المرقش الأكبر ونسبه¹

[نسبه وسبب تسميته بالمرقش وقرابته للمرقش الأصغر]

المرقش لقب غلب عليه بقوله : [من السريع]

الدَّارُ وَخَشٌ وَالرَّسُومُ كَمَا رَقَّشَ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمٌ

وهو أحد من قال شعراً² فَلَقَّبَ بِهِ . واسمه ، فيما ذكر أبو عمرو الشَّيبَانِي ، عمرو . وقال غيره : عَوْفٌ³ بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعَةَ بن قيس بن ثَعْلَبَةَ الْحِصْنِ⁴ بن عُكَّابَةَ بن صَعْبِ بن عَلِيٍّ بن بكر بن وائل . وهو أحد المتَّيِّمِينَ . كان يهوى ابنةَ عَمِّهِ أَسْمَاءَ بنتِ عَوْفِ بن مالك بن ضُبَيْعَةَ ، وكان المرقش الأصغر ابنَ أَخِي المرقش الأكبر . واسمه فيما ذكر أبو عمرو ، ربيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك . وقال غيره : هو عمرو بن حَرْمَلَةَ بن سعد بن مالك . وهو أيضاً أحد المتَّيِّمِينَ ، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك ويتشَبَّبُ بها . وكان للمرقشَيْنِ جميعاً موقعٌ في⁵ بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب ، وبأسٍ وشجاعة ونجدة وتَقَدُّمٌ في المشاهد ونكاية في العدو وحسنُ أثره وكان عوف بن مالك بن ضُبَيْعَةَ عَمُّ المرقش الأكبر من فرسان بكر بن وائل .

[عوف بن مالك المعروف بالبرك]

وهو القاتل يوم قِصَّة : يا لبكر بن وائل ، أفي كلِّ يوم فرار ! أما ومحلوفي لا يمرُّ بي رجل من بكر بن وائل منهزماً إلَّا ضربته بسيفي . وبرك يقاتل ، فسمي البرك يومئذٍ . [عمرو بن مالك وأسرُه لمهلل]

وكان أخوه عَمْرُو بنُ مالِكٍ أيضاً من فُرَّسان بكر ، وهو الذي أَسَرَ مُهْلَهْلًا ، التقيا في خيَلَيْنِ من غير مُزاحفة في بعض الغارات بين بَكْرٍ وتَغْلِبَ ، في موضع يُقال له نَقَا الرَّمْلِ ، فانهزمت خيلُ مهلهل وأدركه عمرو بن مالك فَأَسْرَه فأنطلق به إلى قومه ، وهم في نواحي هَجَرَ⁶ ، فأحسنَ إِسَارَه . ومرَّ عليه تاجر يبيع الخمر قَدِيمَ بها من هجر ، وكان صديقاً لمهلل

1 المرقش الأكبر : انظر أخباره في : في الشعر والشعراء 1 : 210 . وفي الأنباري 457-460 ، 484 .

2 في ل : الشعر .

3 قبل سُمِّيَ عَوْفًا باسم عَمِّهِ والدِ أَسْمَاءَ التي كان يهواها ويتشَبَّبُ بها .

4 في ل : بن الحصن .

5 في ل : موقف .

6 هجر : اسم يطلق على أكثر من موضع . ولعله يقصد به هجر التي قصبتها الصفاً باتجاه اليمامة والبصرة .

يشترى منه الخمر ، فأهدى إليه وهو أسير زقَّ خمر ؛ فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بَكَراً وشربوا عند مهلهل في بيته ، وقد أفرد له عمرو بيتاً يكون فيه ، فلماً أخذ فيهم الشرابُ تغنى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب ، فسمع ذلك عمرو بن مالك فقال¹ : إنه لريّان ، والله لا يشرب ماء حتى يرد ربيبٌ يعني جملأً كان لعمرو بن مالك ، وكان يتناول الدهاس² من أجواف حجر فيرعى فيها غباً بعد عشر في حمارة القيظ فطلبت رُكبانُ بني مالك ربيباً وهم حراس على ألا يُقتل مهلهل ، فلم يقدرُوا على البعير حتى مات مهلهل عطشاً . ونحر عمرو بن مالك يومئذ ناباً فأُخرج جلدها على مهلهل وأخرج رأسه . وكانت بنتُ خال مهلهل امرأته بنتُ المحلل أحد بني تغلب قد أرادت أن تأتيه وهو أسير ؛ فقال يذكرها :

طَيِّبَةٌ مَا ابْنَةُ الْمُحَلَّلِ شَبَابًا لَعُوبٌ لَذِيذَةٌ فِي الْعِناقِ³

فلماً بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات . فكان هَبْنَقَةُ القيسي أحد بني قيس بن ثعلبة واسمه يزيد بن ثروان يقول وكان مُحَمَّماً وهو الذي تَضَرَّبَ به العربُ المثلُ في الحمق : لا يكون لي جمل أبداً إلا سَمِيَتْهُ رَبِيباً (يعني أن ربيباً كان مباركاً لقتله مهلهلاً) . ذكر ذلك أجمع ابنُ الكلبي وغيره من الرواة . والقصيدَةُ الميمية التي فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقش يقولها في مَرثِيَةِ ابن عمِّ له . وفيها يقول :

بَلْ هَلْ شَجَنَكَ الظُّغْنُ بَاكِرَةً كَانَتْهَا النَخِيلُ مِنْ مَلْهَمٍ⁴

[عشق المرقش أسماء بنت عوف]

قال أبو عمرو ووافقه المفضل الضبي : وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشيق ابنة عمِّه أسماء بنت عوف بن مالك ، وهو البرك ، عشيقها وهو غلام فخطبها إلى أبيها ؛ فقال : لا أزوجه حتى تُعرَفَ بالبأس ، وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن ، وكان يعده فيها المواعيد . ثم انطلق مرقش إلى ملكٍ من الملوك فكان عنده زماناً ومدحه فأجازه . وأصاب عوفاً زماناً شديداً ؛ فأتاه رجل من مُراد أحد بني غُطَيْف ، فأرغبه في المال فزوجهُ أسماء على مائة من الإبل ، ثم تنحى عن بني سعد بن مالك .

1 في ل : فلماً سمع عمرو بن مالك ذلك قال .

2 الدهاس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب .

3 الشَّباب : التي في أسنانها ماء ورقة وبرد وعدوية .

4 ملهم : أرض من أرض اليمامة موصوفة بكثرة النخيل .

[أخبره أهله بموت أسماء ولما علم بزواجها من المرادي رحل إليها ومات عندها]

ورجع مرقش ، فقال إخوته : لا تخبروه إلا أنها ماتت ؛ فذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولقوها في ملحفة ثم قبروها . فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت ، وأتوا به موضع القبر ؛ فنظر إليه وصار¹ بعد ذلك يعتاده ويزوره . فبينما هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين² لهما إذ اختصما في كعب ، فقال أحدهما : هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء . فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام ، وكان قد ضنى ضناً شديداً ، فسأله عن الحديث فأخبره به وبترويج المرادي أسماء ؛ فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من غفيلة كان عسيفاً³ لمرقش ، فأمرها بأن تدعو له زوجها فدعته ، وكانت له رواحل فأمره بإحضارها ليطلب المرادي عليها فأحضره إياها ، فركبها ومضى في طلبه ، فمرض في الطريق حتى ما يحمل إلا معروضا . وإنهما نزلا كهفاً بأسفل نجران ، وهي أرض مراد ، ومع الغفلي امرأته وليدة مرقش ؛ فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضرراً وجوعاً . فجعلت الوليدة تبكي من ذلك ؛ فقال لها زوجها : أطيعيني⁴ ، وإلا فإنني تاركك وذاهب . قال : وكان مرقش يكتب ، وكان أبوه دفعه وأخاه حرمة ، وكانا أحب ولده إليه ، إلى نصراني من أهل الحيرة فعلمهما الخط . فلما سمع مرقش قول الغفلي للوليدة كتب مرقش على مؤخرة الرحل هذه الأبيات⁵ :

يا صاحبي تلبثا لا تعجلا	إن الرواح رهين ألا تفعل
فلعل لبثكما يفرط سيئاً	أو يسبق الإسراع سيئاً مقبلاً ⁶
يا راكباً إمّا عرضت فبلغن	أنس بن سعد إن لقيت وحرماً ⁷
لله دركما ودر أبيكما	إن أفلت العبدان حتى يقتلا ⁸
من مبلغ الأقوام أن مرقشاً	أضحى على الأصحاب عبثاً مقبلاً

1 في ل : وكان .

2 في ل : بكعب .

3 العسيف : الأجير والعبد والمستعان به .

4 في ل : إن أطعني .

5 في ل : هذا الشعر .

6 يفرط : يقدم .

7 أنس بن سعد وحرمة : هما أخوا مرقش .

8 العبدان : في ل : الغفلي .

وَكأنَّمَا تَرَدُّ السَّبَاعُ بِشِلْوِهِ إِذْ غَابَ جَمْعُ بَنِي ضُبَيْعَةَ مِنْهَلًا
 قال : فانطلق الغُفْلِيَّ وامرأته حتى رجعا إلى أهلهما ، فقالا : مات المرقش . ونظر حرمله إلى
 الرَّحْلَ وجعل يُقَلِّبه فقرأ هذه الأبيات ؛ فدعاها وخوفهما وأمرهما بأن يصدّقاها ففعلا ، فقتلها .
 وقد كانا وصفا له الموضع ، فركب في طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره فعرف أنَّ
 مرقشاً كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه وأقبل راعيها
 إليها . فلما بصر به قال له : مَنْ أَنْتَ وما شَأْنُكَ ؟ فقال له مرقش : أنا رجلٌ من مُرَاد ، وقال
 للراعي : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : راعي فلان ، وإذا هو راعي زوج أسماء . فقال له مرقش : أُنْستطيعُ أن
 تكلمَ أسماءَ امرأةَ صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جارتُها كلَّ ليلةٍ فأحلبُ لها
 عتراً فتأتيها بلبنها . فقال له : خذ خاتمي هذا ، فإذا حلبتْ فالقه في اللبن ، فإنها ستعرفه ، وإنك
 مُصِيبٌ به خيراً لم يُصبه راعٍ قطُّ إنْ أَنْتَ فعلتَ ذلك . فأخذ الراعي الخاتم . ولما راحت الجارية
 بالقدح وحلب لها العترة طرَحَ الخاتم فيه ، فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها . فلما سكنت
 الرَّغْوَةَ أخذته فشربته ، وكذلك كانت تصنع ، فقرع الخاتم ثَنِيَّتَهَا ، فأخذته واستضاءت بالنار
 فعرفته ؛ فقالت للجارية : ما هذا الخاتم ؟ قالت : ما لي به علم ؛ فأرسلتها إلى مولاه وهو في
 شَرْفٍ¹ بنجران ؛ فأقبلَ فَرَعَاً ؛ فقال لها : لِمَ دعوتني ؟ قالت له : ادعُ عبدك راعي غنمك
 فدعاه ؛ فقالت : سلّه أين وجد هذا الخاتم ! قال : وجدته مع رجلٍ في كهف خُبَانٍ² ؛ قال :
 ويقال كهف جبار ، فقال : اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماءُ فإنك مُصِيبٌ به خيراً ، وما
 أخبرني مَنْ هو ، ولقد تركته بآخر رَمَقٍ . فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ قالت : خاتم
 مرقش ، فأعجل السَّاعَةَ في طلبه . فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرّقاها من
 ليلتهما فاحتملاه إلى أهلهما ، فمات عند أسماء . وقال قبل أن يموت : [من الوافر]

سَرَى لِيلاً خَيْالٌ مِنْ سُلَيْمَى	فَارَقْنِي وَأَصْحَابِي هُجُودٌ
فَبِتْ أَدِيرُ أَمْرِي كُلَّ حَالٍ	وَأَذْكُرُ أَهْلَهَا وَهُمْ بَعِيدٌ
عَلَى أَنَّ قَدْ سَمَا طَرْفِي لِلنَّارِ	يُشَبُّ لَهَا بِذِي الْأَرْضَى وَقُودٌ ³
حَوَالِيهَا مَهْأً بِيضُ التَّرَاقِي	وَأَرَامٌ وَغِزْلَانٌ رُقُودٌ
نَوَاعِمُ لَا تُعَالِجُ بَوْسَ عَيْشٍ	أَوَانِسُ لَا تَرْوِحُ وَلَا تَرُودُ

1 في ل : شرب .

2 في ل : حيان .

3 الْأَرْضَى : شجر ينبت بالرمل وهو شبيه الغضى .

يَرْحَنَ مَعاً بِطَاءِ الْمَشْيِ بُدًّا¹ عَلَيْهِنَ الْمَجَاسِدَ وَالْبُرُودُ¹
 سَكَنَ بَيْلِدَةً وَسَكَنَتْ أُخْرَى وَقُطِّعَتِ الْمَوَاقِيقُ وَالْعَهْدُ
 فَمَا بِأَلِيٍّ أَفِيٍّ وَيُخَانُ عَهْدِي وَمَا بِأَلِيٍّ أَصَادٍ وَلَا أَصِيدُ
 وَرُبَّ أُسَيْلَةٍ الْخَذِينَ بِكَرٍ مُنْعَمَةٍ لَهَا فَرْعٌ وَجِيدُ
 وَذُو أُشْرٍ شَتِيَتْ النَّبْتَ عَذْبُ نَقِيُّ اللَّوْنِ بَرَّاقُ بَرُودُ
 لَهَوْتُ بِهَا زَمَانًا فِي شَبَابِي وَزَارَتْهَا النِّجَائِبُ وَالْقَصِيدُ
 أَنَاثُ كُلَّمَا أَخْلَقْتُ وَصَلًا عَنَانِي مِنْهُمْ وَصَلٌ جَدِيدُ

ثم مات عند أسماء ، فدفن في أرض مُراد .

[خرج لقتل زوج أسماء فردّه أخواه وعذلاه فمريض وقال شعراً]

وقال غير أبي عمرو والمفضل : أتى رجل من مُراد يُقال له قرن الغزال ، وكان مُوسراً ، فخطب أسماء وخطبها المرقش وكان مُمْلِقاً ؛ فزوّجها أبوها من المراديّ سرّاً ؛ فَظَهَرَ عَلَى ذَلِكَ مَرْقُشُ فَقَالَ : لئن ظفرتُ به لأَقْتُلَنَّهُ . فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَهْتَدِيَهَا² خَافَ أَهْلُهَا عَلَيْهَا وَعَلَى بَعْلِهَا مِنْ مَرْقُشَ ، فَتَرَبَّصُوا بِهَا حَتَّى عَزَبَ مَرْقُشُ فِي إِبْلِهِ ، وَبَنَى الْمَرَادِيُّ بِأَسْمَاءَ وَاحْتَمَلَهَا إِلَى بَلَدِهِ . فَلَمَّا رَجَعَ مَرْقُشُ إِلَى الْحَيِّ رَأَى غَلاماً يَتَعَرَّقُ عَظْماً ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا غَلامَ ، مَا حَدَثَ بَعْدِي فِي الْحَيِّ ؟ وَأَوْجَسَ فِي صَدْرِهِ خِيفَةً لِمَا كَانَ ؛ فَقَالَ الْغَلامُ : اهْتَدَى الْمَرَادِيُّ امْرَأَتَهُ أَسْمَاءَ بِنْتَ عَوْفٍ . فَارْجِعِ الْمَرْقُشُ إِلَى حَيِّهِ فَلَبِسَ لِأُمْتِهِ وَرَكِبَ فَرَسَهُ الْأَغَرَّ ، وَاتَّبَعَ آثَارَ الْقَوْمِ يَرِيدُ قَتْلَ الْمَرَادِيِّ . فَلَمَّا طَلَعَ لَهُمْ قَالُوا لِلْمَرَادِيِّ : هَذَا مَرْقُشُ ، وَإِنْ لَقِيكَ فَنَفْسُكَ دُونَ نَفْسِهِ . وَقَالُوا لِأَسْمَاءَ : إِنَّهُ سَيَمُرُّ عَلَيْكَ ، فَاطْلَعِي رَاسَكَ إِلَيْهِ وَاسْفُري ؛ فَإِنَّهُ لَا يَرْمِيكَ وَلَا يَضْرُكُ ، وَيَلْهُو بِحَدِيثِكَ عَنْ طَلَبِ بَعْلِكَ ، حَتَّى يَلْحَقَهُ إِخْوَتُهُ فَيَرُدُّوهُ . وَقَالُوا لِلْمَرَادِيِّ : تَقَدَّمَ فَتَقَدَّمْ . وَجَاءَهُمْ مَرْقُشُ . فَلَمَّا حَاذَاهُمْ أَطْلَعَتْ أَسْمَاءُ مِنْ خِذْرُهَا³ وَنَادَتْهُ ، فَغَضَّ⁴ مِنْ فَرَسِهِ وَسَارَ بِقَرْبِهَا ، حَتَّى أَدْرَكَهُ أَخَوَاهُ أَنَسُ وَحَرْمَلَةُ فَعَذَلَاهُ وَرَدَّاهُ عَنِ الْقَوْمِ . وَمَضَى بِهَا الْمَرَادِيُّ فَأَلْحَقَهَا بِحَيِّهِ . وَضَنِّي⁵ مَرْقُشَ لِفِرَاقِ أَسْمَاءَ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

[من الطويل]

1 بُدَّ : جمع بُدَّ والأُنثى بداء وهو كثرة لحم الفخذين حتى تصطكاً .

2 اهتدى الرجل امرأته : إذا جمعها إليه وضَمَّها .

3 فِي ل : حدجها .

4 غَضَ مِنْ فَرَسِهِ : إذا نقص من غربه وحدته .

5 ضَنِّي : مريض مرضاً مخافاً كَلَّمَا ظَنَّ بِرُؤْيِهِ نَكْسَ .

أَمِنْ آلِ أَسْمَاءِ الرُّسُومِ الدَّوَارِسُ تُخَطِّطُ فِيهَا الطَّيْرُ قَفَرٌ بِسَابِسُ
وهي قصيدة طويلة . وقال في أسماء أيضاً :
أَغَالِبُكَ الْقَلْبُ اللَّجُوجُ صَبَابَةً وشوقاً إلى أسماء أم أنت غَالِبَةٌ
يَهِيْمُ وَلَا يَعِيَا بِأَسْمَاءِ قَلْبُهُ كذلك الهوى إِمْرَارُهُ وَعَوَاقِبُهُ
أُيْلِحِي أَمْرُؤُ فِي حَبِّ أَسْمَاءٍ قَدْ نَأَى بَعَمَزٍ مِنَ الْوَاشِيْنَ وَازَوَرَ جَانِبُهُ
وَأَسْمَاءُ هُمْ النَّفْسُ إِنْ كُنْتَ عَالِمًا وبإدي أحاديثِ الْفَوَادِ وَغَابِئُهُ
إِذَا ذَكَرْتُهَا النَّفْسُ ظَلَّتْ كَانَنِي يُعْزِعُنِي قَفَقَافٌ وَرِدٍ وَصَالِبُهُ¹

[كان مع المجالد بن ريان في غارته على بني تغلب وقال شعراً]

وقال أبو عمرو : وقع المجالد بن ريان بيني تغلب بجُمران² فنكى فيهم وأصاب مالاً
وأُسرى ، وكان معه المرقش الأكبر ، فقال المرقش في ذلك : [من المتقارب]

أَتَتْنِي لِسَانُ بَنِي عَامِرٍ فَجَلَّى أَحَادِيثَهَا عَنْ بَصَرٍ³
بَانَ بَنِي الْوَحْمِ سَارُوا مَعًا بِجِيْشٍ كَضَوْءِ نَجُومِ السَّحَرِ⁴
بِكُلِّ خَبُوبِ السُّرَى نَهْدَةٍ وَكُلِّ كُمَيْتِ طُوالِ أَغَرٍّ⁵
فَمَا شَعَرَ الْحَيُّ حَتَّى رَأَوْا بِرَيْقِ الْقَوَانِسِ فَوْقَ الْغُرِّ⁶
فَأَقْبَلَنَّهُمْ ثُمَّ أَدْبَرَنَّهُمْ وَأَصْدَرَنَّهُمْ قَبْلَ حِينِ الصَّدْرِ⁷
فِيَا رَبِّ شَلُوْ تَخَطَّرَفَنَّهُ كَرِيْمٍ لَدَى مَزْحَفٍ أَوْ مَكَّرٍ⁸
وَكَائِنْ بِجُمرَانٍ مِنْ مُزْعَفٍ وَمِنْ رَجُلٍ وَجْهُهُ قَدْ عُفِرَ⁹

1 وقفقافة : اضطراب الحنكين واصطكاك الأسنان منه . الورد : من أسماء الحمى . وصالبه : شدة حرارته مع رعدة .

2 في ل : بنجران ، وجمران : موضع ببلاد الرباب ، أو هو ماء .

3 اللسان هنا : الرسالة . وجلَّى أحاديثها عن بصر : أي كشفت أحاديثها العمى .

4 الوحْم في ل : الوجم ، وبنو الوحْم : بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة .

5 القوانس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد . والغرر : السادة من الرجال ، ويقال الغرر : الوجوه .

6 تخطرفنه : استلبنه ، وقيل : جاوزنه وخلفنه .

7 بجمران في ل : بنجران . مُزْعَف : زعفه وأزعفه : رماه أو ضربه فمات مكانه سريعاً .

[82] - وأما المرقش الأصغر¹

[نسيه وعشقه لفاطمة بنت المنذر وأخباره في ذلك وشعره]

فهو على ما ذكر أبو عمرو : ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة . والمرقش الأكبر عم الأصغر ، والأصغر عم طرفة بن العبد . قال أبو عمرو : والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمراً . وهو الذي عشق فاطمة بنت المنذر ، وكانت لها وليدة يقال لها بنت عجلان ، وكان لها قصر [بكازمة]² وعليه حرس . وكان الحرس يجرون كل ليلة حوله الثياب فلا يطوئه أحد إلا بنت عجلان . وكان لبنت عجلان في كل ليلة رجل من أهل الماء يبيت عندها . فقال عمرو بن جناب بن مالك لمرقش : إن بنت عجلان تأخذ كل عشية رجلاً ممن يعجبها فيبيت معها . وكان مرقش ترعية³ لا يفارق إبله ، فأقام بالماء وترك إبله ظمأى ، وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شعراً . وكانت فاطمة بنت المنذر تقعد فوق القصر فتنظر إلى الناس . فجاء مرقش فبات عند ابنة عجلان ؛ حتى إذا كان من الغد تجردت عند مولاتها . فقالت لها : ما هذا بفخذيك ؟ وإذا نكتت كأنها التين وكأثار السياط من شدة خفزه إياها عند الجماع ، قالت : آثار رجل بات معي الليلة . وقد كانت فاطمة قالت لها : لقد رأيت رجلاً جميلاً راح نحونا بالعشية لم أره قبل ذلك ؛ قالت : فإنه فتى قعد عن إبله وكان يرعاها ، وهو الفتى الجميل الذي رأيته ، وهو الذي بات معي فأثر في هذه الآثار . قالت لها فاطمة : فإذا كان غدٌ وأتاك فقدمني له مجمراً ومُريه أن يجلس عليه وأعطيه سواكاً ، فإن استاك به أو رده فلا خير فيه ، وإن قعد على المجرم أو رده فلا خير فيه . فأثته بالمجرم فقالت له : اقعد عليه ؛ فأبى وقال : أدنيه مني ، فدخن لحيته وجُمته وأبى أن يقعد عليه ، وأخذ السواك فقطع رأسه واستاك به . فأثت ابنة عجلان فاطمة فأخبرتها بما صنع ؛ فآزدادت به عجباً وقالت : اثيني به . فتعلقت به كما كانت تتعلق ، فمضى معها وانصرف أصحابه . فقال القوم حين انصرفوا : لشد ما علق بنت عجلان المرقش ! وكان الحرس ينثرون التراب حول قبة فاطمة بنت المنذر ويجرون عليه ثوباً حين تُمسي ويمرُسونها فلا يدخل عليها إلا ابنة عجلان ؛ فإذا كان الغد بعث الملك بالقافة فينظرون أثر من دخل إليها ويعودون فيقولون

1 المرقش الأصغر : انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 1 : 214 وفي الأنباري : 498-499 .

2 كازمة : على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، وهي مدينة الكويت الآن .

3 ترعية : يجيد رعية الإبل أو صناعته وصناعة آباءه رعية الإبل .

له : لم نَرِ إِلَّا أثرَ بنتِ عجلان . فلمّا كانت تلك الليلة حملتُ بنتُ عجلان مرقشاً على ظهرها وحزمتها إلى بطنها بثوب ، وأدخلته إليها فبات معها . فلمّا أصبح بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا : نظرنا أثرَ بنتِ عجلان وهي مُثَقَلَةٌ . فلبث بذلك حيناً يدخل إليها . فكان عمرو بن جناب بن عوف بن مالك يرى ما يُفعل ولا يَعرف مذهبه . فقال له : ألم تكن عاهدتني عهداً لا تكتمني شيئاً ولا أكتمك ولا نتكاذب ؟! فأخبره مرقشُ الخبر ؛ فقال له : لا أرضى عنك ولا أكلمك أبداً أو تُدخلني عليها ، وحلف على ذلك . فانطلق المرقش إلى المكان الذي كان يواعد فيه بنتَ عجلان فأجلسه فيه وانصرف وأخبره كيف يصنع ، وكانا متشابهين غير أن عمرو بن جناب كان أشعر ، فأثته بنتُ عجلان فاحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أمره به مرقش . فلمّا أراد مباشرتها وجدتُ مسّاً شعراً فخذيه فاستنكرته ، وإذا هو يُرْعَد ؛ فدفعته بقدمها في صدره وقالت : قَبِّحَ اللهُ سرّاً عند المُعَيّدي . ودعت بنتَ عجلان فذهبت به ، وانطلق إلى موضع صاحبه . فلمّا رآه قد أسرع الكُرَّةَ ولم يلبث إلا قليلاً ، عَلِمَ أَنَّهُ قد افتضح ، فعَصَّ على إصبعه فقطعها . ثم انطلق إلى أهله وترك المال الذي كان فيه ، يعني الإبل التي كان مقيماً فيها ، حياءً ممّا صنع . وقال مرقش في ذلك :

أَلَا يَا اسْلَمِي لَا صُرْمَ لِي الْيَوْمَ فَاطِمَا	وَلَا أَبَدًا مَا دَامَ وَصْلُكَ دَائِمَا
رَمَتِكَ ابْنَةُ الْبَكْرِيِّ عَنْ فَرْعِ ضَالَّةٍ	وَهُنَّ بَنَاتُ خُوصٍ يُخْلَنُ نَعَائِمًا ¹
تَرَاءتْ لَنَا يَوْمَ الرِّحِيلِ بَوَارِدِ	وَعَذِبِ الثَّيَابِ لَمْ يَكُنْ مَتْرَاكًا ²
سَقَاهُ حَبَابُ الْمُنَى فِي مَتَكَلَلِ	مِنَ الشَّمْسِ رَوَاهُ رَبَابُ سَوَاجِمَا
أَرَتَكَ بِذَاتِ الضَّالِّ مِنْهَا مَعَاصِمًا	وَحَدًّا أَسِيلًا كَالْوَذِيلَةِ نَاعِمًا ³
صَحَا قَلْبُهُ عَنْهَا عَلَى أَنَّ ذِكْرَةَ	إِذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ قَائِمَا
تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنِ	خَرَجْنِ سِرَاعًا وَاقْتَعَدْنَ الْمَقَائِمَا ⁴
تَحْمَلْنَ مِنْ جَوْ الْوَرِيعةِ بَعْدَ مَا	تَعَالَى النَّهَارُ وَاتَّجَعْنَ الصَّرَائِمَا ⁵

1 الخوص : الإبل الغائرة العيون من جهد السفر . والنعائم جمع نعامة .

2 الوارد من الشعر : الطويل . والقَمُ المتراكم : المتقارب النبات قد ركب بعض أسنانه بعضاً .

3 الوذيلة : سبيكة الفضة .

4 المقائم : العظام من الإبل ، وقيل هي المراكب الوافية الواسعة ، واحدها مقام .

5 الوريعة : حزم لبني فقيم بن جرير بن دارم والحزم : ما غلظ من الأرض وكثرت حجارتها وأشرف . الصرائم : جمع صريمة وهي قطعة الرمل التي تنقطع من معظم الرمل .

تَحْلِينَ ياقوتاً وشذراً وصيغة
 سلكن القرى والجزع تُحدي جمالها
 ألا حبذا وجه تريك بياضه
 وإنني لأستحيي فطيمة جائعاً
 وإنني لأستحييك والخرق بيننا
 وإنني وإن كَلت قُلوصي لَراجِمٌ
 ألا يا اسلمي بالكوكب الطلق فاطما
 ألا يا اسلمي ثم اعلمي أن حاجتي
 أفاطم لو أن النساء ببلدة
 متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله
 وإلى جناب حلفه فاطعته
 فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره
 ألم تر أن المرء يجذم كفه
 أمين حلم أصبحت تنكت واجماً
 وجزعا ظفاريأ ودراً توائماً¹
 ووركن قواً واجتزعن المخارماً²
 ومُسَدَلَات كالمثاني فواحماً³
 خميصاً وأستحيي فطيمة طاعماً
 مخافة أن تلقني أخاً لي صارماً⁴
 بها وبنفسي يا فطيم المراجما
 وإن لم يكن صرف النوى متلائماً⁵
 إليك فرددي من نوالك فاطما
 وأنت بأخرى لابتغيتك هائماً⁶
 ويغضب عليه لا محالة ظالماً
 فنفسك ول اللوم إن كنت نادماً
 ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً
 ويجشم من لوم الصديق المجاشماً⁷
 وقد تعترى الأحلام من كان نائماً⁸

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

إذا قلت تسلو النفس أو تنتهي المنى
 أباي القلب إلا حباً أم حكيم

- 1 الجزع : الخرز .
- 2 جمالها في ل : جماهم . وركن : عدلن . قو : منزل للقاصد من المدينة إلى البصرة ، وثمة أماكن أخرى بهذا الاسم . اجتزعن : قطعن . المخارم : جمع مخرم وهو رمل مستطيل فيه طرق .
- 3 المثاني : الجبال .
- 4 الخرق : ما اتسع من الأرض .
- 5 الطلق في ل : الفرد . والطلق : الذي لا حر فيه ولا قر ولا شيء يؤدي .
- 6 لابتغيتك في ل : لا تبعتك .
- 7 يجشم : يركب المكروه .
- 8 نكت في الأرض : خطط فيها بعود .

مُنْعَمَةٌ صَفَرَاءُ حُلُوْ دَلَالُهَا أَيْبَتْ بِهَا بَعْدَ الْهُدُوءِ أَهِيْمُ¹
 قَطُوفُ الْخَطَا مَحْطُوطَةٌ مَتْنُ زَانِهَا مَعَ الْحُسْنِ خَلَقَ فِي الْجَمَالِ عَمِيْمُ²

الشعر مُخْتَلَفٌ فِي قَائِلِهِ ، فَمِنْ الرِّوَاةِ مَنْ يَرْوِيهِ لَصَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَبْشَمِيُّ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْوِيهِ لِقَطَرِيٍّ بْنِ الْفُجَاءَةِ الْمَازِنِيِّ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْوِيهِ لِعَبِيدَةَ بْنِ هِلَالِ الْيَشْكُرِيِّ . وَالْغِنَاءُ لِسَيَّاطٍ ، وَلَهُ فِيهِ لَحْنَانٌ : أَحَدُهُمَا ، وَهُوَ الْمَخْتَارُ ، ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى ، وَالْآخَرُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ . وَلِبَعْضِ الشُّرَاةِ قَصِيدَةٌ فِي هَذَا الْوِزْنِ وَعَلَى هَذِهِ الْقَافِيَةِ ، وَفِيهَا ذِكْرٌ لَأَمِّ حَكِيمٍ هَذِهِ أَيْضاً ، تُنسَبُ إِلَى هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءِ الثَّلَاثَةِ ، وَيُخْتَلَفُ فِي قَائِلِهَا كَالِاخْتِلَافِ فِي قَائِلِ هَذِهِ . وَفِيهَا أَيْضاً غِنَاءٌ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مِنْهَا : [مِنْ الطَّوِيلِ]

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ أُمَّ حَكِيمٍ
 وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دُولَابٍ أَبْصَرْتُ طِعَانَ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرِ دَمِيمٍ

ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ أَنَّ الشَّعْرَ لِقَطَرِيٍّ بْنِ الْفُجَاءَةِ ، وَذَكَرَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ أَنَّهُ لَعَمْرُو الْقَنَا ، وَذَكَرَ وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ أَنَّهُ لِحَبِيبِ بْنِ سَهْمٍ التَّمِيمِيِّ ، وَذَكَرَ أَبُو مِخْنَفٍ أَنَّهُ لِعَبِيدَةَ بْنِ هِلَالِ الْيَشْكُرِيِّ ، وَذَكَرَ خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ أَنَّهُ لَعَمْرُو الْقَنَا أَيْضاً . وَالْغِنَاءُ لَعَبْدِ ثَانِيٍ ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقٍ وَيُونُسَ .

1 الهدوء : الهزيع من الليل . في هذا الشعر إقواء .

2 قطوف الخطا : ضيقتها . مخطوطة المتن : أي ممدودتهما .

[83] - خبر الوقعة التي قيل فيها هذان الشعران

وهي وقعة دولاب

وشيء من أخبار هؤلاء الشراة وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه

[وقعة دولاب وشيء من أخبار الشراة]

هذان الشعران قِيلا في وقعة دولاب ، وهي قرية من عمل الأهواز ، بينها وبين الأهواز نحو من أربعة فراسخ ، كانت بها حرب بين الأزارقة وبين مُسلم بن عُبيس بن كُرَيْز خليفة عبد الله بن الحارث بن نوْفَل بن عبد المطلب ، وذلك في أيام ابن الزُبَيْر . أخبرني بخبر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة عن المدائني ، وأخبرني بها عُبَيْد الله بن محمد الرازي عن الخُرَّاز عن المدائني ، وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير بن حرب عن خالد بن خِدَاش : أنَّ نافع بن الأزرق ، لما تفرقت آراء الخوارج ومذاهبهم في أصول مقاتلتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترضُ الناس ، وقد كان متشككاً في ذلك . فقالت له امرأته : إن كنت قد كفرت بعد إيمانك وشككت فيه ، فدع نَحْلَتَكَ ودَعَوَتَكَ ، وإن كنت قد خرجت من الكفر إلى الإيمان¹ فاقتل الكفار حيث لقيتهم وأتخن في النساء والصبيان كما قال نوح ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ . فقبل قولها واستعرض² الناس وبسط سيفه ، فقتل الرجال والنساء والولدان ، وجعل يقول : إن هؤلاء إذا كبروا كانوا مثل آبائهم . وإذا وطىء بلدأ فعل مثل هذا به إلى أن يُحييه الله جميعاً ويدخلوا ملته ، فيرفع السيف ويضع الجباية فيجبي الخراج . فعظم أمره واشتدت شوكته وفشا عماله في السواد . فارتاع لذلك أهل البصرة ومشوا إلى الأحنف بن قيس فشكوا إليه أمرهم وقالوا له : ليس بيننا وبين القوم إلا ليلتان ، وسييرتهم كما ترى ؛ فقال لهم الأحنف : إن سيرتهم في مصركم إن ظفروا به مثل سيرتهم في سوادكم ، فخذوا في جهاد عدوكم . وحرَضهم الأحنف ، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل في السلاح . فأتاه عبد الله بن الحارث بن نوْفَل ، وسأله أن يؤمّر عليهم أميراً ، فاختر لهم مُسلم بن عُبيس بن كُرَيْز بن ربيعة ، وكان فارساً شجاعاً ديناً ، فأمره عليهم وشيعه . فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال : إني ما خرجتُ لامتيار ذهب ولا فضة ، وإني

1 في ل : الإسلام .

2 استعرض الناس : قتلهم ولم يبالٍ من قتل مسلماً أو كافراً من أي وجه أمكنه .

لأحاربُ قوماً إن ظفرتُ بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم . فَمَنْ كان من شأنه الجهادُ فلينهض ، ومن أحبَّ الحياةَ فليرجع . فرجع نفرٌ يسير ومضى الباقون معه ؛ فلما صاروا بدُولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماحُ وعُقرت الخيلُ وكثرت الجراحُ والقتلى ، وتضاربوا بالسيوف والعمد ؛ فقتل في المعركة ابن عُبَيْس وهو على أهل البصرة ، وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وستين ، وقُتل نافع بن الأزرق يومئذٍ أيضاً ؛ فعجب الناسُ من ذلك ، وأنَّ الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير ، وقُتل رئيسا العسكرين ، والشُّراءُ يومئذٍ ستمائة رجل ، فكانت الحدةُ يومئذٍ وبأس الشراة واقعاً ببني تميم وبني سُدُوس . وأتى ابن عُبَيْس وهو يوجد بنفسه فاستخلف على الناس الربيع بن عمرو الغداني ، وكان يقال له الأجدم ، كانت يده أصيبت بكابلٍ مع عبد الرحمن بن سَمُرَة . واستخلف نافعُ ابن الأزرق عُبَيْدَ الله بن بَشِير بن الماحوز أحد بني سَلِيط بن يَرْبُوع . فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاً من بني يَرْبُوع ، رئيس المسلمين من بني غُدانة بن يَرْبُوع ، ورئيس الشُّراء من بني سَلِيط بن يَرْبُوع ، فاتصَّلت الحربُ بينهم عشرين يوماً . قال المدائني في خبره : وادَّعى قتلُ نافع بن الأزرق رجلاً من باهلة يقال له سلامة . وتحدث بعد ذلك قال : كنتُ لما قتلته على بردون وردي فإذا أنا برجلٍ ينادي ، وأنا واقف في خُمسٍ من بني تميم ، فإذا به يعرضُ عليَّ المبارزة فتغافلُ عنه ، وجعل يطلبنى وأنا أنتقل من خُمسٍ إلى خُمسٍ وليس يُزِيلني ، فصيرتُ إلى رَحْلي ثم رجعتُ فدعاني إلى المبارزة ، فلما أكثر خرجتُ إليه ، فاختلفنا ضربتين فضرَبته فصرَعته ، ونزلتُ فأخذتُ رأسه وسلبته ، فإذا امرأة قد رأتني حين قتلْتُ نافعاً ، فخرجتُ لثَّار به . قالوا : فلما قُتل نافع وابن عُبَيْس ووُلِّي الجيش إلى ربيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشُّراءَ نيفاً وعشرين يوماً ، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه : إني مقتول لا محالة ؛ قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : إني رأيت البارحة كأنَّ يدي التي أصيبتُ بكابلٍ انحطَّت من السماء فاستشَلَّتني . فلما كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم فقتل يومئذٍ ، قال : استشلاه : أخذه إليه . يقال : استشلاه واشتلاه ، قال : فلما قُتل الربيع تدافع أهلُ البصرة الراية حتى خافوا العَطَبَ إذ لم يكن لهم رئيس ؛ ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحِميري . وقد اقتل الناسُ يومئذٍ وقبله بيومين قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ، تطاعنوا بالرماح حتى تقصَّفت ، ثم تضاربوا بالسيوف والعمد حتى لم يبقَ لأحد منهم قوَّة ، وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يُغني شيئاً من الإعياء ، وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون¹ بالأفواه . فلما تدافع القومُ الراية وأبوا

1 تكادموا بالأفواه : تعاضوا .

وَاتَّفَقُوا عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ بَابٍ امْتِنَعَ مِنْ أَخْذِهَا . فَقَالَ لَهُ كُرَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : خُذْهَا فَإِنَّهَا مَكْرُومَةٌ ؛ فَقَالَ : إِنَّهَا لِرَايَةِ مَشْعُومَةٍ ، مَا أَخْذُهَا أَحَدٌ إِلَّا قُتِلَ . فَقَالَ لَهُ كُرَيْبُ : يَا أَعُورُ ، تَقَارَعَتِ الْعَرَبُ عَلَى أَمْرِهَا ثُمَّ صَيَّرُوهَا إِلَيْكَ فَتَأْبَى خَوْفَ الْقَتْلِ ؛ خُذِ اللِّوَاءَ وَيَحْكُ ! فَإِنْ حَضَرَ أَجْلُكَ قُتِلْتَ إِنْ كَانَتْ مَعَكَ أَوْ لَمْ تَكُنْ . فَأَخَذَ اللِّوَاءَ وَنَاهَضَهُمْ ، فَاقْتَتَلُوا حَتَّى انْتَقَضَتِ الصَّفُوفُ وَصَارُوا كِرَادِيسَ ، وَالْخَوَارِجُ أَقْوَى عُذَّةً بِالدَّرُوعِ وَالْجَوَاشِنِ¹ . وَجَعَلَ الْحَجَّاجُ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ وَيَحْمِلُ حَتَّى يَغِيبَ فِي الشُّرَاةِ وَيَطْعَنُ فِيهِمْ وَيَقْتُلُ حَتَّى يُظَنَّ أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَسَيْفُهُ يَقْطُرُ دَمًا ، وَيَفْتَحُ عَيْنَيْهِ فَيَرَى النَّاسَ كِرَادِيسَ يَقَاتِلُ كُلُّ قَوْمٍ فِي نَاحِيَةٍ . ثُمَّ التَّقَى الْحَجَّاجُ بْنُ بَابٍ وَعِمْرَانُ بْنُ الْحَارِثِ الرَّاسِبِيُّ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَتَلَ صَاحِبَهُ ، وَجَالَ النَّاسُ بَيْنَهُمَا جَوْلَةً ثُمَّ تَحَاجَزُوا ؛ وَأَصْبَحَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، وَقَدْ هَرَبَ عَامَتُهُمْ ، وَوَلَّوْا حَارِثَةَ بْنَ بَدْرِ الْغَدَّائِيَّ ، أَمَرَهُمْ لَيْسَ بِهِمْ طَرِيقٌ وَلَا بِالْخَوَارِجِ . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الشُّرَاةِ ، وَهِيَ أُمُّ عِمْرَانَ قَاتِلِ الْحَجَّاجِ بْنِ بَابٍ وَقَتِيلِهِ ، تَرْتِي ابْنَهَا عِمْرَانَ :

اللَّهُ أَيَّدَ عِمْرَانًا وَطَهَّرَهُ وَكَانَ عِمْرَانٌ يَدْعُو اللَّهَ فِي السَّحَرِ
يَدْعُوهُ سِرًّا وَإِعْلَانًا لِيَرْزُقَهُ شَهَادَةً بِيَدَيَّ مِلْحَادَةٍ غُدْرٍ²
وَلَّى صَحَابَتَهُ عَنْ حَرٍّ مَلْحَمَةٍ وَشَدَّ عِمْرَانٌ كَالضَّرْغَامَةِ الذِّكْرَ

قَالَ : فَلَمَّا عَقَدُوا الْحَارِثَةَ بْنَ بَدْرِ الرِّيَاسَةَ وَسَلَّمُوا إِلَيْهِ الرَايَةَ نَادَى فِيهِمْ بَأَن يَثْبُتُوا ، فَإِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَلِلْعَرَبِ زِيَادَةٌ فَرِيضَتَيْنِ وَلِلْمَوَالِي زِيَادَةٌ فَرِيضَةٌ ؛ فَدَبَّ النَّاسَ فَالْتَقَوْا وَلَيْسَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ طَرِيقٌ ، وَقَدْ فَشَّتْ فِيهِمُ الْجِرَاحَاتُ فَلَهُمْ أَنْيُنٌ ، وَمَا تَطَأَ الْخَيْلُ إِلَّا عَلَى الْقَتْلِ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ مِنَ الْيَمَامَةِ جَمْعٌ مِنَ الشُّرَاةِ يَقُولُ الْمُكْثَرُ إِنَّهُمْ مَائِثَانِ وَالْمَقْلَلُ إِنَّهُمْ أَرْبَعُونَ فَاجْتَمَعُوا وَهُمْ مُرْجَحُونَ مَعَ أَصْحَابِهِمْ وَاجْتَمَعُوا كَبْكَبَةً³ وَاحِدَةً ، فَحَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ . فَلَمَّا رَأَاهُمْ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرِ نَكَصَ بِرَأْيِهِ فَانْهَزَمَ وَقَالَ :

كَرَّيْنَا وَدَوَّلِينَا وَحَيْثُ شَتَّمْنَا فَادْهَبُونَا⁴

وَقَالَ :

أَيَّرُ الْحِمَارُ فَرِيضَةً لِعَبِيدِكُمْ وَالْخُصِيَّتَانِ فَرِيضَةً الْأَعْرَابِ

1 الجواشن : جمع جوشن وهو زرد يلبسه الصدر .

2 الملحادة : مفعول من الإلحاد والهاء للمبالغة . غُدْر : كثير الغدر .

3 الكبكبة : الجماعة .

4 كَرَّيْنَا : انزلوا كرنبي وهي موضع بالأهواز . ودولبوا : انزلوا دولاب .

[من الكامل]

وتتابع الناسُ على أثره منهزمين ، وتبعتهم الخوارجُ ، فَأَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي دُجَيْلٍ¹ ففرق
منهم خلقٌ كثيرٌ وسلمت بقيَّتُهُمْ . وكان مِّنْ غرق دَغَقْلَ بن حنظلة أحد بني عمرو بن
شيبان . ولحقتُ قطعةً من الشُّرَاة خيلَ عبد القيس فأكْبُوا عليهم ، فعطفت عليهم خيلٌ من
بني تميم فعاونوهم وقتلوا الشُّرَاة حتى كشفوهم وانصرفوا إلى أصحابهم ، وعبرت بقيَّةُ
الناسِ ، فصار حارثةٌ ومَن معه بنهر تيرى² والشُّرَاة بالأهواز ، فأقاموا ثلاثةَ أَيَّامٍ . وكان على
الأرد يومئذٍ قَبِيصَةُ بن أَبِي صُفْرَةَ أَخُو الْمُهَلَّب ، وهو جدُّ هَزَارْمُرد . قال : وغرق يومئذٍ من
الأرد عدد كثير . فقال شاعر الأزارقة :

يَرى مَنْ جاءَ ينظر من دُجَيْلٍ شيوخَ الأرد طافيةً لحالها

وقال شاعر آخر منهم :

[من الكامل]

شَمِتَ ابنُ بدر ، والحوادثُ جَمَّةٌ ، والظالمون بنافع بن الأزرق
والموت حَتْمٌ لا محالةَ واقعٌ مَنْ لا يُصَبِّحُه نهاراً يَطْرُقُ
فلئن أَمِيرُ المؤمنين أَصابه ريبُ المنون فَمَنْ تُصِيه يَغْلِقُ³

قال قَطَرِيُّ بن الفُجاءة ، فيما ذكر المبرّد ، وقال المدائنيّ في خبره : إنّ صالح بن عبد الله
العَبْشَمِيّ قاتِلُ ذلك ؛ وقال خالد بن خِدَاش : بل قاتلها عمرو القنا ؛ قال وهب بن جرير عن
أبيه فيما حدّثني به أحمد بن الجعد الوشاء عن أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ عن أبيه عن وهب بن جرير
عن أبيه : إنّ حبيب بن سَهْمٍ قاتلها :

[من الطويل]

لعمركُ إِنِّي في الحياة لَزَاهِدٌ وفي العيش ما لم أَلْقَ أَمَّ حَكِيمٍ⁴
مِنَ الخَفِرَاتِ البِيضِ لم أَرِ مثلاً شِفَاءَ لِذِي بَثٍّ ولا لِسَقِيمٍ
لعمركُ إِنِّي يومَ الطِّمِّ وجهها على نائباتِ الدَّهْرِ غيرُ حليمٍ
ولو شَهِدْتَنِي يومَ دُولابٍ أَبْصُرْتُ طِعَانَ فَتَى في الحرب غيرِ لئيمٍ⁵
غَدَاةَ طَفَتْ عِلْماءُ بَكْرُ بن وائلٍ وَالْأَفْهَاءُ مِنْ حَمِيرٍ وسَلِيمٍ⁶

1 دُجَيْل : نهر بالأهواز .

2 تيرى : بلد من نواحي الأهواز .

3 أمير المؤمنين : يريد به نافع بن الأزرق . ويغلق : أي لا ينفلت ولا ينجو من غلق الرهن في يد المرتين .

4 معجم البلدان ، 2 : 485 .

5 غير لئيم في ل : مليم .

6 علماء : يريد على الماء . وسليم : يريد سُليم .

ومالَ الحجازيون نحو بلادهم
وكان لعبد القيس أولُ جدّها
فلم أر يوماً كان أكثرُ مُقْعَصاً¹
وضاربةً خدّاً كريماً على فتى
أصيبَ بدُولابٍ ولم تكْ موطناً
فلو شهدتنا يومَ ذاك وخيلنا
رأت فتيةً باعوا الإله نفوسهم
وعُجْنَا صدورَ الخيلِ نحو تميم
وولّتْ شيوخُ الأزْدِ فهي تَعُومُ²
يَمُجّ دماً من فائِظٍ وكَلِيمٍ³
أغرَّ نجيبَ الأمّهاتِ كريم
له أرضُ دولابٍ ودَيْرُ حَمِيمٍ⁴
تُبِحّ من الكُفّارِ كلُّ حريم
بجنّاتِ عَدْنٍ عنده ونعيم

حدّثني حبيب بن نصر المهلبي قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا خلاد⁴ الأرقط قال : كان الشراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدّين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يهيج بعضهم بعضاً . فتواقف يوماً عبدة بن هلال اليشكري وأبو حزابة⁵ التميمي وهما في الحرب ؛ فقال عبدة : يا أبا حزابة ، إنّي سأئلك عن أشياء ، أفتصدّقني في الجواب عنها ؟ قال : نعم ، إن تضمّنت لي مثل ذلك ؛ قال : قد فعلت . قال : سل عما بدا لك . قال : ما تقول في أمّتكم ؟ قال : يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفرج الحرام . قال : ويحك ؛ فكيف فعلهم في المال ؟ قال : يجبونه من غير حيلة ، ويُفقدونه في غير حقّه . قال : فكيف فعلهم في التّيمم ؟ قال : يظلمونه ماله ، ويمنعونه حقّه ، وينكون أمّه . قال : ويلك يا أبا حزابة ! أمثّل هؤلاء تتبع ؟! قال : قد أجبتُ ، فاسمع سؤالي ودع عنك عتابي على رأيي ؛ قال : قل . قال : أيّ الخمر أطيب : أخمر السهل أم خمر الجبل ؟ قال : ويلك ؛ أتسأل مثلي عن هذا ؟ قال : قد أوجبت على نفسك أن تجيب ؛ قال : أمّا إذ أُيِّتَ فإنّ خمر الجبل أقوى وأسكر ، وخمر السهل أحسن وألس . قال أبو حزابة : فأيّ الزواني أفقره : أزواني رامهرمز⁶ أم زواني أرجان ؟ قال : ويلك ! إن مثلي لا يُسأل عن مثل هذا ؛ قال : لا بدّ من الجواب أو تغدر ؛ فقال : أمّا إذ أُيِّتَ فزواني رامهرمز أرقّ أبشاراً ، وزواني أرجان أحسن أبداناً . قال : فأيّ الرجلين أشعر : أجريز أم الفرزدق ؟ قال : عليك وعليهما لعنة الله ؛ أيهما الذي يقول :

[من الكامل]

1 في هذا البيت إقواء .

2 أكثر في ل : أحسن . ومقْعَص : يقال أقعصه بالرمح إذا طعنه فمات مكانه . والفائِظ : الميت .

3 دير حميم : موضع بالأهواز .

4 هو خلاد بن يزيد الباهلي البصري صهر يونس بن حبيب النحوي .

5 هو الوليد بن حنيفة أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، شاعر من شعراء الدولة الأموية .

6 رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .

وَطَوَى الطَّرَادُ مَعَ الْقِيَادِ بَطُونَهَا طَيَّ التَّجَارَ بِحَضْرَمَوْتَ بُرُودَا

قال : جرير ؛ قال : فهو أشعرهما . قال : وكان الناس قد تجاذبوا في أمر جرير والفرزدق حتى توثبوا وصاروا إلى المهلب محكمين له في ذلك ؛ فقال : أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغاني ! ما كنت لأحكم بينهما ، ولكني أدلكم على من يحكم بينهما ثم يهون عليه سيأبهما ، عليكم بالشراة فسألوهم إذا تواقفتهم . فلما تواقفوا سأل أبو حُرَابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب .

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدثني ميمون بن هارون قال : حدثت أن امرأة من الخوارج كانت مع قَطْرِي بن الفجاءة يقال لها أُم حَكِيم ، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً وأحسنهم بدينهم تمسكاً ، وخطبها جماعة منهم فردتهم ولم تُجِبْ إلى ذلك ؛ فأخبرني من شهدا أنها كانت تحمل على الناس وترتجز :

• أَحْمِلُ رَأْسَهُ قَدْ سَمِعْتُ حَمْلَهُ وَقَدْ مَلَلْتُ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ
أَلَا فَتَى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ

قال : وهم يُفَدِّونَهَا بِالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلاً .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العُمَرِيُّ عن الهيثم بن عَدِيٍّ قال : كان عبيدة بن هلال إذا تكافأ الناس ناداهم : ليخرج إلي بعضكم ؛ فيخرج إليه فتيان من العسكر ؛ فيقول لهم : أيما أحب إليكم : أقرأ عليكم القرآن أو أنشدكم الشعر ؟ فيقولون له : أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك ، فأنشدنا ؛ فيقول لهم : يا فسقة ، والله قد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن ، ثم لا يزال يُنشدهم ويستنشدهم حتى يملوا ثم يفترقون .

[84] - أخبار سباط ونسبه

[نسبه وتلامذته]

سباطٌ لقبٌ غلب عليه ، واسمه عبد الله بن وهب ، ويُكنى أبا وهب ، مكّي مولى خزاعة . وكان مقدّماً في الغناء روايةً وصنعةً ، ومقدّماً في الضرب معدوداً في الضراب . وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلي ، وعنه أخذنا ونقلنا ونقل نظائرهما الغناء القديم ، وأخذهُ هو عن يونس الكاتب . وكان سباط زوج أمّ ابن جامع . وفيه يقول بعض الشعراء : [من الخفيف]

ما سمعتُ الغناء إلا شجاني من سباطٍ وزادَ في وسواسي
غنّني يا سباطُ قد ذهب الـليـ لـ غناء يطير منه نُعاسي
ما أبالي إذا سمعتُ غناء لسباطٍ ما فاتني للرؤاسي

والرؤاسي الذي عناه هو عباس بن منقار ، وهو من بني رؤاس . وفيه يقول محمد بن أبان الضبّي :

إذا واخيتَ عباساً فكُن منه على وجلٍ
فتى لا يقبل العذر ولا يرغب في الوصل
وما إن يتغنّى من يُواخيه من النبل

[سبب تلقيه بسباط]

قال حمّاد بن إسحاق : لقب سباطُ هذا اللقب لأنّه كان كثيراً ما يتغنّى : [من الوافر]
كانَ مَزاحِفَ الحَيّاتِ فيه قبيلَ الصبحِ آثارُ السِّباطِ

[مدح إبراهيم الموصليّ غناه]

وأخبرني محمد بن خلف قال حدّثني هارون بن مخارق¹ عن أبيه ، وأخبرني به عبد الله بن عباس بن الفضل بن الربيع الربيعي عن وسوسة الموصلي ، ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسوسة ، عن حمّاد عن أبيه ، قال :

[طلبه المهدي مع حبال وعقاب فظنّ الحاضرون أنّه يريد الإيقاع بهم]

غنّى إبراهيم الموصلي يوماً صوتاً لسباط ؛ فقال له ابنه إسحاق : لمن هذا الغناء يا أبت ؟ قال : لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئاً يأكله : لسباط . قال : وقال المهدي يوماً وهو يشرب

لِسَلَامِ الْأَبْرَشِ¹ : جئني بسياط وعقاب وحيال ؛ فارتاع كلُّ مَنْ حضر وظنَّ جميعهم أنه يريد الإيقاعَ بهم أو ببعضهم ؛ فجاءه بسياط المغني وعقاب المدني - وكان الذي يُوقع عليه - وحيال الزامر . فجعل الجلساء يشتمونهم والمهديّ يضحك .

[مرَّ بأبي ريحانة المدني وهو في الشمس من البرد فعنَى له فشقَّ ثوبه وبقي في البرد]

أخبرني محمد بن خلف قال حدَّثني أبو أيوب المدني قال حدَّثني حماد ابن إسحاق عن أبيه قال : مرَّ سياط على أبي ريحانة المدني في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه سَمْلُ ثوبٍ رقيق رَثٌ ؛ فوثب إليه أبو ريحانة وقال : بأبي أنت يا أبا وهب ، غنني صوتك في شعر ابن جُنْدَب :

فؤادي رهينٌ في هواكٍ ومهجتي تذوب وأجفاني عليك هُمولُ
فغناه إياه ، فشقَّ قميصه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد برداً وجهداً . فقال له رجل : ما أغنى عنك ما غناك من شقِّ قميصك ! فقال له يا ابن أخي ، إنَّ الشعر الحسنَ من المغني الحسنِ ذي الصوتِ المطربِ أدفاً للمقرور من حَمَامٍ مُحَمَّى . فقال له رجل : أنت عندي من الذين قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ؛ فقال : بل أنا من الذين قال الله تبارك وتعالى : ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ . وقد أخبرني بهذا الخبر علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه فذكر قرياً من هذا ؛ ولفظُ أبي أيوب وخبره أتم .
وأخبرني إسماعيل بن يُونس الشَّيعي ، المعروف بابن أبي اليَسَع ، قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة : أنَّ سياطاً مرَّ بأبي ريحانة المدني ، فقال له : بحقِّ القبر ومنْ فيه غنني بلحنك في شعر ابن جُنْدَب :

لكلِّ حَمَامٍ أَنْتَ بَاكِ إِذَا بَكَى ودمعك منهلٌ وقلبك يخفُّ
مخافةً بُعْدٍ بَعْدَ قُرْبٍ وَهَجْرَةٍ تكونُ ولما تَأْتِ والقلبُ مُشْفِقُ
ولي مهجةٌ ترفضُّ من خوفِ غَنبِهَا وقلبٌ بنار الحبِّ يَصْلَى ويُحْرِقُ
أَظْلُ خَلِيعاً بَيْنَ أَهْلِي مَتِيماً وقلبي لِمَا يَرْجُوهُ منها معلقُ
فغناه إياه ؛ فلمَّا استوفاه ضرب بيده على² قميصه فشقه حتى خرج منه وغشي عليه .
فقال له رجل لما أفاق : يا أبا ريحانة ، ما أغنى عنك الغناء ! ثم ذكر باقي الخبر مثلاً ما تقدَّم .

1 سلام الأبرش من النقلة القدماء الذين ترجموا من اللغات إلى اللغة العربية أيام البرامكة .

2 في ل : إلى .

[سمع أبو ريحانة جارية تغني فشقَّ قريتها واشترى لها عوضها]

أخبرني إسماعيل قال حدثني عمر بن شبة قال : مرّت جارية بأبي ريحانة يوماً على ظهرها قربةً وهي تغني وتقول :

وأبكي فلا ليل بكّت من صباية إليّ ولا ليل لذي الودّ تبدّل
وأخنع بالعُتبي إذا كنتُ مُذنباً وإن أذنبت كنتُ الذي أنصّل

فقام إليها فقال : يا سيّدتني أعيدي ؛ فقالت : مولاتي تنتظرني والقربة على ظهري ؛ فقال : أنا أحملها عنك ؛ فدفعتها إليه فحملها ، وغنّته الصوت ، فطرب فرمى بالقربة فشققها . فقالت له الجارية : أمن حقّي أن أغنيك وتشقّ قريتي ؟ فقال لها : لا عليك ، تعاليّ معي إلى السوق ؛ فجاءت معه فباع ملحفتَه واشترى لها بثمنها قربةً جديدة . فقال له رجل : يا أبا ريحانة ، أنت والله كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿فَمَا رَیَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ؛ فقال : بل أنا كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿الَّذِينَ يَسْمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ .

[مرّ بأبي ريحانة المدني وهو في الشمس من البرد فغنى له فشقّ ثوبه وبقي في البرد]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدثني أبو العیاء قال قال إسحاق الموصليّ : بلغني أنّ أبا ريحانة المدنيّ كان جالساً في يوم شديد البرد وعليه قميصٌ خلق رقيق ؛ فمرّ به سيات المغني فوثب إليه وأخذ يلجأه وقال له : يا سيّدي ، بحقّ القبر ومنّ فيه غنّني صوت ابن جُنْدب ، فغنّاه :

فوَادي رهينٌ في هَوَاكٍ ومُهجتي تَذُوبٌ وأجفاني عليك هُمولٌ

فشقّ قميصه حتى خرج منه وبقي عارياً وغشي عليه ، واجتمع الناسُ حوله وسياطَ واقفٌ متعجّبٌ ممّا فعل . ثم أفاق وقام إليه ؛ فرحمه سيات وقال له : ما لك يا أبا مشعوم ؟ أيّ شيء تريد ؟ قال : غنّني بالله عليك :

ودّع أمانة حان منك رَحِيلُ إنّ الوداع لمن تحبّ قليلٌ
مثلُ القضيْب تمايلتُ أعطافه فالريح تجذبُ متنه فيمِيلُ
إنّ كان شأنكم الدّلال فإنّه حسنٌ دلالك يا أُميمَ جميلٌ

فغنّاه إيّاه ؛ فلطم وجهه حتى خرج الدم من أنفه ووقع صريعاً . ومضى سيات ، وحمل الناسُ أبا ريحانة إلى الشمس . فلما أفاق قيل له : ويحك ؛ خرقت قميصك وليس لك غيره ؛ فقال : دعوني ، فإنّ الغناء الحسن من المغني المطرب أدفاً للمقرور من حَمَام المهديّ إذا أوقد سبعة أيام . قال : ووجّه له سيات بقميص وجبة وسراويل وعمامة .

[زاره إبراهيم الموصلي وابن جامع في مرضه فأوصى بالمحافظة على غناؤه]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبو أيوب المدني قال حدثني محمد بن عبد الله الخزاعي وحماد بن إسحاق جميعاً عن إسحاق قال : كان سياطُ أستاذ أبي وأستاذ ابن جامع ومن كان في ذلك العصر . فاعتلَّ علَّةً ، فجاءه أبي وابن جامع يعودانه . فقال له أبي : أعزَّ عليَّ بعلتك أبا وهب ! ولو كانت مما يُفتدى لفديتك منها . قال : كيف كنتُ لكم ؟ قلنا : نعم الأستاذ والسيد . قال : قد غنيتُ لنفسِي ستينَ صوتاً فأحبَّ ألاَّ تغيروها ولا تتحلوها . فقال له أبي : أفعُلْ ذلك يا أبا وهب ، ولكن أئِىَّ ذلك كرهتَ : أن يكون في غنائك فضلٌ فأقصر عنه فيُعرف فضلُك عليَّ فيه ، أو أن يكون فيه نقصٌ فأحسنه فيُنسب إحساني إليك ويأخذه الناس عني لك ؟ [قال] : لقد استغفيتُ من غير مكروه . قال الخزاعي في خبره : ثم قال لي إسحاق : كان سياط خزاعياً ، وكان له زامر يقال له حبال ، وضارب يقال له عقاب . قال حماد قال أبي : أدركتُ أربعةً كانوا أحسنَ الناس غناءً ، سياطٌ أحدهم . قال : وكان موته في أول أيام موسى الهادي .

[زاره ابن جامع في مرض موته فأوصاه بالمحافظة على غناؤه]

أخبرني يحيى قال حدثنا أبو أيوب عن مصعب قال : دخل ابن جامع على سياط وقد نزل به الموت ؛ فقال له : ألك حاجة ؟ فقال : نعم ، لا تَرِدْ في غنائي شيئاً ولا تنقص منه ، دعه رأساً برأس ، فإنما هو ثمانية عشر صوتاً .
[دعاه إخوان له فمات عندهم فجأة]

أخبرنا محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال حدثني محمد بن حديد أخو النصر بن حديد : أن إخواناً لسياط دعوه ، فأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجدوه ميتاً في منزلهم ، فجاءوا إلى أمه وقالوا : يا هذه ، إنا دعونا ابنك لنكرمه ونسره ونأنس بقربه فمات فجأة ، وها نحن بين يديك فاحتكمي ما شئت ، ونشدناك الله ألاَّ تعرضينا للسلطان أو تدعي فيه علينا ما لم نفعله . فقالت : ما كنتُ لأفعل ، وقد صدقتُم ، وهكذا مات أبوه فجأة . فجاءت معنا فحملته إلى منزلها فأصلحت أمره ودفتته . وقد ذكرت هذه القصة بعينها في وفاة نبيه المغني ، وخبره في ذلك يُذكر مع أخباره إن شاء الله تعالى .

[غنى أحمد بن المكي إبراهيم بن المهدي صوتاً فاستحسنه]

أخبرنا يحيى بن علي وعيسى بن الحسين الزيات ، واللفظ له ، قال حدثنا أبو أيوب قال حدثنا أحمد بن المكي قال : غنيتُ إبراهيم بن المهدي لسياط : [من الخفيف]

ضافَ قلبي الهوى فأكثر سهوي

فاستحسنه جداً ، وقال لي : مَنْ أَخَذَتْهُ ؟ قلت : من جارية أَيْكَ قُرَشِيَّةَ الزَّبَاءِ ؛ فقال :
أُشْعِرْتُ أَنَّهُ كَانَ لِأَبِي ثَلَاثُ جَوَارٍ مُحْسِنَاتٍ كُلُّهُنَّ تَسْمَى قُرَشِيَّةً ، مِنْهُنَّ قُرَشِيَّةَ الزَّبَاءِ وَقُرَشِيَّةُ
السُّودَاءِ وَقُرَشِيَّةُ الْبَيْضَاءِ ، وَكَانَتْ الزَّبَاءُ أَحْسَنَهُنَّ غَنَاءً ، يَعْنِي الَّتِي أَخَذْتُ مِنْهَا هَذَا الصَّوْتُ ،
قَالَ : وَكَنتُ أَسْمَعُهَا كَثِيرًا تَقُولُ : قَدْ سَمِعْتُ الْمَغْنِينَ وَأَخَذْتُ عَنْهُمْ وَتَفَقَّدْتُ أَغَانِيَهُمْ ، فَمَا
رَأَيْتُ فِيهِمْ مِثْلَ سِيَاطٍ قَطُّ . هَذِهِ الْحِكَايَةُ مِنْ رَوَايَةِ عَيْسَى بْنِ الْحُسَيْنِ خَاصَّةً .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

ضَافَ قَلْبِي الْهُوَى فَأَكْثَرَ سَهْوِي وَجَوَى الْحَبِّ مُفْطِعٌ غَيْرُ حُلُوٍ
لَوْ عَلَا بَعْضُ مَا عَلَانِي ثَبِيرًا ظَلَّ ضَعْفًا ثَبِيرٌ مِنْ ذَاكَ يَهْوِي
مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوَى الْغَوَانِي خَلِيًّا يَا ثِقَاتِي فَإِنِّي غَيْرُ خَلُوٍ
الْغَنَاءُ لِسِيَاطٍ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقِ .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يَا أُمَّ عَمْرُو لَقَدْ طَالَبْتُ وَدَّكُم جُهِدِي وَأَعْذَرْتُ فِيهِ كُلَّ إِعْذَارٍ
حَتَّى سَقِمْتُ ، وَقَدْ أَصْبَحْتَ سَالِمَةً مِمَّا أَعَالَجَ مِنْ هَمٍّ وَتَذْكَارٍ
لَمْ يُسَمِّ قَائِلُ هَذَا الشَّعْرَ . وَالْغَنَاءُ لِلرَّطَابِ . وَالرَّطَابُ مَدَنِيٌّ قَلِيلُ الصَّنْعَةِ لَيْسَ بِمَشْهُورٍ .
وَقِيلَ لَهُ الرَّطَابُ لِأَنَّهُ كَانَ يَبِيعُ الرُّطْبَ بِالْمَدِينَةِ . وَلَحْنُهُ الْمَخْتَارُ هَزَجٌ بِالْوَسْطَى .

صوت

من المائة المختارة

[من مخالع البسيط]

تَصَدَّعَ الْإِنْسُ الْجَمِيعُ أَمْسَى فَقَلْبِي بِهِ صُدُوعٌ¹
فِي إِثْرِهِمْ وَجَفُونُ عَيْنِي مُخْضَلَّةٌ كُلُّهَا دُمُوعٌ

لم يُسمَ لنا قائل هذا الشعر ولا عرفناه . والغناء لدُكين بن يزيد الكوفي . ولحنه المختار من خفيف الثقل بالوسطى ، وهكذا ذكر إسحاق في الألحان المختارة للوائح . وذكر هذا الصوت في مُجَرَّد شجا فنسبه إلى دكين ، وجنسه في الثقل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر أيضاً فيه لحناً من القدر الأوسط من الثقل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر ، فزعم أنه ينسب إلى معبد وإلى الغريض . وفيه بيتان آخران وهما :

فالقلبُ إن سيمَ عنك صبراً كلّف ما ليس يستطيعُ

عاصٍ لمن لام في هواكم وهو لكم سامعٌ مطيعُ

ولم أجد لدكين بن يزيد هذا خيراً ولا له شهرة غيره من المغنين .

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الكامل]

يا أيّها الرجلُ الذي قد زان منطقَه البيانُ

لا تَعْتَبَنَّ على الزما نِ فليس يُعْتَبِكَ الزمانُ

الشعر لعبد الله بن هارون العروضي . والغناء لُنُبَيْه المغني ، ولحنه المختار ثقل أول بالبنصر .

فأمّا عبد الله بن هارون فما أعلم أنّه وقع إليّ له خبرٌ إلّا ما شُهر من حاله في نفسه . وهو عبد الله بن هارون بن السّمِيدِ ، مولى قریش ، من أهل البصرة . وأخذ العروض من الخليل بن أحمد ، فكان مقدّماً فيه . وانقطع إلى آل سليمان بن علي وأدب أولادهم ، وكان يمدحهم كثيراً ، فأكثر شعره فيهم . وهو مُقِلٌّ جداً . وكان يقول أوزاناً من العروض غريبةً في شعره ، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزَيْن العروضي فأتى فيه ببدائع جمّة ، وجعل أكثر شعره من هذا الجنس . فأمّا عبد الله بن هارون فما عرفت له خيراً ولا وقع إليّ من أمره شيء غير ما ذكرته .

[85] - ذكر نبيه وأخباره

[نسبه وأصله وشعره وسبب تعلّمه الغناء]

زعم ابن خُرْداذبَه أَنَّهُ رجل من بني تَمِيم صَلِيبِيَّة ، وَأَنَّ أَصْلَهُ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَأَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ
أَمْرِهِ شَاعِراً لَا يَغْنِي ، وَيَقُولُ شِعْراً صَالِحاً . فَهَوِيَ قَيْنَةً بَبْغَدَادَ فَتَعَلَّمَ الْغِنَاءَ مِنْ أَجْلِهَا وَجَعَلَهُ
سَبِيلاً لِلدُّخُولِ عَلَيْهَا ؛ وَلَمْ يَزَلْ يَتَزَيَّدُ حَتَّى جَادَ غِنَاؤُهُ وَصَنَعَ فَأَحْسَنَ وَاشْتَهَرَ ، وَدَوَّنَ غِنَاؤَهُ
وَعُدَّ فِي الْمُحْسِنِينَ . فَمِمَّا قَالَهُ فِي هَذِهِ الْجَارِيَةِ وَغَنَّى فِيهِ قَوْلُهُ :

صوت

يَا رَبِّ إِنِّي مَا جَفَوْتُ وَقَدْ جَفْتُ فَإِلَيْكَ أَشْكُو ذَاكَ يَا رَبَّاهُ
مَوْلَاةٌ سَوِيَّةٌ مَا تَرِقُّ لَعِبْدِهَا نَعَمُ الْغَلَامُ وَيَسْتِ الْمَوْلَاةُ
يَا رَبِّ إِنْ كَانَتْ حَيَاتِي هَكَذَا ضَرراً عَلَيَّ فَمَا أُرِيدُ حَيَاةُ

الغناء لَنَبِيِّهِ ثَانِي ثَقِيلٍ مُطْلَقٍ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْسِبُ الشَّعْرَ وَالْغِنَاءَ إِلَى
عُلْيَا بِنْتِ الْمَهْدِيِّ .

[سمع مخارق مدح إبراهيم الموصلي لغنائه]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ : قُلْتُ لِمَخَارِقَ ، وَقَدْ غَنَّى هَذَا
الصَّوْتُ يَوْماً :

مَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذَّكِيَّ وَصَارِماً وَأَنْفَاءً حَمِيماً تَجْتَنِّبُكَ الْمَظَالِمُ¹

فَسَأَلْتُهُ لِمَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ : هَذَا لَنَبِيِّهِ التَّمِيمِيِّ ؛ وَكَانَ لَهُ إِخْوَانٌ يُقَالُ لَهُمَا مُنْبَهُ وَنَبْهَانُ ، وَكَانَ
يَنْزِلُ شَهَارَسُوجَ² الْهَيْثِمِ فِي دَرْبِ الرِّيحَانِ . قَالَ أَبُو زَيْدٍ : وَسَمِعْتُ مَخَارِقاً يَحْدِثُ إِسْحَاقُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مَيْمُونٍ يَقُولُ وَقَدْ ذَكَرَ نُبَيْهَا : إِنْ عَاشَ هَذَا الْغَلَامُ ذَهَبَ
خَبْرُنَا . قَالَ : وَكُنْتُ قَدْ غَنَيْتُهُ صَوْتاً أَخَذْتَهُ عَنْهُ ، وَهُوَ :

شَكُوتُ إِلَى قَلْبِي الْفِرَاقَ فَقَالَ لِي مِنْ الْآنَ فَأَيَّاسُ لَا أَغْرُكَ بِالْصَبْرِ

1 هذا البيت من قصيدة لعمر بن براق الشاعر .

2 شهارسوج الهيثم : محلة من محال بغداد .

إِذَا صَدَّ مَنْ أَهْوَى وَأَسْلَمَنِي الْعِزَّاءُ
فُفْرَقَةُ مَنْ أَهْوَى أَحْرُ مِنْ الْجَمْرِ
أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَه قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَعْدٍ¹
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُفَضَّلِ قَالَ : أَصْطَبَحْنَا يَوْمًا أَنَا وَنُبَيْهِ عِنْدَ
عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي غَسَّانَ ، فَغَنَّانَا نُبَيْهِ لَحْنَهُ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ زَانَ مَنْطِقَهُ الْبَيَانُ
فَمَا سَمِعْتَ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَكَانَ صَوْتُنَا عَلَيْهِ بَقِيَّةً يَوْمَنَا . ثُمَّ أَرَدْنَا الْإِنْصِرَافَ ، فَسَأَلْنَا
عَبِيدَ اللَّهِ أَنْ نُبَيِّنَ عِنْدَهُ وَنُصْطَبِحَ مِنْ غَدٍ فَأَجَبَنَا . وَقَالَ لِنُبَيِّنَ : أَيُّ شَيْءٍ تَشْتَهِي أَنْ يُصْلَحَ
لَكَ ؟ قَالَ : تَشْتَرِي لِي غَزَالًا فَتُطْعَمَنِي كَبِدَهُ كَبَابًا ، وَتَجْعَلُ سَائِرَ مَا آكَلَهُ مِنْ لَحْمِهِ كَمَا
تَحِبُّ ؛ فَقَالَ : أَفْعَلُ . فَلَمَّا أَصْبَحْنَا جَاءَهُ بَغْزَالٌ فَأَصْلَحَهُ كَمَا أَحَبَّ . فَلَمَّا اسْتَوْفَى أَكَلَهُ
اسْتَلْقَى لِيَنَامَ ، فَحَرَّكَاهُ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ ، فَجَزَعْنَا مِنْ ذَلِكَ . وَبَعَثَ عَبِيدُ اللَّهِ إِلَى أُمِّهِ فَجَاءَتْ
فَأَخْبَرَهَا بِخَبْرِهِ . فَلَمَّا رَأَتْهُ اسْتَرْجَعَتْ² ثُمَّ قَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ ؛ هُوَ رَابِعٌ أَرْبَعَةٌ وَلَدَتْهُمْ
كَانَتْ هَذِهِ مَيِّتَهُمْ جَمِيعًا وَمَيِّتَةُ آبَائِهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ ؛ فَسَكَنَّا إِلَى ذَلِكَ . وَغُسِّلَ فِي دَارِ عَبِيدِ اللَّهِ
وَأُصْلِحَ شَأْنُهُ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ ، وَمَضَيْنَا بِهِ إِلَى مَقَابِرِهِمْ فَدُفِنَ هُنَاكَ .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى رُبْعٍ لِسُعْدَى وَعَبَّرْتَنِي
تَرَقَّرَقُ فِي الْعَيْنَيْنِ ثُمَّ تَسِيلُ
أَسْأَلُ رُبْعًا قَدْ تَعَفَّتْ رِسْمُهُ
عَلَيْهِ لِأَصْنَافِ الرِّيحِ ذُبُولُ³
لَمْ يُسَمِّ لَنَا قَائِلَ هَذَا الشَّعْرِ . وَالْغَنَاءُ لِسُلَيْمٍ هَزَجٌ خَفِيفٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ
إِسْحَاقَ .

1 هو عبد الله بن أبي سعد .

2 استرجع في المصيبة : استعاذ وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

3 الذبُول من الريح : ما تتركه في الرمل كَأَثَرِ ذَيْلِ مَجْرُورٍ .

[86] - أخبار سليم

[انقطع إلى إبراهيم الموصلي وهو أمرد فأحبه وعلمه]

هو سليم بن سلام الكوفي ، ويكنى أبا عبد الله . وكان حسن الوجه حسن الصوت . وقد انقطع وهو أمرد إلى إبراهيم الموصلي ، فمال إليه وتعشقه ، فعلمه وغناه وناصحه ، فبرع وكثرت روايته ، وصنع فأجاد . وكان إسحاق يهجو ويطن عليه . واتفق له اتفاق سيء : كان يخدم الرشيد فيتفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفليح بن العوزاء وحكم الوادي فيكون بالإضافة إليهم كالساقط . وكان من أبخل الناس ، فلما مات خلف جملة عظيمة وافرة من المال ؛ فقبضها السلطان عنه .

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه : أن إسحاق قال في سليم : [من الطويل]

سليم بن سلام على برد خلقه أحر غناء من حسين بن مخرز

[سأل الرشيد برصوما عنه وعن أربعة من المغنين فأجابه]

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق : أن الرشيد قال لبرصوما الزامر وكانت فيه لكمة ما تقول في ابن جامع ؟ قال : زق من أسل (يريد من عسل) . قال : فإبراهيم ؟ قال : بستان فيه فاكهة وريحان وشوك . قال : فيزيد حوزاء ؟ قال : ما أبيض أستانه ! (يريد ما أبيض) . قال : فحسين بن مخرز ؟ قال : ما أحسن خطامه ! (يريد ما أحسن خضابه) . قال : فسليم بن سلام ؟ قال : ما أنظف ثيابه !

[نصح برصوما في موضع غناء فضحك الرشيد]

قال إسماعيل بن يونس في خبره عن عمر بن شبة عن إسحاق : وغنى سليم يوماً وبرصوما يزمير عليه بين يدي الرشيد ، فقصر سليم في موضع صيحة ، فأخرج برصوما الناي من فيه ثم صاح به وقال له : يا أبا عبد الله ، صيحة أشد من هذا ، صيحة أشد من هذا ؛ فضحك الرشيد حتى استلقى . قال : وما أذكر أنني ضحكت قط أكثر من ذلك اليوم .

[كان يجيد الأهازج فغنى الرشيد فوصله]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال محمد بن الحسن بن مصعب : إنما أحر سلماً عن أصحابه في الصنعة وكعه بالأهازج ، فإن ثلثي صنعته هزج ، وله من ذلك ما ليس لأحد منهم . قال : ثم قال محمد : غنى سليم يوماً بين يدي الرشيد ثلاثة أصوات من الهزج ولاء ، أولها : [من الرمل]

مُتٌ عَلَى مَنْ غَبَتَ عَنْهُ أَسْفَا

[من السريع]

والثاني :

أُسْرِفَتْ فِي الْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرِ

[من مخلّع البسيط]

والثالث :

أَصْبَحَ قَلْبِي بِهِ نُدُوبُ

فَأُطْرِبُهُ وَأَمْرٌ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ [له] : لَوْ كُنْتَ الْحَكَمَ الْوَادِي مَا زِدْتَ عَلَى هَذَا الْإِحْسَانَ فِي أَهْزَاجِكَ . (يعني أَنَّ الْحَكَمَ كَانَ مُنْفَرِداً بِالْهَزَجِ) .

نسبة هذه الأصوات

صوت

[من الرمل]

لَسْتُ مِنْهُ بِمُصِيبٍ خَلْفَا	مُتٌ عَلَى مَنْ غَبَتَ عَنْهُ أَسْفَا
أَوْ تَرَى نُحُوهُمْ مُنْصَرَفَا	لَنْ تَرَى قُرَّةَ عَيْنٍ أَبَدَا
حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَا بِي وَكَفَى	قُلْتُ لَمَّا شَفَّنِي وَجَدِي بِهِمْ
مَا تَضَمَّنْتُ إِذَا مَا ذَرَفَا	بَيْنَ الدَّمْعِ لَمَنْ أَبْصَرْنِي

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لسليم ، وله فيه لحنان ، أحدهما في الأوّل والثاني هَزَج بالوسطى ، والآخر في الثالث والرابع خفيفٌ رملٍ بالبنصر مطلق . وفيهما لإبراهيم خفيفٌ ثَقِيلٌ بالوسطى عن عمرو .

[من السريع]

ومنها :

صوت

وَجُرْتُ حَدَّ التَّيِّهِ وَالْكَبْرِ	أُسْرِفَتْ فِي الْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرِ
سُلِّمَ ذِي الْغَدْرِ إِلَى الْغَدْرِ	الْهَجْرُ وَالْإِعْرَاضُ مِنْ ذِي الْهُوَى
مَرًّا عَلَى رَأْسِي مِنَ الْهَجْرِ	مَالِي وَلِلْهَجْرَانِ حَسْبِي الَّذِي
مَا عَرَّفَ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ	وَدُونَ مَا جَرَّبْتُ فِيمَا مَضَى

الغناء لسليم هَزَج بالبنصر .

[من مخلّع البسيط]

ومنها :

صوت

أَصْبَحَ قَلْبِي بِهِ نُدُوبُ أَنْدَبَهُ الشَّادِنُ الرَّيْبُ
تَمَادِيًا مِنْهُ فِي التَّصَابِي وَقَدْ عَلَا رَأْسِي الْمَشِيبُ
أُظَنَّنِي ذَائِقًا حِمَامِي وَأَنَّ إِمَامَهُ قَرِيبُ
إِذَا فَوَّادٌ شَجَاهُ حُبُّ فَقَلَّمَا يَنْفَعُ الطَّيِّبُ

الشعر لأبي نُوَاس . والغناء لسُليم ، وله فيه لحنان : خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق ، وهزج بالوسطى عن الهشامي . وزعمتُ بَذْلُ أَنَّ الهزج لها .
[كان أبوه من دُعاة أبي مسلم]

أخبرني عمِّي قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ مَخَارِقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
كَانَ سُلَيْمُ بْنُ سَلَامٍ كُوفِيًّا ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَدُعَاتِهِ وَثِقَاتِهِ ،
فَكَانَ يَكْتُبُ أَهْلَ الْعِرَاقِ عَلَى يَدِهِ . وَكَانَ سُلَيْمٌ حَسَنَ الصَّوْتِ جَهِيرَهُ ، وَكَانَ بَخِيلًا .
[دعا صديقين ولما جاعا اشتريا طعاماً فأكل معهما]

قال أحمد بن أبي طاهر وحَدَّثَنِي أَبُو الْحَوَاجِبِ الْأَنْصَارِيُّ ، واسمه مُحَمَّدٌ ، قال : قال لي سُلَيْمٌ
يَوْمًا : امضْ إِلَى مُوسَى بْنِ إِسْحَاقَ الْأَزْرَقِ فَادْعُهُ وَوَأْفِيَانِي مَعَ الظَّهْرِ ؛ فَجِئْنَاهُ مَعَ الظَّهْرِ ، فَأَخْرَجَ
إِلَيْنَا ثَلَاثِينَ جَارِيَةً مُحْسِنَةً وَنَبِيذًا ، وَلَمْ يُطْعَمْنَا شَيْئًا ، وَلَمْ نَكُنْ أَكَلْنَا شَيْئًا . فغَمَزَ مُوسَى غَلَامَهُ
فَذَهَبَ فَاشْتَرَى لَنَا خَبْزًا وَبَيْضًا ، فَأَدْخَلَهُ إِلَى الْكَئِيفِ وَجَلَسْنَا نَأْكُلُ ؛ فَدَخَلَ عَلَيْنَا ، فَلَمَّا رَأَى
نَأْكُلُ غَضِبَ وَخَاصَمْنَا وَقَالَ : أَهَكَذَا يَفْعَلُ النَّاسُ ؟ تَأْكُلُونَ وَلَا تُطْعَمُونَنِي ؟ وَجَلَسَ مَعَنَا فِي
الْكَئِيفِ يَأْكُلُ كُلُّ كَمَا يَأْكُلُ وَاحِدٌ مِنَّا حَتَّى فَنِيَ الْخَبْزُ وَالْبَيْضُ .
[طلب من مُحَمَّدُ الْيَزِيدِيُّ نَظْمَ شَعْرِ يَغْنِي بِهِ الْخَلِيفَةَ ففعل]

أخبرني الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كَانَ
سُلَيْمُ بْنُ سَلَامٍ صَدِيقِي وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَغْشَانِي . فَجَاءَنِي يَوْمًا وَأَعْلَمَنِي الْغَلَامُ بِمَجِيئِهِ ، فَأَمَرْتُ
بِادْخَالِهِ ، فَدَخَلَ وَقَالَ : قَدْ جِئْتُكَ فِي حَاجَةٍ ؛ فَقُلْتُ : مَقْضِيَّةٌ . فَقَالَ : إِنَّ الْمِهْرَجَانَ بَعْدَ غَدٍ ،
وَقَدْ أَمَرْنَا بِحَضُورِ مَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ ، وَأُرِيدُ أَنْ أُغْنِيَهُ لِحْنًا أَصْنَعُهُ فِي شَعْرٍ لَمْ يَعْرِفْهُ هُوَ وَلَا مَنْ
بِحَضْرَتِهِ ، فَقُلْ أَيْبَاتًا أُغْنِي فِيهَا مِلَاحًا ؛ فَقُلْتُ : عَلَى أَنْ تُقِيمَ عِنْدِي وَتَصْنَعَ بِحَضْرَتِي اللَّحْنَ ؛
قال : أَفْعَلُ . فَرَدُّوا دَابَّتَهُ وَأَقَامَ عِنْدِي ، وَقُلْتُ :

أَتَيْتُكَ عَائِذًا بِكَ مِنْ سَكِّ لَمَّا ضَاقتُ الْحَيْلُ
وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي لِحْنِي يُضْرِبُ الْمَثْلُ

[من مجزوء الكامل]

فإن سَلِمْتُ لكم نفسي فما لاقِيْتُهُ جَلَلُ
وإن قَتَلَ الهوى رجلاً فإنِّي ذلك الرجلُ

فغنّني فيه وشرِّبنا يومئذٍ عليه ، وغنّانا عدّة أصوات من غنائه ، فما رأيته مذ عرفته كان أنشطَ منه يومئذٍ .

[سرق محمدُ اليزيديّ معنيين من شعر مسلم بن الوليد]

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال حدّثني مُحَمَّد بن داود بن الجراح قال حدّثني عبد الله بن مُحَمَّد اليزيديّ قال حدّثني أَخِي مُحَمَّد قال : سمعت أبي يقول : ما سَرَقْتُ من الشعر قطُّ إلاّ معنيين : قال مسلم بن الوليد :

ذلكَ ظبِّي تحيّرَ الحسَنُ في الأَر كانِ مِنْهُ وجمالُ كلِّ مكانِ
عرضتُ دونَه الحجالُ فما يَدُ قاكِ إلاّ في النّومِ أو في الأماني
فاستعرت معناه فقلت :

صوت

يا بعيدَ الدّارِ موصو لأ بقلبي ولساني¹
ربّما باعدَكَ الدهر رُ فادنتُك الأماني

الغناء في هذين البيتين لسُليم هزج بالنصر عن الهشاميّ .

قال : وقال مسلم أيضاً :

متى ما تسمعي بقتيل أرضٍ فإنِّي ذلك الرجل القتيلُ
ويُروى : «أُصيبَ فإنِّي ذاك القتيلُ» فقلت :

أتيتُكَ عائداً بك مِنْ ك لما ضاقت الحِيلُ
وصيّرني هواك وبِي ليحيني يضرب المثلُ
فإن سَلِمْتُ لكم نفسي فما لاقِيْتُهُ جَلَلُ
وإن قَتَلَ الهوى رجلاً فإنِّي ذلك الرجلُ
[غنى مخارقاً صوتاً ، فلما بلغ ابن المهديّ طلبه وغناه إياه]

وجدت في كتاب عليّ بن مُحَمَّد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل ، ولم أسمع من أحد : أن إبراهيم بن المهديّ سأل جماعةً من إخوانه أن يصطبحوا عنده ، قال حمدون : وكنتُ فيهم ،

1 نسبت هذه الأبيات ليحيى بن المبارك اليزيديّ في وفيات الأعيان لابن خلكان 344/2 .

وكان فيمن دعا مُخَارِق ، فسار إليه وهو سكران لا فضلَ فيه لطعام ولا لشراب ، فاغتمَّ لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع ؛ فقال : لا والله أيتها الأمير ، ما كان آفتي إلا سليم بن سلام ؛ فإنه مرَّ بي فدخل عليَّ فغَنَّناني صوتاً له صنعه قريباً فشربت عليه إلى السَّحَرِ حتى لم يبقَ فيَّ فضلٌ وأخذته . فقال له إبراهيم : فغَنَّنَاهُ إِمْلالاً¹ ، فغَنَّاهُ :

صوت

إذا كنتَ نَدْماني فباكرُ مُدَامَةً معْتَقَةً زُفَّتْ إلى غيرِ خاطبِ
إذا عُنْتُ في دَنِّهَا العامَّ أَقْبَلْتُ تَرَدَّى رداءَ الحسنِ في عينِ شاربٍ²
الغناء لسليم خفيف ثقيل مطلق في مجرى البصر قال فبعث إبراهيم إلى سليم فأحضره ، فغَنَّاهُ إِيَّاهُ وطَرَحَه على جواربه وأمر له بجائزة ، وشربنا عليه بقيَّةَ يومنا حتى صرنا في حالة مُخَارِق وصار في مثل أحوالنا .

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الكامل]

عَتَقَ الفؤادُ من الصِّبَا ومن السَّفَاهَةِ والعَلاقِ
وَحَطَّطْتُ رَحلي عن قَلو ص الحَبِّ في قُلُوصِ عِناقِ
ورفعتُ فضلَ إزارِي الـ مجرور عن قَدَمي وسَاقِي
وكففتُ غَرَبَ النفسِ حَتَّى ما تُتَوَقُّ إلى مَتاقِ
لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر . والغناء لابن عبَّاد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوَّل بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفٌ ثقيل ، وقيل : إنَّه لغيره ، بل قيل : إنَّه لعمر .

1 يريد : غَنَّنَا إِيَّاهُ كما أخذته عنه من غير زيادة ولا نقص .

2 تَرَدَّى فلان : لبس الرداء .

[87] - أخبار ابن عباد

[نسبه وكنيته وصناعته]

هو محمد بن عباد ، مولى بني مخزوم ، وقيل : إنه مولى بني جُمَح ، ويُكنى أبا جعفر . مكِّي ، من كبراء المغنِّين من الطبقة الثانية منهم . وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخذ عنه الغناء ، مُتَقِن الصنعة كثيرها . وكان أبوه من كتاب الدِّيوان بمكة ؛ فلذلك قيل ابن عباد الكاتب .

[قابله مالك وطلب منه الغناء ففعل فذمه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثَّقَفِي عن أبي خالد الكِنَانِي عن ابن عباد الكاتب قال : والله إنِّي لأُمشي بأعلى مكة في الشَّعب¹ ، إذ أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة ، فظننتُ أنهم قالوا له : هذا ابن عباد ؛ فمال إليَّ فَمِلْتُ إليه ؛ فقال لي : أنت ابن عباد ؟ قلت : نعم ؛ قال : مِلْ معي هاهنا ، فَمِلْتُ معه ؛ فأدخلني شعب ابن عامر ثم أدخلني دهلِيز ابن عامر وقال : غَنِّني ؛ فقلت : أغنيك هكذا وأنت مالِك ! وقد كان يبلغني أنَّه يثَلِّبُ أهل مكة ويتعصَّب عليهم ، فقال : بالله إلا غَنَّيتني صوتاً من صنعتك . فاندفعتُ فغَنَّيته :

صوت

ألا يا صاحبي قفا قليلاً على ربع تقادم بالْمُنِيفِ²
فأمستُ دورهم شَحِطَتْ وبانت وأضحى القلبُ يخفقُ ذا وجيف
وما غَنَّيته إِيَّاه إلا على احتشام . فلمَّا فرغتُ نظر إليَّ وقال لي : قد والله أحسنت ! ولكنَّ حَلَقَكَ كأنه حلقُ زانية . فقلت : أمَّا إذ أفلت منك بهذا فقد أفلتُ . وهذا اللحنُ من صدور غناء ابن عباد . ولحنه من الثَّقِيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

1 في ل : العشر .

2 المنيف : موضع وهو ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز وقيل : حصن باليمن .

[وفاته ببغداد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى وعيسى بن الحسين قالوا حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني جماعة من أهل العلم : أنَّ ابنَ عبّاد الكاتب توفّي ببغداد في الدولة العبّاسيّة ودُفن بباب حرب¹ . وقال أبو أيوب : أظنه فيمن قديم من مُغني الحجاز على المهديّ .

صوت

من المائة المختارة

[من السريع]

يا طلالاً غيَّره بَعْدِي صوبُ رَبِيعِ صادق الرعدِ
أراك بعد الأنسِ ذا وَحْشَةٍ لستَ كما كنتَ على العهدِ²
ما لي أبْكِي طلالاً كلَّما ساءلته عَيَّ عن الردِّ
كان به ذو غُنْجٍ أَهْيَفُ أَحورُ مطبوعٌ على الصَّدِّ
لم يُسمَّ أبو أحمد³ قائلَ هذا الشعر . والغناء ليحيى المكيّ ، ولحنه المختار من الهزج بالوسطى .

1 باب حرب : موضع ببغداد .

2 ذا في ل : في .

3 أبو أحمد هو يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم .

[88] - أخبار يحيى المكي ونسبه

[اسمه وكنيته وكنمائه ولقاءه لبني أمية لخدمته الخلفاء من بني العباس]

هو يحيى بن مرزوق ، مولى بني أمية ، وكان يَكْتُم ذلك لخدمته الخلفاء من بني العباس خوفاً من أن يجتنبوه ويحتشموه ؛ فإذا سُئِلَ عن ولائه انتمى إلى قريش ولم يذكر البطن الذي ولاؤه لهم ، واستعفى من سألته عن ذلك . ويُكنى يحيى أبا عثمان . وذكر ابن خرداذبة أنه مولى خزاعة . وليس قوله مما يحصّل ، لأنه لا يعتمد فيه على رواية ولا دراية .

أخبرني عبد الله بن الربيع أبو بكر الرّبيعي صديقنا رحمه الله قال حدثني وسوسة بن الموصلي ، وقد لقيتُ وسوسة هذا ، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم وكان معلماً ، ولم أسمع هذا منه فكتبته وأشياء أخر عن أبي بكر رحمه الله ، قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبي : سألت يحيى المكي عن ولائه ، فانتمى إلى قريش ؛ فاستزدته في الشرح فسألني أن أعفيه .

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا حدثنا أبو أيوب المدنيّ قال : كان يحيى المكيّ يُكنى أبا عثمان ، وهو مولى بني أمية ، وكان يكتُم ذلك ويقول : أنا مولى قريش .

[مدحه أبان اللاحقي وعارض الأعشى في مدح دحمان]

ولما قال أعشى بني سليم يمدح دحمان :

كانوا فحولاً فصاروا عند حلبتهم	لما انبرى لهم دحمان خصيانا
فأبلغوه عن الأعشى مقالته	أعشى سليم أبي عمرو سليمانا
قولوا يقول أبو عمرو لصحبته	يا ليت دحمان قبل الموت غنانا ¹

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقي ، ويقال إن ابنه حمدان بن أبان قالها . والأشبه عندي أنها لأبان ، وما أظن ابنه أدرك يحيى :

[من البسيط]

يا مَنْ يُفَضِّل دحماناً ويمدحه	على المغنين طراً قلت بهتانا
لو كنت جالست يحيى أو سمعت به	لم تمتدح أبداً ما عشت إنسانا

ولم تقل سَفَهَا في مُنِي عَرَضْتُ يا ليت دحمانَ قبل الموت غَنَانَا
لقد عَجِبْتُ لدحمانٍ ومادِحِه لا كان مَادِحُ دحمانٍ ولا كانَا
ما كان كابن صغير العين إذ جَرِيَا بل قام في غاية المجرى وما دَانِي
بذَّ الجيَادَ أبو بكرٍ وصيرَهَا من بعدِ ما قَرَحْتَ جُدْعًا وثُنِيَانَا¹
يعني بأبي بكر ابن صغير العين ، وهو من مغني مكة . وله أخبار تُذكر في موضعها إن شاء الله تعالى .

[منزله في الغناء وتلاميذه]

وعُمِّر يحيى المكي مائةً وعشرين سنة ، وأصاب بالغناء ما لم يُصبه أحد من نظرائه ، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل . وكان قديم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدي في أول خلافته ، فخرج أكثرهم وبقي يحيى بالعراق هو وولده يَخْدِمُونَ الخلفاء إلى أن انقرضوا . وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكي ، وكان يغني مرتجلاً ، ويحضر مجلس المعتمد مع المغنين فيوقع بقضيب على دواة . ولقيته جماعة من أصحابنا ، وأخذ عنه جماعة ممن أدركنا من عجائز المغنيات ، منهم قمرية العمريّة ، وكانت أم ولد عمرو بن بانه . ومن أدركه من أصحابنا جَحْظَةُ ، وكتبنا عنه عن ابن المكيّ هذا حكايات حسنة من أخبار أهله . وكان ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وفلّج يفزعون إليه في الغناء القديم ويأخذونه عنه ، ويعاين بعضهم بعضاً بما يأخذونه منه ويغرب به على أصحابه ؛ فإذا خرجت لهم الجوائز أخذوا منها ووفروا نصيبه . وله صنعة عجيبة نادرة متقدمة . وله كتاب في الأغاني ونسبها وأخبارها وأجناسها كبير جليل مشهور ، إلا أنه كان كالمطرح عند الرواة لكثرة تخليطه في رواياته . والعمل على كتاب ابنه أحمد ، فإنه صحّح كثيراً مما أفسده أبوه ، وأزال ما عرفه من تخاليط أبيه ، وحقق ما نسبته من الأغاني إلى صانعه . وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت .

[عمل كتاباً في الأغاني وأهداه لعبد الله بن طاهر فصحه ابنه محمد بن عبد الله]

أخبرني عبد الله بن الربيع قال حدثني وسوسة بن الموصلي قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال : عمل جدّي كتاباً في الأغاني وأهداه إلى عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذ شاب حديث السن ، فاستحسنه وسرّ به ؛ ثم عرضه على إسحاق فعرّفه عواراً كثيراً في نسبته ، لأنّ جدّي كان لا يصحّح لأحد نسبته صوت البتّة ، وينسب صنّعه إلى المتقدمين ، وينحل بعضهم صنّعة بعض ضناً بذلك على غيره ، فسقط من عين عبد الله وبقي في خزائنه ؛ ثم وقع إلى

1 قرح الفارس : صار قارحاً وهو الذي شقّ نابه وطلع . الجذع : ما كان في الثانية من سنه . وثنيان جمع ثني وهو ما كان في الثالثة من سنه .

محمد بن عبد الله ، فدعا أبي ، وكان إليه محسناً وعليه مفضلاً ، فعرضه عليه ؛ فقال له : إن في هذه النسب تخليطاً كثيراً ، خلطها أبي لضنه بهذا الشأن على الناس ، ولكنني أعمل لك كتاباً أصحح هذا وغيره فيه . فعمل له كتاباً فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه ، فوصله محمد بثلاثين ألف درهم . وصحح له الكتاب الأول أيضاً فهو في أيدي الناس . قال وسواسة : وحدثني حماد أن أباه إسحاق كان يقدم يحيى المكيّ تقديماً كثيراً ويفضله ويناضل أباه وابن جامع فيه ، ويقول : ليس يخلو يحيى فيما يرويه من الغناء الذي لا يعرفه أحد منكم من أحد أمرين : إما أن يكون مُحَقَّقاً [فيه] كما يقول ، فقد علم ما جهلتم ، أو يكون من صناعته وقد نخله المتقدمين ، كما تقولون ، فهو أفضل [له] وأوضح لتقدمه عليكم . قال : وكان أبي يقول : لولا ما أفسد به يحيى المكيّ نفسه من تخليطه في رواية الغناء على المتقدمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقلة ثباته على ما يحكيه من ذلك ، لما تقدمه أحد . وقال محمد بن الحسن الكاتب : كان يحيى يخلط في نسب الغناء تخليطاً كثيراً ، ولا يزال يصنع الصوت بعد الصوت يتشبه فيه بالغريض مرة وبمبعد أخرى وابن سريج وابن مُحَرِّز ، ويجهتد في إحكامه وإتقانه حتى يشبهه على سامعه ؛ فإذا حضر مجالس الخلفاء غناه على ما أحدث [فيه] من ذلك ، فيأتي بأحسن صنعة وأتقنها ، وليس أحد يعرفها ؛ فيُسأل عن ذلك فيقول : أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل ، فلا يُشكّ في قوله ، ولا يُثبت لمباراته أحد ، ولا يقوم لمعارضته ولا يفي بها ؛ حتى نشأ إسحاق فضبط الغناء وأخذه من مَظَانِّهِ ودَوْنِهِ ، وكشف عَوَارِ يحيى في منحولاته وبينها للناس .

[أظهر إسحاق غلظه فأرسل له هدايا وعاتبه]

أخبرني عمي [قال] سمعتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بن عبد الله بن طاهر يذكر عن أحمد بن سعيد المالكِي ، وكان مغنياً منقطعاً إلى طاهر وولده وكان من القواد ، قال : حضرتُ يحيى المكيّ يوماً وقد غنى صوتاً فسُئِلَ عنه فقال : هذا للمالك ، ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت ، ثم غنى لحناً للمالك فسُئِلَ عن صانعه فقال : هذا لي ؛ فقال له إسحاق : قلتَ ماذا ؟ فديتك ، وتضاحك به . فسُئِلَ عن صانعه فأخبر به ، ثم غنى الصوت . فخجل يحيى حتى أمسك عنه ؛ ثم غنى بعد ساعة في الثقليل الأول ، واللحن :

صوت

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ فَاحْتِمَلَا وَأَرَادَ غِيْظُكَ بِالَّذِي فَعَلَا
فَظَلَّلْتَ تَأْمُلُ قَرَبَ أَوْثَمِهِمْ وَالنَّفْسُ مِمَّا تَأْمُلُ الْأَمَلَا

فُسِّلَ عنه فنسبه إلى الغريص ، فقال له إسحاق : يا أبا عثمان ، ليس هذا من نَمَطِ الغريص ولا طريقتة في الغناء ، ولو شئتَ لأخذتَ مَالَكَ وتركتَ للغريص ماله ولم تتعب . فاستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه بقيَّةَ يومه . فلَمَّا انصرف بعثَ إلى إسحاق بالطافِ كثيرة وبرٍّ واسع ، وكتب إليه يعاتبه ويستكفُ شرَّه ويقول له : لستُ من أقرانك فتضادني ، ولا أنا ممن يتصدى لمباغضتك ومباراتك فتكايدني ، ولأنت إلى أن أفيدك وأعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري فتسُمُو به على أكفائك أحوجُ منك إلى أن تباغضني ، فأعطي غيرك سلاحاً إذا حمّله عليك لم تقم له ، وأنت أولى وما تختار . فعرف إسحاق صدقَ يحيى ، فكتب إليه يعتذر ، وردَّ الألفاظ التي حملها إليه ، وحلف لا يعارضه بعدها ، وشرط عليه الوفاء بما وعده به من الفوائد ؛ فوفى له بها ، وأخذ منه كلَّ ما أراد من غناء المتقدمين . وكان إذا حزبه أمرٌ في شيء منها فزِعَ إليه فأفاده وعاونوه ونصّحوه ؛ وما عاود إسحاق معارضته بعد ذلك . وحذره يحيى ، فكان إذا سُئل بحضرته عن شيء صدق فيه ، وإذا غاب إسحاق خلطَ فيما يُسأل عنه . قال : وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق يطلب منه شيئاً أعطاه إياه وأفاده وناصحته ، ويقول لابنه أحمد : تعالَ حتى تأخذَ مع أبي محمد ما الله يعلم أنني كنتُ أبخلُ به عليك فضلاً عن غيرك ؛ فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق . قال : وكان إسحاق بعد ذلك يتعصّب ليحيى تعصّباً شديداً ، ويصفه ويقدمه ويعترف برياسته ، وكذلك كان في وصف أحمد ابنه وتقريظه .

[عدد أصراته التي صنعها]

قال أحمد بن سعيد : والاختلاف الواقع في كتب الأغاني إلى الآن من بقايا تخليط يحيى . قال أحمد بن سعيد : وكانت صنعة يحيى ثلاثة آلاف صوت ، منها زهاء ألف صوت لم يُقاربه فيها أحد ، والباقي متوسط . وذكر بعض أصحاب أحمد بن يحيى المكي عنه أنه سُئل عن صنعة أبيه فقال : الذي صحَّ عندي منها ألف وثلاثمائة صوت ، منها مائة¹ وسبعون صوتاً غلبَ فيها على الناس جميعاً مَنْ تقدّم منهم ومن تأخّر ، فلم يُقم له فيها أحد .

[كان ينسب الأصوات عمداً لغير أصحابها فافضح أمره]

وقال حماد بن إسحاق قال لي أبي : كان يحيى المكي يُسأل عن الصوت ، وهو يعلم لمن هو ، فينسيه إلى غير صانعه ، فيحمل ذلك عنه كذلك ، ثم يسأله آخرون فينسيه غير تلك النسبة ؛ حتى طال ذلك وكثر منه وقلَّ تحفظه ، فظهر عواره ، ولولا ذلك لما قاومه أحد .

[أظهر إسحاق كذبه فيما ينسبه من الغناء أمام الرشيد]

وقال أحمد بن سعيد المالكي في خبره : قال إسحاق يوماً للرشيد ، قبل أن تصلح الحال بينه وبين يحيى المكي في ما ينسبه من الغناء : أتحب يا أمير المؤمنين أن أريه كذب يحيى فيما يدعيه من روايته ؟ قال نعم . قال : أعطني أي شعر شئت حتى أصنع فيه ، وأسألني بحضرة يحيى عن نسبته فأني سأنسيه إلى رجل لا أصل له ، وأسأل يحيى عنه إذا غنيت ، فإنه لا يمتنع من أن يدعي معرفته . فأعطاه شعراً فصنع فيه لحناً وغاناه الرشيد ؛ ثم قال له : يسألني أمير المؤمنين عن نسبته بين يديه . فلما حضر يحيى غناه إسحاق فسأله الرشيد : لمن هذا اللحن ؟ فقال له إسحاق : لغناديس المديني . فأقبل الرشيد على يحيى فقال له : أكنت لقيت غناديس المديني ؟ قال : نعم ، لقيته وأخذت عنه صوتين ؛ ثم غنى صوتاً وقال : هذا أحدهما . فلما خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق [ثلاثاً] وعنى جواريه : أن الله ما خلق أحداً اسمه غناديس ، ولا سُمع به في المغنين ولا غيرهم ، وأنه وضع ذلك الاسم في وقته ذلك لينكشف أمره .

[علم إسحاق صوتاً غناه للرشيد فأهدى إليه تحت ثياب وخاتم]

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل قال : غنى جدِّي يوماً بين يدي الرشيد :

[من الطويل]

صوت

هل هيَجَتِكَ مَغانِي الحَيِّ والدُّورُ فاشتَقَّتْ إنَّ الغَريبَ الدارِ معذورُ
وهل يَحِلُّ بنا إذ عِشْنا أُنقُ بيضُ أوانِسُ أمثالُ الدُّمى حورُ

والصنعة له خفيفٌ ثقيلٌ ، فسار إليه إسحاق وسأله أن يعيده إياه ؛ فقال : نعم ، حباً وكرامةً لك يا ابن أخي ، ولو غيرك يروم ذلك لبعده عليه ؛ وأعادته حتى أخذه إسحاق . فلما انصرف بعث إلى جدِّي بتخت¹ ثياب وخاتم ياقوت نفيس .

[دس له إبراهيم بن المهدي من أخذ عنه صوتاً بشمن غال]

حدثني جحظة قال حدثني القاسم بن زررور عن أبيه عن موله علي بن المارق قال : قال لي إبراهيم بن المهدي : ويحك يا مارق ؛ إن يحيى المكي غنى البارحة بحضرة أمير المؤمنين صوتاً فيه ذكرُ زينب ، وقد كان النبيذ أخذ مني فأنسيْتُ شعره ، واستعدته إياه فلم يُعده ، فاحتل لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك علي سبق² . فقال لي المارق ، وأنا يومئذ غلامه ،

1 التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

2 سبق : الخطر يوضع في السباق من سبق أخذه .

أذهب إليه فقل له إني أسأله أن يكون اليوم عندي ؛ فمضيت إليه فجئته به . فلما تغدوا وضع النبيذ ؛ فقال له المارقي : إني كنت سمعتك تغني صوتاً فيه زينب وأنا أحب أن آخذك منك ، وكان يحيى يوفي هذا الشأن حقه من الاستقصاء ، فلا يخرج عنه إلا بحذر ، ولا يدع الطلب والمسألة ، ولا يلقي صوتاً إلا بعوض . قال لي جمحظة في هذا الفصل : هذا فديتك فعل يحيى مع ما أفاده من المال ، ومع كرم من عاشره وخدمه من الخلفاء مثل الرشيد والبرامكة وسائر الناس ، لا يُلام ولا يعاب ، ونحن مع هؤلاء السُّفل إن جئناهم نكارهمهم¹ تغافلوا عنا ، وإن أعطونا النزر اليسير منوا به علينا وعابونا ، فمن يلومني أن أشتيمهم ؟ فقلت : ما عليك لوم . قال : فقال له يحيى : وأي شيء العوض إذا أقيت عليك هذا الصوت ؟ قال : ما تريد ؛ قال : هذه الزربية² الأرمنية ، كم تقعد عليها ! أما أن لك أن تملأها ؟ قال : بلى ، وهي لك . قال : وهذه الظباء الحرمية ، وأنا مكّي لا أنت ، وأنا أولى بها ؛ قال : هي لك ، وأمر بحملها معه . فلما حصلت له ، قال المارقي : يا غلام ، هات العود ؛ قال يحيى : والميزان والدرهم ، وكان لا يغني أو يأخذ خمسين درهماً ، فأعطاه إياها ؛ فألقى عليه قوله : [من الطويل]

بزينب ألم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب

ولحنه لكردم ثقيل أول ، فلم يشك المارقي أنه قد أخذ الصوت الذي طلبه إبراهيم وأدرك حاجته . فبكر إلى إبراهيم وقد أخذ الصوت ، فقال له : قد جئت بك بالحاجة . فدعا بالعود فغناه إياه ؛ فقال له : لا والله ما هو هذا ، وقد خدعك ، فعاود الاحتيال عليه . فبعثني إليه وبعث معي خمسين درهماً . فلما دخل إليه وأكلا وشربا قال له يحيى : قد واليت بين دعواتك لي ، ولم تكن برّاً ولا وصولاً ، فما هذا ؟ قال : لا شيء والله إلا محبتي للأخذ عنك والافتباس منك ؛ فقال : سرّك الله ، فمه . قال : تذكرت الصوت الذي سألتك إياه فإذا ليس هو الذي أقيت علي . قال : فتريد ماذا ؟ قال : تذكر الصوت . قال : أفعل ، ثم اندفع فغناه : [من البسيط]

ألم بزينب إن البين قد أفدا قلّ الثواء لئن كان الرحيل غدا³

والغناء لمبعد ثقيل أول فقال له : نعم ، فديتك يا أبا عثمان ، هذا هو ، ألقه علي ؛ قال : العوض ؛ قال : ما شئت ؟ قال : هذا المطرف الأسود ؛ قال : هو لك . فأخذه وألقى عليه هذا الصوت حتى استوى له ، وبكر إلى إبراهيم ؛ فقال له : ما وراءك ؟ قال : قد قضيت

1 في ل : مكارمة .

2 الزربية : واحدة الزرابي وهي البسط .

3 أفد : دنا .

الحاجة ؛ فدعا له بعود فغناه ؛ فقال : خدعك والله ، ليس هذا هو ؛ فعاودَ الاحتيال عليه ، وكلُّ ما تعطيه إياه فني ذمتي . فلما كان اليوم الثالث بعث بي إليه ، فدعوته وفعلنا مثلَ فعلنا بالأمس . فقال له يحيى : فما لك أيضاً ؟ قال له : يا أبا عثمان ، ليس هذا الصوتُ هو الذي أردتُ ؛ فقال له : لستُ أعلم ما في نفسك فأذكره ، وإنما عليّ أن أذكر ما فيه زينبُ من الغناء كما التمسْتَ حتى لا يبقى عندي زينبُ البتّة إلاّ أحضرتها ؛ فقال : هاتِ على اسم الله ؛ قال : اذكرِ العِوضَ ؛ قلت : ما شئتَ ؛ قال : هذه الدُّرّاعة الوُشْيُ التي عليك ؛ قال فخذها والخمسين درهم ، فأحضرها . فألقى عليه والغناء لمعبدٍ ثَقِيلٌ أوّل : [من الطويل]

لزينبَ طيفٌ تعتريني طوارقه هُدوءاً إذا النجمُ ارجحتَ لواحقه¹

فأخذه منه ومضى إلى إبراهيم ، فصادفه يشرب مع الحُرْم ؛ فقال له حاجبه : هو متشاغل ؛ فقال : قل له : قد جئتُك بحاجتك . فدخل فأعلمه ؛ فقال : يدخلُ فيغنيهِ في الدار وهو قائم ، فإن كان هو والّا فليخرج ، ففعل ؛ فقال : لا والله ما هو هذا ، ولقد خدعك ، فعاودَ الاحتيال عليه . ففعل مثل ذلك بيحيى ؛ فقال له يحيى وهو يضحك : أما ظفرتَ بزِينبك بعدُ ؟ فقال : لا والله يا أبا عثمان ، وما أشكّ في أنّك تعتمدني بالمنع ممّا أريده ، وقد أخذتَ كلَّ شيءٍ عندي معاينةً . فضحك يحيى وقال : قد استحييتُ منك الآن ، وأنا ناصحك على شريطة ؛ قال : نعم ، لك الشريطة ؛ قال : لا تُلمني في أن أعابثك لأنّك أخذتَ في معايشي ، والمطلوبُ إليه أقدرُ من الطالب ، فلا تعاود أن تحتال عليّ فإنّك تظفر مني بما تريد ، إنّما دسك إبراهيم بن المهدي عليّ لتأخذ مني صوتاً غنيته ، فسألني إعادته فمنعته بخلاً عليه لأنّه لا يلحقتني منه خير ولا بركة ، ويريد أن يأخذ غنائي باطلاً ، وطَمِعَ بموضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد ؛ لا والله إلاّ بأوفر ثمن وبَعْدَ اعترافك ، وإلاّ فلا تطمع في الصوت . فقال له : أمّا إذ فطنتَ فالأمرُ والله على ما قلتُ ، فتغنيهِ الآن بعينه على شرط أنه إن كان هو هو وإلا فعليك إعادته ، ولو غنيّتي كلَّ شيءٍ تعرفه لم أحتسب لك إلاّ به ؛ قال : اشتريه . فتساوما طويلاً ومآكسه حتى بلغ الصوت ألفَ درهم ، فدفعها إليه ، وألقى عليه :

صوت

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ وَالْمَزَارُ بَعِيدُ بَمْنَى وَنَحْنُ مُعْرِسُونَ هَجُودُ
فَكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بَرِيًّا رَوْضَةً أَنْفٍ تُسَحِّحُ مَرْزَهَا وَتَجُودُ

لحنه خفيف ثَقِيل . قال : وهو صوت كثير العمل ، حلو النغم ، مُحْكَم الصنعة ، صحيح

القسمة ، حسن المقاطع فأخذه وبكر إلى إبراهيم بن المهدي ، فقال له : قد أفقرني هذا الصوت وأعراني ، وأبلاني بوجه يحيى المكي وشعّه وطلبه وشرّه ، وحدّثه بالقصة ؛ فضحك إبراهيم . وغناه إياه ، فقال : هذا وأبيك هو بعينه . فألقاه عليه حتى أخذته ، وأخلف عليه كل شيء أخذته يحيى منه وزاده خمسة آلاف درهم ، وحمله على بردون أشهب فارّه بسرجه ولجامه . فقال له : يا سيدي ؛ فغلامك زُرُور المسكين قد تردّد عليه حتى ظلّع ، هبّ له شيئاً ، فأمر له بألف درهم .
[غنى للأمين لحنا أراد المغنون أخذه عنه فأبى]

حدّثني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدّثني رقيق وشارية جميعاً قالتا : كان مولانا ، تعنيان أبي ، في مجلس محمد الأمين يوماً والمغنون حضور ، فغنّى يحيى المكي ، واللحن له خفيف ثقيل :

صوت

خليل لي أهيّم به فما كافا ولا شكرا
بلى يُدعى له باسمي إذا ما ريع أو عثرا

فاستردّه سيّدنا وأحبّ أن يأخذه ، فجعل يحيى يُفسده . وفطن الأمين بذلك ، فأمر له بعشرين ألف درهم وأمره برده وترك التخليط فيه ، فدعا له وقبل الأرض بين يديه وردّ الصوت وجوده ؛ ثم استعاده . فقال له يحيى : ليست تطيب لك نفسي به إلا بعوض من مالك ، ولا أنصحك والله فيه ، فهذا مال مولاي أخذته ، فلم تأخذ أنت غنائي ! فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها . فقبل يحيى يده وأعاد الصوت وجوده ، فنظر إلى مخارق وعلويه يتطلّعان لأخذه فقطع الصوت ؛ ثم أقبل عليهما وقال : قطعة من خُصية الشيخ تغطى أستاذة عدّة صبيان ، والله لا أعدّته بحضرتكما . ثم أقبل على مولانا تعنيان إبراهيم بن المهدي فقال : يا سيدي ، إني أصير إليك حتى تأخذه عني متمكناً ولا يشركك فيه أحد . فصار إليه فأعاده حتى أخذه عنه ، وأخذناه معه .

[غنى للرشد بتل دارا فأكرمه]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدّثنا أبو أيوب المديني قال حدّثني أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال : أرسل إليّ هارون الرشيد ، فدخلت إليه وهو جالس على كرسيّ بتل دارا¹ ، فقال : يا يحيى ، غني :

1 دارا : بلدة من بلاد الجزيرة .

متى تلتقي الألف والعيسُ كلِّما تصعَّدنَ من وادٍ هَبَطنَ إلى وادٍ
فلم أزل أغنيه إياه ويتناول قدحاً إلى أن أُمسى . فعددتُ عشرَ مرَّات استعاد فيها الصوت ،
وشرب عليه عشرة أقداح ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم ، وأمرني بالانصراف .
[مدح إسحاق غناؤه وذكر أصواته له]

وقال محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ في خبره حدَّثني أبي أحمد بن يحيى قال : قال لي إسحاق :
يا أبا جعفر ، لأبيك مائة وسبعون صوتاً ، مَنْ أخذها عنه بمائة وسبعين ألفَ درهم فهو الرابع .
فقلت لأبي : أي شيء تعرف منها ؟ فقال : لحنه في شعر الأخطل : [من البسيط]

صوت

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكروا وأزعجتهم نوى في صَرَفِها غَيْرُ
كَانَنِي شاربٌ يومَ استبدَّ بهم من قَهْوَةٍ عَتَقَتْها حِمَصٌ أو جَدْرٌ¹
لحن يحيى المكيّ في هذين البيتين ثقیلٌ أوّل ، هكذا في الخبر ، ولإبراهيم فيهما ثقیلٌ أوّل
آخر ، ولابن سُرَيج رمل .
قال : ومنها :

صوت

بَانَ الخَلِيطُ فما أوَمَله وعفا من الرُّوحاء منزله²
ما ظَبِيَّةٌ أدماءٌ عاطلة تحنو على طفلٍ تُطْفَلُهُ
لحن يحيى في هذا الشعر ثاني ثقیل بالنصر . قال أحمد : قال لي إسحاق : ودِدْتُ أن هذا
الصوت لي أو لأبي وأني مُغرَّم عشرة آلاف درهم . ثم قال : هل سمعتم بأحسن من قوله :
«على طفلٍ تُطْفَلُهُ» .
قال : ومنها :

صوت

وَكَّفَ كُمواذ النقا لا يَضِيرها إذا برزتُ ألا يكونَ خِضابُ
أناملُ فَتَخُ لا ترى بأصوِها ضُموراً ولم تَظْهَرْ لهن كِعبُ³
ولحنه من الثقیل الثاني .

1 جدر قرية بين حصص وسلمية ، تنسب إليها الخمر .

2 الروحاء : قرية قرب المدينة .

3 فتح : رخصة ليئة .

قال : ومنها :

[من المسرح]

صوت

صَادَتْكَ هَنْدٌ وَتِلْكَ عَادَتُهَا فَالْقَلْبَ مِمَّا يَشْفُقُهُ كَمِيدُ
كَمْ تَشْتَكِي الشَّوْقَ مِنْ صَبَابَتِهَا وَلَا تَبَالِي هَنْدٌ بِمَا تَجِدُ
ولحنه من خفيف الثقيل .

قال : ومنها :

[من مجزوء الكامل]

صوت

أَعْسَيْتَ مِنْ سَلْمَى هَوَا لَكَ الْيَوْمَ مَحْتَلًّا جَدِيدَا
وَمَرَابِطَ الْخَيْلِ الْعِجَا دِ وَمَنْزَلًا خَلَقَا هَمُودَا
ولحنه خفيف ثقيل أيضاً .

قال : ومنها :

[من المتقارب]

صوت

أَلَا مَرْحَبًا بِخِيَالِ أَلَمَ وَإِنْ هَاجَ لِلْقَلْبِ طَوْلَ الْأَلَمِ
خِيَالٌ لِأَسْمَاءَ يَعْتَادَنِي إِذَا اللَّيْلُ مَدَّ رُواقَ الظُّلَمِ
ولحنه ثقيل أول .

قال : ومنها :

[من الكامل]

صوت

كَمْ لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ فِيكَ سَرَيْتُهَا أَتَعَبْتُ فِيهَا صُحْبَتِي وَرَكَابِي
لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ السَّرُوقَ خِيَاءَهَا وَمَوَاضِعَ الْأَوْتَادِ وَالْأُطْنَابِ

لحنه ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه خفيف ثقيل بالوسطى للغريض . قال ابن المكي : غنى أبي
الرشيد ليلة هذا الصوت فأطربه ، ثم قال له : قم يا يحيى فخذ ما في ذلك البيت ؛ فظنه فرشاً أو
ثياباً ، فإذا فيه أكياس فيها عين وورق ؛ فحملت بين يديه فكانت خمسين ألف درهم مع قيمة
العين .

قال : ومنها :

[من الكامل]

صوت

إني امرؤ ما لي بقي عرُضي وييت جاري آمناً جهلي
وأرى الذمّامة للرّفيق إذا ألقي رحالته إلى رَحلي¹

ولحنه خفيفٌ ثقيلٌ . قال ابن المكيّ غنى ابنُ جامع الرشيد يوماً البيتَ الأوّلَ من هذين البيتين ولم يزد عليه شيئاً ؛ فأعجب به الرشيدُ واسترّده مراراً ، وأسكت لابنَ جامع المغنّين جميعاً ، وجعل يسمعه ويشرب عليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشر خِلع ، وانصرف . فمضى إبراهيم من وجهه إلى يحيى المكيّ فاستأذن عليه ، فأذن له ، فأخبره بالذي كان من أمر ابن جامع واستغاث به . فقال له يحيى : أفزاد على البيت الأوّل شيئاً ؟ قال لا ؛ قال أفرأيتَ إن زدتك بيتاً ثانياً لم يعرفه إسماعيلُ أو عرفه ثم أنسيه ، وطرحته عليك حتى تأخذه ما تجعلُ لي ؟ قال : النصف ممّا يصل إليّ بهذا السبب ؛ قال : والله ؟! فأخذ بذلك عليه عهداً وشرطاً واستحلفه عليه أيماناً مؤكّدة ؛ ثم زاده البيتَ الثاني وألقاه عليه حتى أخذه وانصرف . فلمّا حضر المغنّون من غد ودُعي به كان أوّلَ صوت غنّاه إبراهيمُ هذا الصوتُ ، وجاء بالبيت الثاني وتحفّظ فيه فأصاب وأحسن كلّ الإحسان ، وشرب عليه الرشيدُ واستعاده حتى سكير ، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشر خِلع ؛ فحمّل ذلك كلّهُ ، وانصرف من وجهه ذلك إلى يحيى فقامه ومضى إلى منزله . وانصرف ابنُ جامع إليه من دار الرشيد ، وكان يحيى في بقايا علّة فاحتجب عنه ؛ فدفع ابنُ جامع في صدر يوابه ودخل إليه ، فقال له : إيه يا يحيى ، كيف صنعتَ ! ألقيتَ الصوت على الجرّمقاني² ! لا رفع الله صرّعتك ولا وهب لك العافية . وتشاتما ساعة ، ثم خرج ابن جامع من عنده وهو مُدوّخ .

[مدحه إسحاق الموصليّ في جمع من المغنّين عند الفضل بن الربيع]

حدّثني عمّي قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني محمّد بن أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه قال قال لي إسحاق : كنت أنا وأبوك وابن جامع وفليح بن أبي العوّاء وزبير بن دحمان يوماً عند الفضل بن الربيع ؛ فأنبرى زبير بن دحمان لأبيك (يعني يحيى) ، فجعلنا يُغنيان ويُباري كلُّ واحد منهما صاحبه ، وذلك يعجب الفضل ، وكان يتعصّب لأبيك ويُعجب به . فلمّا طال الأمر بينهما قال له الزبير : أنت تتحلّ غناء الناس وتدّعيه وتنهّلهم ما ليس لهم . فأقبل الفضل عليّ وقال : احكم أيّها الحاكم بينهما ، فلم يخف عليك ما هما فيه ؛

1 الذمّامة : الحرمة والحق .

2 الجرّمقاني : واحد الجرامقة من العجم .

فقلتُ : لئن كان ما يرويه يحيى ويغنيه شيئاً لغيره فلقد روى ما لم يرووه وما لم نروه ، وعلم ما جهلناه وجهلوه ، ولئن كان من صنعته إنه لأحسن الناس صنعةً ، وما أعرف أحداً أروى منه ولا أصحّ أداءاً للغناء ، كان ما يغنيه له أو لغيره . فسرّ بذلك الفضل وأعجبه . وما زال أبوك يشكره لي .

صوت

من المائة المختارة

[من الوافر]

أهاجنتك الطعائنُ يوم بانوا بذى الزيّ الجميل من الأثاث
ظعائنُ أسليكتْ نَقَبَ المنقَى تُحَثّ إذا ونّتْ أيّ احتثاث¹
الشعر للنميري . والغناء للغريض ، ولحنه المختار ثقيلٌ أولٌ بإطلاق الوتر في مجرى
البنصر .

1 نَقَبَ المنقَى : موضع .

[89] - أخبار النُميري ونسبه

[نسبه]

هو محمد بن عبد الله بن نُمير بن خَرَشَة بن ربيعة بن حبيب بن الحارث بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَيْسٍ ؛ وقَيْسٍ هو ثَقِيف . شاعر غَزَل ، مولده ومنشؤه بالطائف ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف ، وله فيها أشعار كثيرة يتشَبَّب بها¹ .

[كان يهوى زينب أخت الحجاج بن يوسف ، وسياق أحاديثه مع الحجاج بشأنها]

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العُمري عن لَقِيط بن بكر المحاربي ، وأخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبى قالوا حدثنا عمر بن شبة : أنَّ النُميري كان يهوى زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف بن الحكم لأبيه وأمه . وأمهما الفارعة بنت هَمَّام بن عُرْوَة بن مَسْعُود الثَّقَفِي ؛ وكانت عند المغيرة بن شعبة ؛ فراها يوماً بُكْرَةً وهي تتخلَّل ، فقال لها : والله لئن كان من غداء لقد جشِعت ، ولكن كان من عشاء لقد أُنْتت ، وطلقها . فقالت : أبعدك الله ! فبئس بعلُ المرأة الحرة أنت ؛ والله ما هو إلا من شَطِية من سواكي استمسكت بين سنين من أسناني . قال حبيب بن نصر خاصة في خبره : قال عمر بن شبة حدثنا بذلك أبو عاصم النبيل .

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة عن يعقوب بن داود الثَّقَفِي ، وحدثنا به ابن عَمَّار والجوهري عن عمر بن شبة ، ولم يذكر فيه يعقوب بن داود ، قالوا جميعاً : قال مُسلم بن جُنْدَب الهذلي وكان قاضي الجماعة بالمدينة : إني لمع محمد بن عبد الله بن نُمير بنَعْمَان² وغلَّام يسير خلفه يشتمه أقبح الشتيمة : فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا الحجاج بن يوسف ، دَعَه فَإِنِّي ذكرتُ أخته في شعري ، فأحفظه ذلك .

قال عمر بن شبة في خبره : وولدت الفارعة أم الحجاج من المغيرة بن شعبة بنتاً فماتت ؛ فنازع الحجاج عروء بن المغيرة إلى ابن زياد في ميراثها ؛ فأغلظ الحجاج لعروء ، فأمر به ابن زياد فضُرب أسواطاً على رأسه وقال : الأبي عبد الله تقول هذه المقالة ! وكان الحجاج حاقداً

1 في ل : يُنسب .

2 نعمان : هو نعمان الأراك ، وإد بينه وبين مكة نصف ليلة .

على آل زياد يَنْفِيهِمْ من آل أبي سفيان ويقول : آل أبي سفيان سُتة¹ حُمَش² ، وآل زياد رُسْحُ حُدُل³ .

وكان يوسف بن الحَكَم اعتلَّ علةً فطالت عليه ؛ فنَذَرَت زينب إن عُوِي أن تمشي إلى البيت ؛ فعُوِي فخرجت في نسوة فقطعنَ بطنَ وَجَّ⁴ ، وهو ثلثمائة ذراع ، في يوم جعلته مرحلةً لِثَقَل بدنها ، ولم تقطع ما بين مكة والطائف إلَّا في شهر . فبينما هي تسير [إذ] لقيها إبراهيم بن عبد الله النُميريُّ أخو محمد بن عبد الله منصرفاً من العمرة . فلَمَّا قدم الطائف أتى محمدًا يسلم عليه ؛ فقال له : ألك عِلْمٌ بزينب ؟ قال : نعم ، لقيتها بالهَمَاء⁵ في بطن نَعْمَان ؛ فقال : ما أحسبك إلَّا وقد قلت شيئاً ؛ قال : نعم ، قلتُ بيتاً واحداً وتناسيته كراهة أن يَنْشَبَ بيننا وبين إخواننا شرَّ . فقال محمد هذه القصيدة وهي أوَّل ما قاله : [من الطويل]

صوت

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بطنُ نَعْمَانٍ إذْ مَشَتْ	به زينبُ في نسوة عَطِرَاتِ
فَأَصْبَحَ ما بينَ الهَمَاءِ فحزوة	إلى الماء ماء الجزع ذي العُشْرَاتِ ⁶
له أَرْجٌ من مِجْمَرِ الهند ساطع	تَطَلَّعُ رِيَّاه من الكَفِرَاتِ ⁷
تهادين ما بينَ الْمُحَصَّبِ من مَنِيٍّ	وأقبلن لا شُعْثاً ولا غَبَرَاتِ
أَعَانَ الذي فوق السموات عرشه	مواشيَ بِالْبَطْحَاءِ مُوتَجِرَاتِ
مَرَرْنَ بِفَخٍّ ثم رُحْنِ عَشِيَّةٍ	يُلبَّين للرحمن معتمِرَاتِ ⁸
يُخْبِئْنَ أَطْرَافَ البنان من الثَّقَى	ويقتلن بالألحاظ مقتدراتِ
تَقَسَّمْنَ لِيَّيَ يومَ نَعْمَانَ إِنِّي	رَأَيْتُ فَوَادِي عَارِمِ النظراتِ ⁹

1 سُتة : عظام الأستاه .

2 حمش : دقاق السوق .

3 الحدل : جمع أحدل وهو الذي أشرف أحد عاتقيه على الآخر .

4 وَجَّ : اسم واد بالطائف .

5 الهماء : موضع بنعمان بين الطائف ومكة .

6 العشرات : جمع عُشْر ، وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو .

7 الكفريات جمع كَفَر وهو العظيم من الجبال .

8 فخ : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال .

9 لِيَّيَ في ل : قلبي . عارم : شارد النظرات حائرها .

جَلَوْنَ وجوهاً لم تَلَحْها سَمائِمٌ حَرُورٌ ولم يُسَفِّعَنَّ بالسَّيِّراتِ¹
 فقلتُ يَعايِرُ الطُّبَّاءُ تناولتُ نِياحَ غصونِ المَرْدِ مُهْتَصِرَاتِ²
 ولَمَّا رَأَتْ رَكَبَ النَّمِيرِيِّ راعِها وَكَنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَه حَذِرَاتِ
 فَأَذْنَيْنِ ، حتى جاوزَ الركبُ ، دونها حجاباً مِنَ القَسِيِّ والحِبرَاتِ³
 فكدتُ اشتياقاً نحوها وصَبَابَةً تَقَطَّعُ نَفْسِي إثرَها حَسَرَاتِ
 فراجعتُ نَفْسِي والحَفِيزَةَ بعد ما بَلَلْتُ رداءَ العَصْبِ بالعَبَرَاتِ⁴

غنى ابن سريج في الأول وبعده «مررن بفخ» وبعده «يخمرن أطراف البنان» ، ولحنه ثاني ثقیل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، قال أبو زيد : فبلغت هذه القصيدة عبد الملك بن مروان ، فكتب إلى الحجاج : قد بلغني قول الخبيث في زينب ، فآله عنه وأعرض عن ذكره ، فإنك إن أدنيت أو عاتبته أطمعته ، وإن عاقبته صدقته .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبی قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو سلمة الغفاري قال : هرب النُميرِيُّ من الحجاج إلى عبد الملك واستجار به ؛ فقال له عبد الملك : أنشدني ما قلت في زينب فأنشده . فلما انتهى إلى قوله :

ولَمَّا رَأَتْ رَكَبَ النَّمِيرِيِّ أَعْرَضْتُ وَكَنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَه حَذِرَاتِ

قال له عبد الملك : وما كان ركبك يا نميري ؟ قال : أربعة أحمرة لي كنت أجلب عليها القَطْران ، وثلاثة أحمرة صحبتني تحمل البعر . فضحك عبد الملك حتى استغرب ضحكاً ، ثم قال : لقد عظمت أمرك وأمر ركبك ؛ وكتب له إلى الحجاج أن لا سبيل له عليه . فلما أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه ، ثم أقبل على يزيد بن أبي مسلم فقال له : أنا بريء من بيعة أمير المؤمنين ، لكن لم يُنشدني ما قال في زينب لآتين على نفسه ، ولكن أنشدني لأعفون عنه ، وهو إذا أنشدني آمن . فقال له يزيد : ويْلَكَ ! أنشده ؛ فأنشده قوله :

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانٍ إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نَسْوَةِ خَفِرَاتِ

فقال : كذبت والله ، ما كانت تتعطر إذا خرجت من منزلها . ثم أنشده حتى بلغ إلى

1 السَّيِّرات : جمع سيرة وهي شدة برد الشتاء .

2 النياح من الغصون : التي تحركها الرياح فتتمايل .

3 القسي : ضرب من الثياب ، وهو منسوب إلى قس ، موضع بين العريش والفرما من أرض مصر كانت تصنع فيه ثياب من كتان مخلوط بالحرير .

4 العصب : ضرب من البرود .

قوله :

[من الطويل]

ولما رأت ركب النُميري راعها وكنّ من أن يلقيه حذرات
قال له : حقّ لها أن ترتاع لأنها من نسوة خفّرات صالحات . ثم أنشده حتى بلغ إلى
قوله :

[من الطويل]

مَرَرْنَ بِفَخٍّ رَائِحَاتٍ عَشِيَّةً يُلَبِّينَ لِلرَّحْمَنِ مَعْتِمِرَاتٍ
فقال : صدقت ، لقد كانت حَجَاجَةً صَوَّامَةً ما علمتها . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

يُخْمِرْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى وَيُخْرِجْنَ جَنَحَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ
فقال له : صدقت ، هكذا كانت تفعل ، وهكذا المرأة الحرّة المسلمة . ثم قال له : ويحك !
إنّي أرى ارتياحك ارتياح مُريب ، وقولك قولَ بريء ، وقد أمنتك ، ولم يُعْرِضْ له . قال أبو
زيد¹ : وقيل : إنّه طالب عريفه به وأقسم لئن لم يَجِئْهُ به ليضربنّ عنقه ، فجاءه به بعد هرب طويل
منه ؛ فخطبه بهذه المخاطبة :

[من شعره في زينب]

قال أبو زيد : وقال النُميريّ في زينب أيضاً :

[من الطويل]

صوت

طَرِبْتَ وشاقتك المنازلُ من جَفْنٍ أَلَا رَبِّمَا يعتادك الشوقُ بالحُزْنِ²
نظرت إلى أظعان زينب باللّوى فأعولتها لو كان إعوأها يُغني
فوالله لا أنساك زينبُ ما دعتُ مُطَوَّقَةً ورقاء شجواً على غُصْنِ
فإنّ احتمال الحيّ يومَ تحمّلوا عَنَّاك وهل يعينك إلّا الذي يعني
ومُرْسِلَةً في السرّ أن قد فضحتني وصرّحتَ باسمي في النَّسَبِ فما تَكْنِي
وأشمت بي أهلي وجلّ عشيرتي لِيَهْنِثُكَ ما تهواه إن كان ذا يَهْنِي
وقد لامني فيها ابنُ عمّي ناصحاً فقلتُ له خُذْ لي فؤادي أو دَعْنِي

غنى ابنُ سُرَيْجٍ في الأوّل والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات لحناً من الرمل
بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، قال أبو زيد : فيقال : إنّه بلغ زينب بنت يوسف
قوله هذا فبكت ؛ فقالت لها خادمتها : ما يُيكِكُ ؟ فقالت : أخشى أن يسمعَ بقوله هذا

1 أبو زيد : هو أبو زيد بن عمرو بن شبة النُميري البصري ، كان شاعراً إخبارياً فقيهاً .

2 جفن : اسم واد بالطائف للثقيف .

جاهلٌ بي لا يَعْرِفني ولا يعلم مذهبي فيراه حقاً .

قال : وقال النميريّ فيها أيضاً :

[من الوافر]

أُهاجِنُكُ الظَّعائِنُ يَومَ بَانُوا	بَذِي الزَّيِّ الجَمِيلِ مِنَ الأَثَاثِ
ظُعَائِنُ أُسَلِّكُ نَقَبَ المُنَقَّى	تُحَثَّ إِذَا وَنَتْ أَيْ احتَثَاثِ
تُؤَمِّلُ أَنَّ تُلَاقِي أَهْلَ بُصْرَى	فِيَا لَكَ مِنْ لِقَاءِ مُسْتَرَاثٍ ¹
كَأَنَّ عَلَى الحَدَائِجِ يَومَ بَانُوا	نِعَاجاً تَرْتَعِي بَقْلَ البِرَاثِ ²
يُهَيِّجُنِي الحَمَامُ إِذَا تَدَاعَى	كَمَا سَجَعَ النَوَائِحُ بِالمَرَاثِي ³
كَأَنَّ عَيُونَهُنَّ مِنَ التَّبَكِّي	فُصُوصُ الجَزَعِ أَوْ يُنَعِ الكَبَاثِ ⁴
أَلَا قِي أَنْتَ فِي الحِجَجِ البَوَاقِي	كَمَا لَاقَيْتَ فِي الحِجَجِ الثَّلَاثِ

[طلب أبو الحجاج إلى عبد الملك ألا يجعل للحجاج عليه سبيلاً فلقبه بالحجاج ولم يعرض له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال قرأت على أبي حدثنا عثمان بن حفص وغيره : أن يوسف بن الحكم قام إلى عبد الملك بن مروان لما بعث بالحجاج لحرب بن الزبير ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إن غلاماً منا قال في ابنتي زينب ما لا يزال الرجل يقول مثله في بنت عمه ، وإن هذا (يعني ابنه الحجاج) لم يزل يتنوّق إليه ويهّمُّ به ، وأنت الآن تبعته إلى ما هناك ، وما آمنه عليه . فدعا بالحجاج فقال له : إن محمداً النميريّ جاري ولا سلطان لك عليه ، فلا تعرض له .

قال إسحاق فحدثني يعقوب بن داود الثَّقَفِيُّ قال : قال لي مسلم بن جندب الهذليّ : كنتُ مع النميريّ وقد قتل الحجاجُ عبدَ الله بن الزبير وجلس يدعو الناس للبيعة ، فتأخّر النميريّ حتى كان في آخرهم ، فدعا به ثم قال له : إن مكانك لم يخفَ عليّ ، أدنُ فبايع . ثم قال له : أنشدني ما قلتُ في زينب ؛ قال : ما قلتُ إلا خيراً ؛ قال : لتُنشِدَنِي . فأنشده قوله : [من الطويل]

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ	بِهِ زَيْنَبٌ فِي نَسْوَةِ عَطِرَاتِ
أَعَانَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرْشُهُ	مَوَاشِيَ بالبَطْحَاءِ مَوْتَجِرَاتِ

1 مستراث : مستبطاً .

2 الحدائج : جمع حديجة . والحديجة من مراكب النساء نحو الهودج والحفّة . البراث : الأماكن السهلة الرمل ، واحداها بَرَث .

3 النوائح في ل : النوادب .

4 الكبث : ثمر الأراك .

يخمرن أطراف الأكف من التقى ويخرجن جُح الليل معجرات¹
 فما ذكرت أيها الأمير إلا كرمًا وخيرًا وطيبًا . قال : فأنشد كَلِمَتَكَ كُلَّهَا فَأَنْتَ آمِنٌ ؛
 فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

ولما رأت ركب النُميري راعها وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ
 فقال له : وما كان ركبك ؟ قال : والله ما كان إلا أربعة أحمرة تحمل القطران . فضحك
 الحجاج وأمره بالانصراف ولم يعرض له .
 [تهدده الحجاج فهرب وقال شعراً]

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن الخليل بن أسد عن العُمري عن عطاء عن عاصم بن
 الحَدَثَان قال : كان ابن نُمير الثقفي يشب بزنب بنت يوسف بن الحكم ؛ فكان الحجاج
 يتهدده ويقول : لولا أن يقول قائل صدق لقطع لسانه . فهرب إلى اليمن ثم ركب بحر
 عدن ، وقال في هربه :

أنتني عن الحجاج والبحر بيننا عقارب تسري والعيون هواجع²
 فضقت بها ذرعاً وأجهشت خيفة ولم آمن الحجاج والأمر فاطع
 وحل بي الخطب الذي جاءني به سمع فليست تستقر الأضالع
 فبت أدير الأمر والرأي ليلتي وقد أخضلت خدّي الدموع التوابع
 ولم أر خيراً لي من الصبر إنه أعف وخير إذ عرّتني الفواجع
 وما أمنت نفسي الذي خفت شره ولا طاب لي مما خشيت المضاجع
 إلى أن بدا لي رأس إسبيل طالعا وإسبيل حصن لم تنله الأصابع³
 فلي عن ثقيف إن همت بنجوة ومهامه تهوي بينهن الهجارع⁴
 وفي الأرض ذات العرض عنك ابن يوسف إذا شئت منأي لا أبا لك واسع
 فإن نلتني حجاج فاشتف جاهداً فإن الذي لا يحفظ الله ضائع

فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه . وطال على النُميري مقامه هارباً واشتاق إلى وطنه ، فجاء
 حتى وقف على رأس الحجاج ؛ فقال له : إيه يا نُميري ! أنت القائل : [من الكامل]

1 الأكف في ل : البنان .

2 بيننا في ل : دوننا .

3 إسبيل : جبل في مخلاف ذمار .

4 تهوي في ل : تعمي . الهجارع : جمع هجرع وهو الخفيف من الكلاب السلوقية .

فإن نلتني حجاج فاشتف جاهداً

فقال : بل أنا الذي أقول :

[من الطويل]

أخافُ من الحجاج ما لستُ خائفاً من الأسدِ العرياض لم يثنه دُعْرُ¹

أخافُ يديه أن تنالا مقاتلي بأبيض عَضْبٍ ليس من دونه سترُ

وأنا الذي أقول :

[من الطويل]

فهأنذا طوّفتُ شرقاً ومغرباً وأبتُ وقد دوّخت كل مكان²

فلو كانت العنقاء منك تطير بي لخلتُك إلا أن تصدّ تراني

قال : فتبسّم الحجاج وأمنه ، وقال له : لا تعاود ما تعلم ؛ وخلي سبيله .

ويروى :

فلو كنت بالعنقاء أو بأسومها لخلتُك إلا أن تصدّ تراني

[زواج زينب أخت الحجاج وتولية كَرِيها شرطة البصرة]

رجع الخبر إلى رواية حماد بن إسحاق

قال حماد فحدثني أبي قال ذكر المدائني وغيره : أن الحجاج عرض على زينب أن يزوجهها محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وهو يومئذٍ أشرفُ ثقفِي في زمانه ، أو الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ، وهو شيخ كبير ، فاختارت الحكم ، فزوجها إياه ، فأخرجها إلى الشام . وكان محمد بن رباط كَرِيها ، وهو يومئذٍ يُكرِّي . فلما ولي الحجاج العراق استعمل الحكم بن أيوب على البصرة ، فكلّمته زينب في محمد بن رباط فولّاه شرطته بالبصرة . فكتب إليه الحجاج : إنك وليت أعرابياً جافياً شرطتك ، وقد أجزنا ذلك لكلام مَنْ سألَكَ فيه . قال : ثم أنكر الحكم بعضَ تعجُرْفه فعزله . ثم استعمل الحجاج الحكم بن سعد العُدْرِيّ على البصرة وعزل الحكم بن أيوب عنها واستقدمه لبعض الأمر ، ثم ردّه بعد ذلك إلى البصرة ، وجهّزه من ماله . فلما قدِم البصرة هيأت له زينب طعاماً وخرجت متنزّهة إلى بعض البساتين ومعها نسوة . فقيل لها : إن فيهن امرأة لم يُر أحسن ساقاً منها . فقالت لها زينب : أريني ساقك ؛ فقالت : لا ، إلا بخلوة ؛ فقالت : ذاك لك ، فكشفته لها ، فأعطتها ثلاثين ديناراً وقالت : اتّخذي منها خلخالاً . قال :

1 العرياض : الأسد الثقيل العظيم .

2 دوّخت في ل : طوّفت .

وكان الحجاج وجهَ زينب مع حرِّمه إلى الشام لما خرج ابنُ الأشعث خوفاً عليهنَّ . فلما قُتل ابنُ الأشعث كتب إلى عبد الملك بن مروان بالفتح ، وكتب مع الرسول كتاباً إلى زينب يُخبرها الخبرَ ، فأعطاهَا الكتابَ ، وهي راكبة على بغلة في هودج ، فنشرته تَقْرؤه ، وسمعت البغلة قعقةَ الكتاب فنفرت ، وسقطت زينبُ عنها فاندقَّ عَصُدُهَا وتَهَرَّأَ جوفُهَا فماتت . وعاد إليه الرسول ، الذي نفَذَ بالفتح ، ب وفاة زينب . فقال النُميري يريثها : [من الطويل]

صوت

لزينب طيفٌ تعتريني طوارقه هُذوءاً إذا النجم ارجَحَّتْ لواحقه
سبيككِ مرَّنانُ العشيِّ يُجيبه لطيفُ بنان الكفِّ دُرْمٌ مرَافقه¹
إذا ما بساطُ اللهو مُدَّ وأُقيت للذَّاتِهُ أنماطُهِ ونمارقه

غنَّاهُ معبد ، ولحنه ثَقِيلُ أَوَّلُ بالخنصر في مجرى البصر عن إسحاق . وما بقي من شعره من الأغاني في نَسِيب النُميريِّ لم نذكر طريقته وصانعه لنذكر أخباره معه .
[غنى ابن سريج من شعره لعبد الله بن جعفر]

صوت

[من الطويل]

تَضَوَّعَ مسكاً بطنُ نَعْمَانٍ أَنْ مَشَتْ به زينبٌ في نسوة خَفِرَاتِ
مَرَّرْنَ بَفَحْ رَائِحَاتِ عَشِيَّةٍ يُلبِّين للرحمن مُعْتِمِرَاتِ

الغناء لابن سريج ثاني ثَقِيلُ بالخنصر في مجرى البصر عن إسحاق .

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن يزيد قالاً حَدَّثَنَا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني² عن عبد الله بن مُسلم الفهري³ قال : خرج عبد الله بن جعفر متنزّهاً ، فصادف ابنَ سُرَيْج وعزّة المَيْلَاءِ متنزّهين ، فَأَنَاحَ ابنُ جعفر راحلته وقال لعزّة : غَنِّيني فغَنَّتْهُ ، ثم قال لابن سُرَيْج : غَنِّني يا أبا يحيى ، فغنَّاهُ لحنه في شعر النُميريِّ :
[من الطويل]

1 مرنان العشي : كنى به عن الصنح ذي الأوتار . درم : جمع أدرم وهو من لا حجم لعظامه .

2 المدائني : (135-225هـ) : هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني مولى شمس بن عبد مناف ، من رواة الأخبار المشهورين .

3 الفهري (125-197هـ) : أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري راوٍ مشهور وله مصنفات كثيرة .

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ

فَأَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَتُحَرَّتْ ، وَشَقَّ حُلَّتَهُ فَأَلْقَى نَصْفَهَا عَلَى عَرَّةٍ وَالنَّصْفَ الْآخَرَ عَلَى ابْنِ سَرِيحٍ . فَبَاعَ ابْنُ سَرِيحٍ النِّصْفَ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ وَخَمْسِينَ دِينَاراً . وَكَانَتْ عَرَّةٌ إِذَا جَلَسْتَ فِي يَوْمِ زِينَةٍ أَوْ مَبَاهَاةٍ أَلْقَتْ النِّصْفَ الْآخَرَ عَلَيْهَا تَتَجَمَّلُ بِهِ .

[سمع سعيد بن المسيَّب شعراً له فأعجبه وزاد عليه]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَعْبٌ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو عَتَّابٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْعَبَّاسِ الْمُطَّلَبِيِّ : أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ مَرَّ فِي بَعْضِ أَرْقَةِ مَكَّةَ ، فَسَمِعَ الْأَخْضَرَ الْحَرَبِيَّ يَتَغَنَّى فِي دَارِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ : [من الطويل]

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبٌ فِي نَسْوَةِ خَفِرَاتٍ
فَضْرَبَ بِرَجْلِهِ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ مِمَّا يَلْدُ أَسْتَمَاعُهُ ، ثُمَّ قَالَ : [من الطويل]

وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى أَوْسَعَتْ جَيْبَ دِرْعِهَا وَأُبْدَتْ بَنَانَ الْكَفِّ لِلجَمَرَاتِ

وَعَلَّتْ بَنَانَ الْمَسْكِ وَخَفَاً مَرَجَّلاً عَلَى مِثْلِ بَذْرِ لَاحٍ فِي الظُّلُمَاتِ¹

وَقَامَتْ تَرَاوَى يَوْمَ جَمْعٍ فَأَفْتَنْتُ بِرُؤْيَيْهَا مَنْ رَاحَ مِنْ عَرَفَاتِ²

قَالَ : فَكَانُوا يَرُونَ أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ .

[مرَّ عَلَى عَائِشَةَ بِنْتُ طَلْحَةَ فَاسْتَشْدَدَتْ شَعْرَهُ فِي زَيْنَب]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْكُرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخِي الْأَصْمَعِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِمْرَانَ الْهَرَوِيِّ ، وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُغِيرَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِمْرَانَ الْهَرَوِيِّ قَالَ : لَمَّا تَأَيَّمَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ كَانَتْ تُقِيمُ بِمَكَّةَ سَنَةً وَبِالْمَدِينَةِ سَنَةً ، وَتَخْرُجُ إِلَى مَالٍ لَهَا عَظِيمٍ بِالطَّائِفِ وَقَصِيرٍ كَانَ لَهَا هُنَاكَ فَتَنْتَرَهُ فِيهِ ، وَتَجْلِسُ بِالْعَشِيَّاتِ ، فَيَتَنَاضَلُ بَيْنَ يَدَيْهَا الرُّمَاءُ . فَمَرَّ بِهَا النُّمَيْرِيُّ الشَّاعِرُ ؛ فَسَأَلَتْ عَنْهُ فَنُسِبَ لَهَا ، فَقَالَتْ : ائْتُونِي بِهِ ، فَأَتَوْهَا بِهِ . فَقَالَتْ لَهُ : أَنْشِدْنِي مِمَّا قُلْتَ فِي زَيْنَبَ ؛ فَامْتَنَعَ عَلَيْهَا وَقَالَ : تِلْكَ ابْنَةُ عَمِّي وَقَدْ صَارَتْ عَظَآمًا بِالْيَةِ . قَالَتْ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ إِلَّا فَعَلْتُ ؛ فَأَنْشَدَهَا قَوْلَهُ : [من الطويل]

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ

الْأَبْيَاتُ . فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا قُلْتَ إِلَّا جَمِلاً ، وَلَا ذَكَرْتَ إِلَّا كَرَمًا وَطِيئًا ، وَلَا وَصَفْتَ إِلَّا

1 الوحف : الشَّعْرُ الْغَزِيرُ الْأَسْوَدُ .

2 جمع : عِلْمٌ لِلْمَزْدَلْفَةِ .

دِينًا وَتُقَى ، أَعْطَوْهُ أَلْفَ دَرْهَمٍ . فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى تَعَرَّضَ لَهَا ؛ فَقَالَتْ : عَلَيَّ بِهِ ، فَاحْضِرْ¹ . فَقَالَتْ لَهُ : أَنْشِدْنِي مِنْ شَعْرِكَ فِي زَيْنَبَ ؛ فَقَالَ لَهَا : أَوْ أَنْشِدْكَ مِنْ شَعْرِ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ² فَيْلِكَ ؟ فَوُثِبَ مَوَالِيهَا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَتْ : دَعُوهُ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَقِيدَ لِبْنَتِ عَمِّهِ ، هَاتِ مِمَّا قَالَ الْحَارِثُ فِيَّ ؛ فَأَنْشَدَهَا :

ظَعَنَ الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ وَعَدَّوْا بِلَبِّكَ مَطْلَعَ الشَّرْقِ

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا ذَكَرَ إِلَّا جَمِيلًا ، ذَكَرَ أَنِّي إِذَا صَبَحْتُ زَوْجًا بُوْجَهِي غَدَا بِكُوَاكِبِ الطَّلُقِ ، وَأَتَيْ غَدَوْتُ مَعَ أَمِيرٍ تَزَوَّجَنِي إِلَى الشَّرْقِ ، وَأَتَيْ أَحْسَنَ الْخَلْقِ فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسَبِ الرَّفِيعِ ؛ أَعْطَوْهُ أَلْفَ دَرْهَمٍ وَأَكْسُوهُ حُلَّتَيْنِ ، وَلَا تَعُدْ لِأَتْيَانِنَا بَعْدَ هَذَا يَا نُمَيْرِي .

[غنى إبراهيم الموصلي للرشيد من شعره وكان غاضباً عليه فرضي عنه]

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ عَنْ إِسْحَاقَ ، وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ الرَّشِيدَ غَضِبَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ أَبِيهِ بِالرَّقَّةِ فَجَبَسَهُ مَدَّةً ، ثُمَّ اصْطَبَحَ يَوْمًا ، فَبَيْنَا هُوَ عَلَى حَالِهِ إِذْ تَذَكَّرَهُ ، فَقَالَ : لَوْ كَانَ الْمُوصَلِيُّ حَاضِرًا لَأَنْتَظِمَ أَمْرُنَا وَتَمَّ سُرُورُنَا . قَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَجِئَ بِهِ ، فَمَا لَهُ كَبِيرُ ذَنْبٍ . فَبَعَثَ فَجِئَ بِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ أَطْرَقَ الرَّشِيدُ فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ ، وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ مَنْ حَضَرَ بَأَن يَغْنِي ؛ فَاَنْدَفَعَ فَغْنَى :

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفَرَاتٍ

فَمَا تَمَالَكَ الرَّشِيدُ أَنْ حَرَّكَ رَأْسَهُ مَرَارًا وَاهْتَزَّ طَرِبًا ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمَ ! حُلُّوا قَبِيدَهُ وَغَطُّوهُ بِالْخَلْعِ ، فَفَعِلَ ذَلِكَ . فَقَالَ : يَا سَيِّدِي ، رِضَاكَ أَوْلَى ؛ قَالَ : لَوْ لَمْ أَرْضَ مَا فَعَلْتُ هَذَا ، وَأَمْرُ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرْهَمٍ .

وَمِمَّا قَالَهُ النُّمَيْرِيُّ فِي زَيْنَبَ وَغُنِّي فِيهِ :

صوت

تَشْتُو بِمَكَّةَ نَعْمَةً	وَمَصِيفُهَا بِالطَّائِفِ
أَحْبَبُ بِتِلْكَ مَوَاقِفًا	وَزَيْنَبُ مِنْ وَاقِفِ
وَعَزِيزَةٌ لَمْ يَغْذُهَا	بُؤْسٌ وَجَفْوَةٌ حَائِفِ
غَرَاءَ يَحْكِيهَا الْغَزَا	لُ بِمُقْلَةٍ وَسَوَافِ

1 في ل : فجاء .

2 الحارث : هو الحارث بن خالد المخزومي .

الغناء ليحيى المكيّ خفيفُ رَمَلٍ عن الهشاميّ ، وذكر عمر بن بانه أنّه لابن سُرَيْجٍ وأنّه بالنصر . وزعم الهشاميّ أنّ فيه لابن المكيّ أيضاً لحناً من الثقيل الأول .
ومن الغناء في أشعاره في زينب :

[من المتقارب]

صوت

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُعْنَى غَزَلٍ يُحِبُّ الْمُحِلَّةَ أُخْتَ الْمُحِلِّ
تراءتُ لنا يومَ فرع الأُرا كَ بَيْنَ العِشاءِ وَبَيْنَ الأُصْلِ
كَأَنَّ القَرَنُفْلَ والزَّنَجِيلَ وَرِيحَ الخُرَامِي وَذَوْبَ العِسلِ
يُعَلِّ به بَرْدُ أنْيَابِهَا إِذَا مَا صفا الكوكبُ المعتدلُ

الغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر يونس أنّ للمالك فيه لحناً في :

[من المتقارب]

كَأَنَّ القَرَنُفْلَ والزَّنَجِيلَ

والبيت الذي بعده وبيتين آخرين وهما :

[من المتقارب]

وَقَالَتْ لِحَارَتِهَا هَلْ رَأَيْتَ إِذْ أَعْرَضَ الرُّكْبُ فَعَلَّ الرَّجُلُ
وَأَنَّ تَبَسُّمَهُ ضَاحِكاً أَجَدَّ اشْتِيَاقاً لِقَلْبٍ غَزَلٍ

وذكر حماد عن أبيه أنّ فيها للهذليّ لحناً ، ولم يذكر طريقته .

المُحِلُّ الذي عناه النُميريّ هاهنا : الحَجَّاجُ بن يوسف ؛ سُمِّيَ بذلك لإحلاله الكعبة ، وكان أهل الحجاز يُسمُّونه بذلك . ويُسمِّي أهل الشام عبد الله بن الزبير المُحِلَّ لأنّه أحلَّ الكعبة ، زعموا أنّه بمقامه فيها ، وكان أصحابه أحرقوها بنار استضاءوا بها .

فأخبرني الحسين بن يحيى المُرْدَاسِيّ قال قال حماد بن إسحاق : قرأتُ على أبي : وبلغني أنّ إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عباس تزوّج أسماء بنت يعقوب (امرأة من ولد عبد الله بن الزبير) فزوّت إليه من المدينة وهو بفارس ، فمرّت بالأهواز على السيّد الحُميريّ ؛ فسأل عنها فنُسبت له ؛ فقال فيها قوله :

[من المتقارب]

مَرَّتْ تُزَفُّ عَلَى بَغْلَةٍ وَفَوْقَ رِحَالِهَا قُبَّةُ
زُبَيْرِيَّةٍ مِنْ بَنَاتِ الَّذِي أَحَلَّ الْحَرَامَ مِنَ الْكَعْبَةِ
تُزَفُّ إِلَى مَلِكٍ مَاجِدٍ فَلَا اجْتِمَاعَ وَبِهَا الْوَجْبَةُ

[من المتقارب]

وقد قيل بأنّ الأبيات اللامية التي أولها :

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُعْنَى غَزَلٍ

لخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رَمْلَةَ بنت الزُّبَيْر ، وقيل : إنها لأبي شَجَرَةَ السُّلَمِي .

[استشد رجل ابن سيرين فأنشده للنُميري وقام إلى الصلاة]

حدَّثني الحسين بن الطَّيِّب البَلْخِيّ الشاعر قال حدَّثنا قُتَيْبَةُ بن سَعِيد قال حدَّثنا أَبُو بكر بن شُعَيْب بن الْحَبَّابِ الْمُعَوَّلِيُّ¹ قال : كنتُ عند ابن سيرين ، فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر ، فأنشده ابنُ سيرين :

كَأَنَّ الْمُدَامَةَ وَالزَّنَجِيلَ وَرِيحَ الْخَزَامِي وَذَوْبَ الْعَسَلِ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا النِّجْمُ وَسَطَ السَّمَاءِ اعْتَدَلَ
وقال : اللهُ أَكْبَرُ ، ودخل في الصلاة .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يَا قَلْبُ وَيْحَكَ لَا يَذْهَبُ بِكَ الْخُرْقُ إِنَّ الْأَلَى كُنْتَ تَهَوَّاهُمْ قَدْ انْطَلَقُوا²
[ويروى : يذهب بك الحُرْق] :

مَا بِالْهَمِّ لَمْ يُيَالُوا إِذْ هَجَرْتَهُمْ وَأَنْتَ مِنْ هَجَرِهِمْ قَدْ كَدْتَ تَحْتَرِقُ
الشعر لوضّاح اليمن . والغناء لصبّاح الخياط ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مجراها . وفي أبيات من هذه القصيدة ألحانٌ عدّة ، فجماعة من المغنّين قد خلطوا معها غيرها من شعر الحارث بن خالد ومن شعر ابن هرمة ؛ فأخّرتُ ذكرها إلى أن تنقضي أخبارُ وضّاح ، ثم أذكرها³ بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

1 المعولي : نسبة إلى بني مَعُولَةَ بن شمس بن عمرو .

2 الخُرْق : نقيض الرّفق .

3 لم يذكرها أبو الفرج كما وعد هنا .

[90] - أخبار وضاح اليمن¹ ونسبه

[نسبه]

وضّاح لقبٌ غلب عليه لجماله وبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال بن داؤد بن أبي جَمَد . ثم يُختلف في تحقيق نسبه ، فيقول قوم : إنه من أولاد الفرس الذين قَدِمُوا اليَمَنَ مع وَهْرَزْ نُصْرَة سَيْف بن ذي يَزَن على الحبشة . ويزعم آخرون أنه من آل خَوْلان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أَيْمَن بن الهمَيْسَع بن العَرَنْجَج² وهو حِمير بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب وهو المرعَب بن قَحْطَان . فممن ذكر أنه من حمير خالد بن كُلثوم ، قال : كان وضّاح اليمن من أجمل العرب وكان أبوه إسماعيل بن داؤد بن أبي جَمَد من آل خَوْلان بن عمرو بن معاوية الحِميري فمات أبوه وهو طفل ، فانتقلت أمّه إلى أهلها ، وانقضت عدتها فتزوَّجت رجلاً من أهلها من أولاد الفرس . وشبَّ وضّاح في حجر زوج أمّه . فجاء عمّه وجدته أم أبيه ، ومعه جماعه من أهل بيته من حِمير ثم من آل ذي قَيْفان ثم من آل ذي جَدَن يطلبونه ، فادّعى زوج أمّه أنه ولده . فحاكموه فيه وأقاموا البيّنة أنه وُلد على فراش إسماعيل بن عبد كلال أبيه ، فحكم به الحاكم لهم ، وقد كان اجتمع الحَميريّون والأبناء³ في أمره وحضر معهم . فلمّا حكم به الحاكم للحَميريين ، مسح يده على رأسه وأعجبه جماله وقال له : اذهب فأنت وضّاح اليمن ، لا من أتباع ذي يَزَن (يعني الفُرس الذين قدم بهم ابنُ ذي يَزَن لنصرتِه) فعَلِقت به هذه الكلمة منذ يومئذٍ ، فلقب وضّاح اليمن . قال خالد : وكانت أم داؤد بن أبي جَمَد جدّة وضّاح كِنْدِيَّة ؛ فذلك حيث يقول في بنات عمّه :

[من الخفيف]

إِنَّ قَلْبِي مُعَلَّقٌ بِنِسَاءِ واضحاتِ الخدودِ لَسَنَ بِهِجْنِ
مِنْ بَنَاتِ الْكَرِيمِ دَاؤَدَ لَدَا يُنْسِنُ مِنْ أَبَاةِ اللَّغْنِ

[من الخفيف]

وَقَالَ أَيْضاً يَفْتَخِرُ بِجَدِّهِ أَبِي جَمَدَ :
بَنَى لِي إِسْمَاعِيلُ مَجْداً مُؤَثَّلاً وَعَبْدُ كَلَالٍ بَعْدَهُ وَأَبُو جَمَدَ

1 وضاح اليمن ، انظر أخباره في : التذكرة الحمدونية 9 : 232-233 .

2 كان يقال لحمير العرنجج ، والعرنجج في الأصل : العتيق .

3 الأبناء : هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حَدَّثَنِي عُمَيّ عن العباس بن هشام عن أبيه قال : كان وضّاح اليمن والمُقَنِّع الكِنْدِيّ وأبو زُبَيْد الطائِي يَرِدُونَ مواسِمَ العرب مُقَنِّعِينَ يَسْتَرُونَ وجوههم خوفاً من العين وحذراً على أنفسهم من النساء لجمالهم . قال خالد بن كلثوم : فَحَدَّثْتُ بهذا الحديث مرّةً وأبو عبيدة مَعْمَرُ بن المُثَنَّى حاضراً ذلك ، وكان يزعم أنّ وضّاحاً من الأبناء ؛ فقال أبو عبيدة : داذا اسم فارسيّ . فقلت له : عبد كلال اسم يمانيّ ، وأبو جَمَد كنية يمانية ، والعجم لا تكتني ، وفي اليمن جماعة قد تسمّوا بأبرهة ، وهو اسم حبشيّ ، فينبغي أن تنسبهم إلى الحبشة . وأيّ شيء يكون إذا سُمِّيَ عربيّ باسم فارسيّ ! وليس كلّ مَنْ كُنِيَ أبا بكر هو الصديق ، ولا مَنْ سُمِّيَ عُمراً هو الفاروق ، وإنّما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسباً ولا تدفعه . قال : فوجم أبو عبيدة وأفحم فما أجاب .

ومَنْ زعم أنّه من أبناء الفرس ابنُ الكلبيّ ومحمد بن زياد الكلبيّ . وقال خالد بن كلثوم : إنّ أمّ إسماعيلَ أبي الوضّاح بنتُ ذي جَدَن ، وأمّ أبيه بنتُ فُرْعان ذي الدروع الكِنْدِيّ من بني الحارث بن عمرو .

[أحبّ روضة ولم يتزوجها وقال فيها شعراً]

وكان وضّاح يهوى امرأةً من أهل اليمن يُقال لها رَوْضة .

أخبرني محمد بن خلف بن الرزبان قال : ذكر هشام بن الكلبيّ أنّها رَوْضة بنت عمرو ، من ولد فُرْعان ذي الدروع الكِنْدِيّ .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حَدَّثَنِي محمد بن سَعِيد الكُرَانيّ قال حَدَّثَنَا العُمَرِيّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيَّاش : أنّ وضّاحاً هَوِيَ امرأةً من بنات الفرس يقال لها روضة ؛ فذهبت به كلّ مذهب . وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إيّاها ؛ وعاتبه أهله وعشيرته . فقال في ذلك :

[من البسيط]

صوت

يا أيُّها القلبُ بعضَ ما تجدُ	قد يعشق المرءُ ثم يتنَّدُ
قد يكتُم المرءُ حبّه حقّاً	وهو عميدٌ وقلبه كمدُ
ماذا تريدين من فتى غزلٍ	قد شَفّه السُّقْمُ فيك والسَّهْدُ
يهذِّدوني كيما أخافهمُ	هيهات أني يَهْدِدُ الأسدُ

الغناء لابن مُحَرِّز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها لحن لابن عَبَّاد ، من كتاب إبراهيم ، غير مجنس .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني سالم بن زيد قال أخبرني التوزي قال حدثنا الأصمعي عن الخليل بن أحمد قال : كان وضاح يهوى امرأة من كندة يقال لها روضة . فلما اشتهر أمره معها خطبها فلم يزوجه ، وزوجت غيره ، فمكثت مدة طويلة . ثم أتاه رجل من بلدها فأسر إليه شيئاً فبكى . فقال له أصحابه : مالك تبكي ؟ وما خبرك ؟ فقال : أخبرني هذا أن روضة قد جُذمت ، وأنه رآها قد أُلقيت مع المجذومين . ولم نجد لهما خبراً يرويه أهل العلم إلا لَمَعاً يسيرة وأشياء تدل على ذلك من شعره ، فأما خبر متصل فلم أجده إلا في كتاب مصنوع غث الحديث والشعر لا يُذكر مثله . وأصابها الجذام بعد ذلك ، فانقطع ما بينهما . ثم شَبَّ بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد بن عبد الملك ، فقتله الوليد لذلك . وأخبرهما تذكر في موضعها بعقب هذه الحكاية .

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا مصعب بن عبد الله قال : كان وضاح اليمن يهوى امرأة يقال لها روضة ويشبب بها في شعره ، وهي امرأة من أهل اليمن . وفيها يقول :

صوت

يا روضة الوضاح قد	عني وضاح اليمن
فاسقي خليلك من شرا	ب لم يكدره الدرن
الريح ريح سفرجل	والطعم طعم سلاف دن
إني تهيجني إليـ	ك حمامتان على فنن

قال مصعب : فحدثني بعض أهل العلم ممن كان يعرف خبر وضاح مع روضة من أهل اليمن : أن وضاحاً كان في سفر مع أصحابه . فبينما هو يسير إذ استوقفهم وعدل عنهم ساعة ، ثم عاد إليهم وهو يبكي . فسألوه عن حاله ؛ فقال : عدلت إلى روضة ، وكانت قد جُذمت فجعلت مع المجذومين ، وأخرجت من بلدها ، فأصلحت من شأنها وأعطيتها صدراً¹ من نفقتي . وجعل يبكي غماً بها .

الغناء في الأبيات المذكورة في هذا الخبر يُنسب مع تمام الأبيات ؛ فإن في جميعها غناء . ومما قاله وضاح في روضة المذكورة وفيه غناء ، وأنشدنا جرّمي عن الزبير عن عمه :

صوت

أيا روضة الوضّاح يا خيرَ روضةٍ لأهلك ، لو جادوا علينا بمنزلٍ
 رهينك وضّاحٌ ذهبَ بعقله فإن شئتَ فاحيه وإن شئتَ فاقتلي
 وتوقد حيناً باليلنجوج نارها وتوقد أحياناً بمسكٍ ومندلٍ¹
 والأبيات الأولى النونية فيها زيادة على ما رواه مصعب ، وفي سائرهما غناء . وتماؤها بعد
 قوله :

«إني تهيجني إليـ لك حمامتان على فنٍّ»
 الزوج يدعو إليه فتطاعما حبُّ السكنِ
 لا خيرَ في نثِّ الحديدِ ث ولا الجليس إذا فطنُ
 فاعصِي الوُشاةَ فإنما قول الوُشاة هو الغبنُ
 إنَّ الوُشاة إذا أتو كِ تَنصَّحُوا ونَهَوُكِ عن²
 دَسَّتْ حُبِيبةٌ مَوْهِناً إني وعيشك يا سَكَنُ
 أبلغتُ عنكِ تبدلاً وأتى بذلك مُؤْتَمَنُ
 وظننتُ أنَّكِ قد فعلتِ تَ فِكِدْتُ من حَزَنٍ أُجَنُ
 ذَرَفْتُ دموعي ثم قلدي تَ بَمَنْ يبادلني بمنِ
 اسكُتْ فليستَ مُصدِّقاً ما كان يفعل ذا أظُنُ
 إني وجدَّك لو رأيـ تَ خليلنا ذاك الحسنُ
 يجفوه ثم يحبنا والله ميتٌ من الحزنِ
 أخبره إمَّا جئتـه أنَّ الفؤادَ به يجنُ
 أبغضتَ فيه أحبِّي وقَلَّيتُ أهلي والوطنُ
 أتركتني حتَّى إذا علقتُ أبيض كالشَّطَنُ
 أنشأتَ تطلب وصلنا في الصيف ضيَّعتُ اللبَنُ
 هكذا قال ، وغيره يرويه : «في الصيف ضيحت اللبن» أي مذقته . قال³ :

1 اليلنجوج : عود البخور .

2 يريد : عني .

3 الظاهر أنَّ كلمة «قال» من عمل النساخ .

لو قيل يا وضّاح قم فاختر لنفسك أو تمنّ
لم أعد روضةً والذي ساق الحجيح له البُدن

الغناء في الأوّل من القصيدة وهو «يا روضة الوضّاح» يُنسب إن شاء الله . وله في روضة هذه أشعار كثيرة في أكثرها صنعة ، وبعضها لم يقع إليّ أنّه صُنِع فيه . فمن قوله فيها :

صوت

يا روضُ جيرانكم الباكرُ فالقلبُ لا لاهٍ ولا صابرُ
قالت ألا لا تلجّن دارنا إنّ أبانا رجلٌ غائرُ
قلت فإنّي طالبٌ غرّةٍ منه وسيفي صارمٌ باترُ
قالت فإن القصرَ من دوننا قلتُ فإنّي فوقه ظاهرُ
قالت فإن البحرَ من دوننا قلتُ فإنّي سابحٌ ماهرُ
قالت فحوّلي إخوةً سبعةً قلتُ فإنّي غالبٌ قاهرُ
قالت فليثُ رابضٌ بيننا قلتُ فإنّي أسدٌ عاقرُ
قالت فإن الله من فوقنا قلتُ فربّي راحمٌ غافرُ
قالت لقد أعيينا حُجةً فأتِ إذا ما هجع السامرُ
فأسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناهٍ ولا زاجرُ
الغناء في هذه الأبيات هزجٌ يميني ، وذكر يحیی المكيّ أنّه له .

وقال في روضة وهو بالشام : [من الوافر]

أبت بالشام نفسي أن تطيبا تذكّرتُ المنازلَ والحبّيا
تذكّرتُ المنازلَ من شعوبٍ وحيّاً أصبحوا قُطِعوا شعوباً¹
سبّوا قلبي فحلّ بحيث حلّوا ويُعظم إن دَعَوْا ألا يُجيبا
ألا ليت الرياحَ لنا رسولٌ إليكم إن شَمالاً أو جنوباً
فتأتِيكم بما قلنا سريعاً ويلُغنا الذي قلتم قريباً
ألا يا رَوْض قد عَذَبْتَ قلبي فأصبح من تذكّرکم كثيباً

1 شعوب : موضع قريب من صنعاء ، وكان به قصر معروف بالارتفاع وحواليه بساتين بظاهر صنعاء .

وأبْدَى في مَفَارِقِي المَشْيَا
ولا قَرَبٌ إِذَا كَانَتْ قَرِيَا

[من الكامل]

وَالْقَوْمُ بَيْنَ أَبَاطِحِ وَعِشَاشٍ¹
قَفَرٌ وَحَزَنٌ فِي دُجَى وَرِشَاشٍ
إِنَّ الْمُحِبَّ إِذَا أُخِيفَ لَمَاشِي
شَفَقًا وَأَخْشَى أَنْ يَشِي بِكَ وَاشِي
وَأَنَا امْرُؤٌ لَخُرُوجِ سَرَكٍ خَاشِي
وَالطُّفْ لِأَخَوَتِي الَّذِينَ تُمَاشِي
وَالسُّرُّ يَا وَضَّاحَ لَيْسَ بِفَاشِي
بِخَلَاخِلٍ وَبِحُلَّةِ أَكْبَاشٍ²
وَدُمُوعَ عَيْنِي فِي الرَّدَاءِ غَوَاشِي
فِي الْعِظَمِ حَتَّى قَدْ بَلَغَتْ مُشَاشِي³

[من الكامل]

بِخِيَالٍ مَنْ أَهْدَى لَنَا الْوَضْلَ⁴
خَمْسُ دَوَائِمُ تُعْمِلُ الْإِبْلَا
حَزَنَ الْبِلَادِ إِلَيَّ وَالسَّهْلَا
أَغْنَى الْخَلَائِقِ كُلَّهُمْ شَمْلَا
وَاللَّهُ مَا أَبْقَيْتَ لِي عَقْلَا
إِلَّا إِلَيْكَ فَأَجْمَلِي الْفِعْلَا

وَرَقَّقَنِي هَوَاكِ وَكُنْتُ جَلْدًا
أَمَا يُنْسِيكَ رَوْضَةُ شَحْطُ دَارٍ
وَمَا قَالَ فِيهَا أَيْضًا :

طَرِبَ الْفَوَادِ لَطِيفِ رَوْضَةِ غَاشِي
أَنَّى اهْتَدَيْتِ وَدُونَ أَرْضِكَ سَبَسَبٍ
قَالَتْ تَكَالِيفُ الْحُبِّ كَلِيفَتُهَا
أَدْعُوكِ رَوْضَةُ رَحْبٍ وَاسْمُكَ غَيْرُهُ
قَالَتْ فَزُرْنَا قُلْتُ كَيْفَ أَزُورُكُمْ
قَالَتْ فَكُنْ لِعُمُومَتِي سَلَمًا مَعًا
فَتَزُورُنَا مَعَهُمْ زِيَارَةَ آمَنِ
وَلَقَيْتُهَا تَمْشِي بِأَبْطَحِ مَرَّةٍ
فَظَلِلْتُ مَعْمُودًا وَبَتَ مُسَهَّدًا
يَا رَوْضَ حُبِّكَ سَلِّ جِسْمِي وَاتْنَحِ
وَمَا قَالَ فِيهَا أَيْضًا :

طَرَقَ الْخِيَالُ فَمَرْحَبًا سَهْلَا
وَسَرَى إِلَيَّ وَدُونَ مَنْزِلِهِ
يَا حَبْدَا مَنْ زَارَ مَعْتَسِفًا
حَتَّى أَلَمَ بِنَا فَبِتُّ بِهِ
يَا حَبْدَا هِيَ قَدَّكَ حَسْبُكَ قَدْ
وَاللَّهُ مَالِي عَنْكَ مُنْصَرَفٌ

[حَجَّتْ أُمُّ الْبَيْنِ وَرَأَتْهُ فَهَوَيْتُهُ]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانَ قَالَ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا

1 العِشَاشُ : جَمْعُ عَشَّةٍ ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْقَلِيلَةُ الشَّجَرِ ، وَقِيلَ هِيَ الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ .

2 الْأَكْبَاشُ : مِنْ بَرُودِ الْيَمَنِ .

3 الْمَشَاشُ : النَّفْسُ ، وَالْمَشَاشُ أَيْضًا : رُؤُوسُ الْعِظَامِ وَاحِدُهَا مَشَاشَةٌ .

4 طَرَقَ فِي ل : طَافَ .

العُمريّ عن لَقِيْطٍ وَهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ : أَنَّ أُمَّ الْبَنِينَ بِنْتَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ اسْتَأْذَنَتِ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الْحَجِّ فَأْذِنَ لَهَا ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ خَلِيفَةُ وَهِيَ زَوْجَتُهُ . فَقَدِمَتْ مَكَّةَ وَمَعَهَا مِنَ الْجَوَارِي مَا لَمْ يُرَ مِثْلُهُ حَسَنًا . وَكُتِبَ الْوَلِيدُ يَتَوَعَّدُ الشَّعْرَاءَ جَمِيعًا إِنْ ذَكَرَهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ ذَكَرَ أَحَدًا مِمَّنْ تَبِعَهَا . وَقَدِمَتْ ، فَتَرَأَتِ لِلنَّاسِ ، وَتَصَدَّيْ لَهَا أَهْلُ الْغَزَلِ وَالشَّعْرُ ، وَوَقَعَتْ عَيْنُهَا عَلَى وَضَّاحِ الْيَمَنِ فَهَوِيَتْهُ .

فَحَدَّثَنَا الْحَرْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ بُدَيْحٍ قَالَ : قَدِمْتُ أُمَّ الْبَنِينَ بِنْتُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ وَهِيَ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حَاجَّةً ، وَالْوَلِيدُ يَوْمُئِذٍ خَلِيفَةُ . فَبِعِثْتُ إِلَى كَثِيرٍ وَإِلَى وَضَّاحِ الْيَمَنِ أَنَّ انْسُبَا بِي . فَأَمَّا وَضَّاحُ الْيَمَنِ فَإِنَّهُ ذَكَرَهَا وَصَرَّحَ بِالنَّسَبِ بِهَا ؛ فَوَجَدَ الْوَلِيدُ عَلَيْهِ السَّبِيلَ فَقَتَلَهُ . وَأَمَّا كَثِيرٌ فَعَدَلَ عَنْ ذَكَرَهَا وَنَسَبَ بِجَارِئَتِهَا غَاضِرَةً فَقَالَ¹ :

صوت

شَجَا أَظْعَانُ غَاضِرَةَ الْغَوَادِي بَغِيرَ مَشْوَرَةٍ عَرَضًا فَوَادِي
أَغَاضِرَ لَوْ شَهِدْتَ غَدَاةَ بِنْتِمْ حُسُوَ الْعَائِدَاتِ عَلَى وَسَادِي
أَوَيْتَ لِعَاشِقٍ لَمْ تَشْكُمِيهِ بِوَاقِدَةٍ تَلْدُغُ كَالزَّنَادِ²

الغناء في هذه الأبيات لابن مُخَرِّزٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَيْشَامِيِّ وَحَبَشَ . قَالَ بُدَيْحٌ : فَكُنْتُ لَمَّا حَجَّتْ أُمَّ الْبَنِينَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَى وَجْهًا حَسَنًا إِلَّا رَأَيْتَهُ مَعَهَا . فَقُلْتُ لَعُبِيدَ اللَّهِ بَنَ قَيْسَ الرُّقَيَّاتِ : بِمَنْ تَشَبَّهَ مِنْ هَذَا الْقَطْرَيْنِ ؟ فَقَالَ لِي :

وَمَا تَصْنَعُ بِالسَّرِّ إِذَا لَمْ تَكِ مَجْنُونًا
إِذَا عَالَجْتَ ثِقْلَ الْحِ سَبَّ عَالَجْتَ الْأُمُرَيْنَا³
وَقَدْ بُحِتَ بِأَمْرِ كَا نَ فِي قَلْبِي مَكْنُونًا
وَقَدْ هِجَّتْ بِمَا حَاوَلْ سَتَ أَمْرًا كَانَ مَدْفُونًا

قَالَ : ثُمَّ خَلَا بِي فَقَالَ لِي : اكْثُمِ عَلَيَّ ، فَإِنَّكَ مَوْضِعٌ لِلْأَمَانَةِ ؛ وَأَنْشَدَنِي : [من مجزوء الكامل]

1 هذا الشعر من قصيدة قالها كثير في رثاء خندف الأسدي لما قتل .

2 أَوَيْتَ فِي ل : رَنَيْتَ .

3 الْأُمُرُونَ : الدَّوَاهِي .

صوت

أصحوتَ عن أمّ البنيـ
نَ وذكرها وعنائها
وهجرتها هجرَ امرئ
لم يَقلْ صفو صفائها
فُرْشِيَّة كالشمس أشـ
رق نورها بيهائها
زادت على البيض الحسا
ن بحسناها ونقائها
لما اسبكرت للشبا
ب وقنعت بردائها
لم تلتفت للداتها
ومضت على غلوائها
لولا هوى أمّ البنيـ
نَ وحاجتي للقاءها
قد قرّبت لي بغلة
محبوسة لنجائها

قال بُدَيْح : فلما قتل الوليد وضّاح اليمن ، حجّت بعد ذلك أمّ البنين محتجبة لا تكلم أحداً ؛
وشخصت كذلك ، فلقيني ابنُ قيس الرقيّات ، فقال : يا بدّيح ،

صوت

[من مجزوء البسيط]

بأن الحبيب الذي به تثقُ واشتدّ دون الحبيبة القلقُ
يا مَنْ لصفرَاء في مفاصلها لئن وفي بعض بطشها خرقُ

وهي قصيدة قد ذكرت مع أخبار ابن قيس الرقيّات .

الغناء في الأبيات الأولى التي أوّلها :

[من مجزوء الكامل]

أصحوتَ عن أمّ البنين

يُنسب في موضع آخر إن شاء الله .

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر الموملي عن عبد الله بن أبي
عُبيدة قال حدّثني كثيرٌ قال : حججتُ مع أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وهي زوجة
الوليد بن عبد الملك ، فأرسلت إليّ وإلى وضّاح اليمن أن انسبا بي ؛ فهيتُ ذلك ونسبت
بجاريتهما غاضرة ، فقلت :

شجا أظعانُ غاضرة الغوادي بغير مشورة عَرَضاً فوادي
أغاضر لو شهدت غداة ينتم حنوّ العائدات على وسادي
أويّت لعاشقٍ لم تشكّميه بواقدة تلذّع كالزناد

[من الوافر]

وأما وضّاح فنسب بها ، فبلغ ذلك الوليد فطلبه فقتله .
 أخبرني عمّي قال حدّثني محمّد بن سعد الكُرانيّ قال حدّثني أبو عمر العُمريّ عن
 العُتبيّ قال : مدح وضّاحُ اليمَن الوليدَ بن عبد الملك ، وهو يومئذٍ خليفة ، ووعدته أمّ
 البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تُرفده عنده وتقوي أمره . فقدّم عليه وضّاح وأنشده
 قوله فيه :

صوت

صبا قلبي ومال إليك ميلاً وأرقتني خيالك يا أثيلاً¹
 يمانيّة تلمّ بنا فتبدي دقيق محاسن وتكن غيلاً²
 دعيّنا ما أمت بنات نعشٍ من الطيف الذي يتاب ليلاً³
 ولكن إن أردت فصّبّحنا إذا أمت ركائبنا سهيلاً
 فإنك لو رأيت الخيل تعدو سراعاً يتخذن النقع ذيلاً⁴
 إذا لرأيت فوق الخيل أسداً تفيد مغانماً وتُفيت نيلاً
 إذا سار الوليدُ بنا وسيرنا إلى خيل نلفّ بهنّ خيلاً
 وندخل بالسرور ديار قومٍ ونُعقب آخرين أذىً وويلاً
 فأحسن الوليد رفده وأجزل صلته⁵ ومدحه بعدة قصائد . ثم نمي إليه أنه شبّ بأم البنين ،
 فجفاه وأمر بأن يُحجب عنه ، ودبر في قتله .
 ومدحه وضّاح بقوله أيضاً :

[من الطويل]

ما بال عينك لا تنام كأنما طلب الطبيب بها قذى فاضله
 بل ما لقلبك لا يزال كأنه نشوان أنهله النديم وعله
 ما كنت أحسب أن أبيت ببلدةٍ وأخي بأخرى لا أحلّ محله

- 1 أثيل : ترخيم أثيلة ، وهو اسم امرأة .
- 2 وتكنّ في ل : وتجنّ . الغيل : الساعد الريان الممتلئ . وفي شرح الحماسة في التعليق على هذا البيت : «دقيق محاسنها كالعين والأنف والأستنان والفم . وتكنّ غيلاً : أي تستر ما جلّ منها كالعصم والساعد والساق والفخذ» .
- 3 بنات نعش : من الكواكب الشامية .
- 4 سراعاً في ل : عوايس .
- 5 في ل : جائزته .

كنا لعمرك ناعمين بغبطة
مع ما نحب مبيته ومظله
فأرى الذي كنا وكان بغرة
نلهو بغرته ونهوى دله
كالطيف وافق ذا هوى فلها به
حتى إذا ذهب الرقاد أضله
قل للذي شعف البلاء فؤاده
لا تهلكن أختاً قرب أخ له
والق ابن مروان الذي قد هزه
عرق المكارم والتدى فأقله
واشك الذي لاقيته من دونه
وانشر إليه داء قلبك كله
فعلى ابن مروان السلام من امرئ
أمسى يذوق من الرقاد أقله
شوقاً إليك فما تنالك حاله
وإذا يحل الباب لم يؤذن له
فإليك أعملت المطايا ضمراً
وقطعت أرواح الشتاء وظله
وليالياً لو أن حاضر بثها
طرف القضيض أصابه لأشله

فلم يزل محفواً حتى وجد الوليد له غرة ، فبعث إليه من اختلسه ليلاً فجاءه به ، فقتله
ودفنه في داره ، فلم يُوقف له على خبر .

[قتل الوليد له]

وقال خالد بن كلثوم في خبره : كان وضاح قد شبب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان
امراة الوليد بن عبد الملك ، وهي أم ابنه عبد العزيز بن الوليد ، والشرف فيهم . فبلغ الوليد
تشببه بها ، فأمر بطلبه فأتي به ، فأمر بقتله . فقال له ابنه عبد العزيز : لا تفعل يا أمير المؤمنين
فتحقق قوله ، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دهب ؛ فإنه لما شبب بابنته شكاه يزيد وسأله
أن يقتله ؛ فقال : إذا تحقق قوله ، ولكن تبره وتحسن إليه فيستحيي ويكف ويكذب نفسه .
فلم يقبل منه ، وجعله في صندوق ودفنه حياً . فوقع بين رجل من زنادقة الشعوبية وبين رجل
من ولد الوليد فخاراً خرجا فيه إلى أن أغلظا المسابة ، وذلك في دولة بني العباس ؛ فوضع
الشعوبي عليهم كتاباً زعم فيه أن أم البنين عشيقت وضاحاً ، فكانت تدخله صندوقاً عندها .
فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهاه إليه وأراه الصندوق ، فأخذه ووضاح فيه فدفنه . هكذا
ذكر خالد بن كلثوم والزبير بن بكار جميعاً .

وأخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدثنا أبو سعيد السكري قال
حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الكلبي قال : عشيقت أم البنين وضاحاً ، فكانت ترسل إليه
فيدخل إليها ويقيم عندها ؛ فإذا خافت وارتته في صندوق عندها وأقفلت عليه . فأهدي

للوليد جَوْهر له قيمة فَأعجبه واستحسنه ، فدعا خادماً له فبعث به معه إلى أم البنين وقال : قل لها : إن هذا الجوهر أعجبنى فَأثرتكِ به . فدخل الخادم عليها مفاجأةً ووضّاح عندها ، فأدخلته الصندوق وهو يرى ، فأدّى إليها رسالة الوليد ودفع إليها الجوهر ، ثم قال : يا مولاتي ، هبيني منه حجراً ؛ فقالت : لا ، يا ابن اللّخاء ولا كرامة . فرجع إلى الوليد فأخبره ؛ فقال : كذبت يا ابن اللّخاء ، وأمر به فوجئت عنقه . ثم لبس نعليه ودخل على أم البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط ، وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه ، فجلس عليه ثم قال لها : يا أم البنين ، ما أحبّ إليك هذا البيت من بين بيوتك ! فلم تختارينه ؟ فقالت : أجلسُ فيه وأختاره لأنّه يجمع حوائجي كلّها فأتناولها منه كما أريد من قرب . فقال لها : هبي لي صندوقاً من هذه الصناديق ؛ قالت : كلّها لك يا أمير المؤمنين ؛ قال : ما أريدها كلّها وإنما أريد واحداً منها ؛ فقالت له : خذ أيّها شئت ؛ قال : هذا الذي جلستُ عليه ؛ قالت : خذ غيره فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها ؛ قال : ما أريد غيره ؛ قالت : خذه يا أمير المؤمنين . فدعا بالخدم وأمرهم بحمله ، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه . ثم دعا عبداً له فأمرهم فحفروا بئراً في المجلس عميقة ، فحُتّى البساط وحُفرت إلى الماء . ثم دعا بالصندوق فقال : [يا هذا] إنّه بلغنا شيء إن كان حقاً فقد كفّناك ودفناك ودفنا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر ، وإن كان باطلاً فإننا دفنا الخشب ، وما أهون ذلك ! ثم قذِف به في البئر وهبيل عليه الترابُ وسوّيت الأرض ورُدّ البساط إلى حاله وجلس الوليدُ عليه . ثم ما رئي بعد ذلك اليوم لوضّاح أثر في الدنيا إلى هذا اليوم . قال : وما رأت أم البنين لذلك أثراً في وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما .

[مرضت أم البنين وهو في دمشق فقال شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني مصعب بن عبد الله قال : مرضت أم البنين ووضّاح مقيم بدمشق ، وكان نازلاً عليها ؛ فقال في علّتها : [من الكامل]

حَتّامَ نَكُتُم حزننا حَتّاماً	وَعَلّامَ نَسْتَقِي الدموعَ علّاماً
إنّ الذي بي قد تفاقم واغتلّى	ونما وزاد وأورث الأسقاماً
قد أصبحت أم البنين مريضةً	نَخشى ونُشفق أن يكونَ حِمّاماً
يا ربّ أمتّعني بطول بقائها	واجبرُ بها الأرمال والأيتاماً
واجبر بها الرجلَ الغريبَ بأرضها	قد فارق الأحوالَ والأعماماً
كم راغبين وراهبين وبُؤسٍ	عُصموا بقرب جنابها إعصاماً

بجناب ظاهرة الثنا محمودية لا يُستطاع كلامها إعظاما
 الغناء في الأول والثاني والثالث والرابع والخامس لحكم الوادي خفيف رمل بالوسطى ،
 عن الهشامي وعبد الله بن موسى . ومما وجد في روايتي هارون بن الزيات وابن المكّي في الرابع
 ثم الخامس ثم الأول والثاني لعمر الوادي خفيف رمل ، من رواية الهشامي .
 [شَبَّ بِفَاطِمَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَدَفَنَهُ الْوَلِيدُ فِي بَيْتٍ وَهُوَ حَيٌّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب قال : بلغ الوليد بن
 عبد الملك تشبّب وضاح بأمّ البنين فهمّ بقتله . فسأله عبد العزيز ابنه فيه ، وقال له : إن قتله
 فضحتني وحققت قوله ، وتوهم الناس أن بينه وبين أمّي رية . فأمسك عنه على غيظٍ وحقّ ،
 حتى بلغ الوليد أنّه قد تعدّى أمّ البنين إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك ، وكانت زوجة عمر بن
 عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ، وقال فيها :
 [من الكامل]

بنتُ الخليفة والخليفة جدّها أختُ الخليفة والخليفة بعلّها
 فرّحت قوابلها بها وتباشرت وكذاك كانوا في المسرة أهلها
 فأخفق واشتدّ غيظه وقال : أمّا لهذا الكلب مُدَجَّر عن ذكر نساتنا وأخواتنا ، ولا له عنا
 مذهب ؛ ثم دعا به فأحضر ، وأمر بيثر فحُفِرَتْ ودُفِنَ فيها حيّاً .
 [شعر له]

أخبرني الحرّميّ بن أبي الغلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الملك بن عبد
 العزيز عن يوسف بن الماجشون قال : أنشدتُ محمّد بن المنكدر قولَ وضاح : [من الطويل]
 فما نوّلتُ حتى تَضَرَّعَتْ عندها وأعلمتها ما رخص الله في اللّمَمِ
 قال : فضحك وقال : إن كان وضاح إلّا مُفْتِيّاً لنفسه . وتماّم هذه الأبيات : [من الطويل]
 ترجّل وضاحٌ وأسبل بعدما تكهّل حيناً في الكهول وما احتلّم
 وعُلّق بيضاء العوارض طفلةً مُخَضَّبَةً الأطراف طيبة النّسمِ
 إذا قلتُ يوماً نوّليني تبسمتُ وقالت معاذ الله من فعل ما حرّم
 فما نوّلتُ حتى تضرّعتُ عندها وأعلمتها ما رخص الله في اللّمَمِ
 [رثى أباه وأخاه بشعر وهو عند أمّ البنين]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن العُتبيّ في خبره الأوّل المذكور من
 أخبار وضاح مع أمّ البنين قال : كان وضاح مقيماً عند أمّ البنين ، فورد عليه نعي أخيه وأبيه ؛
 فقال يرثيهما :

[من الوافر]

أُراعك طائرٌ بعد الخُفوقِ
نعمَ وَلَهَا على رجلِ عَميدٍ
كَأَنِّي إذ علمتُ بها هُدُوءاً
أَعْلُ بَرْقَرَةً من بَعْدِ أُخْرَى
وَتَرْدُفُ عَبْرَةً تَهْتَانُ أُخْرَى
كَأَنِّي إذ أَكْفَكِفُ دَمْعَ عَيْنِي
أَلَّا تِلْكَ الحَوَادِثُ غَبَتْ عَنْهَا
فَمَا أَنْفَكَ أَنْظِرَ في كِتَابِ
يُخَبِّرُ عن وفاةِ أُخْرٍ كَرِيمٍ
وَقَرْمٍ يُعْرِضُ الخصماءَ عَنْهُ
كَرِيمٍ يَمَلَأُ الشَّيْزَى وَيَقْرِي
وَأَعْظَمَ مَا رُمِيتُ بِهِ فَجُوعاً
يُخَبِّرُ عن وفاةِ أُخْرٍ فَصِيراً
سَأَصْبِرُ للقضاءِ فَكُلُّ حَيٍّ
فَمَا الدُّنْيَا بِقَائِمَةٍ وَفِيهَا
وَلِلْأَحْيَاءِ أَيَّامٌ تَقْضَى
فَأَغْنَاهُمْ كَأَعْدَمِهِمْ إِذَا مَا
كَذَلِكَ يُبْعَثُونَ وَهُمْ فُرَادَى
أَبْعَدَ هُمَامِ قَوْمِكَ ذِي الْأَيْدِي
وَبَعْدَ عُيُودَةِ المَحْمُودِ فِيهِمْ
وَبَعْدَ ابْنِ المَفْضَلِ وَابْنِ كَافٍ
تَوَمَّلْ أَنَّ تَعِيشَ قَرِيرَ عَيْنٍ

بِفَاجِعَةٍ مُشْنَعَةٍ الطُّرُوقِ
أَظْلُ كَأَنَّنِي شَرِقَ بِرَيْقِي
هُوتُ بِي عَاصِفٌ من رَأْسِ زَيْقٍ¹
لَهَا في القَلْبِ حَرٌّ كَالْحَرِيقِ
كَفَائِضُ غَرْبٍ نَضَّاحٍ فَتِيقِ
وَأَنَّهُمَا أَقُولُ لَهَا هَرَبِيقِ
بِأَرْضِ الشَّامِ كَالْفَرْدِ الغَرِيقِ
تُدَارِي النَفْسُ عَنْهُ هَوَى زَهْوَ²
بَعِيدِ الغُورِ نَفَّاعٍ طَلِيقِ
كَمَا حَادَ الْبِكَارُ عَنِ الْفَنِيقِ³
إِذَا مَا قَلَّ إِيْمَاضُ الْبُرُوقِ⁴
كِتَابٌ جَاءَ مِنْ فَجٍّ عَمِيقِ
تَنْجَزُ وَعْدَ مَنَانِ صَدُوقِ
سِيلْقَى سَكْرَةَ المَوْتِ الْمَذُوقِ
مِنَ الْأَحْيَاءِ ذُو عَيْنِ رَمُوقِ
يَلْفُ خَتَامُهَا سَوْقاً بِسُوقِ
تَقْضَتْ مُدَّةُ العِيشِ الرَقِيقِ
لِيَوْمٍ فِيهِ تَوْفِيَةُ الحُقُوقِ
أَبِي الوَضَّاحِ رَتَّاقِ الْفُتُوقِ
وَبَعْدَ سَمَاعَةِ الْعَوْدِ الْعَتِيقِ
هَمَا أُخْوَاكَ فِي الزَّمَنِ الْأَنِيقِ
وَأَنْتَ أُمَامَ طَلَّابِ لَحُوقِ

1 النِّيقُ : أَعْلَى مَوْضِعٍ فِي الْجَبَلِ .

2 الزَّهْوَ : الْهَالِكُ .

3 الْبِكَارُ : جَمْعُ بَكَرٍ وَهُوَ الْفَتَى مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْفَنِيقُ : الْفَحْلُ الْمَكْرَمُ لَا يُؤْذِي لِكِرَامَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ وَلَا يُرَكَبُ .

4 الشَّيْزَى : خَشَبٌ أَسْوَدُ تَعْمَلُ مِنْهُ الْقَصَاعُ . وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى مَا صَنَعَ مِنْ ذَلِكَ فَيَقَالُ لِلْجَفَانِ شَيْزَى .

ودنياك التي أمستَ فيها مزايلةُ الشقيقِ عن الشقيقِ
ومّا قاله في مرثية أهله وذَكَرَ الموتَ وغنّي فيه ، وإنّما نذكر منها ما فيه غناء لأنّها
طويلة : [من الرجز]

صوت

ما لك وضّاحُ دائمَ الغزلِ أَلستَ تخشى تقاربَ الأجلِ
صلّ لذي العرش واتخذْ قدماً تُنجيك يوم العِشار والزَّلِ
يا موتُ ما إن تزال معترضاً لأملٍ دون منتهى الأملِ
لو كان مَنْ فرَّ منك منفلاً إذا لَأَسْرَعَتْ رحلةَ الجملِ
لكنّ كَفَيْكَ نال طولُهما ما كلّ عنه نجائبُ الإبلِ
تنال كَفّاكَ كلّ مُسهلة وحُوتَ بحر ومَعْقِلِ الوَعِلِ
لولا حِذارِي من الخُتوفِ فقد أَصْبَحْتُ من خوفها على وَجَلِ
لكنْتُ للقلبِ في الهوى تَبْعاً إنّ هواه رِائبُ الحَجَلِ
جرّميّة تسكن الحجازَ لها شيخٌ غَيور يعتلُّ بِالْعِلَلِ¹
عَلّقَ قلبي ريبَ بيت ملو لِي ذات قُرطين وَعَتّة الكَفَلِ²
تَقْتَرُ عن منطِقِي تَضِنُّ به يَجري رُضاباً كذائب العسلِ

[قال شعراً يشبّ بحبابة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني
سليمان بن أبي أيّوب عن مُصعب قال : قال وضّاح اليمن في حَبابة جارية يزيد بن
عبد الملك ، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتَصير إليه ، وسمع غناءها فأعجب
بها إعجاباً شديداً : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا مَنْ لقلبٍ لا يُطِيـ مع الزاجرين ولا يُفِيـ
تسلو قلوبُ ذوي الهوى وهو المكلف والمشوق

1 جرّميّة : نسبة إلى الحرم .

2 امرأة وعَتّة : كثيرة اللحم .

تَبَلَّتْ حَبَابَةُ قَلْبِهِ بِالذَّلِّ وَالشَّكْلِ الْأَنِيقِ¹
وَبَعِينَ أَحْوَرَ يَرْتَعِي سَقَطَ الْكُثِيبُ مِنَ الْعَقِيقِ²
مَكْحُولَةٌ بِالسَّحَرِ تُنَدِّ شَيْءٌ نَشْوَةٌ الْخَمْرِ الْعَتِيقِ
هَيْفَاءُ إِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ لَاحَتْ كَطَالَعَةِ الشَّرُوقِ
وَالرَّدْفُ مِثْلُ نَقَاءٍ تَلَدَّ بَدَّ فَهُوَ زُحْلُوقُ زُلُوقِ
فِي دَرَّةِ الْأَصْدَافِ مَعَدَّ تَنْقَأَ بِهَا رَذَعُ الْخَلُوقِ³
دَاوِي هَوَايَ وَأُطْفِئِي مَا فِي الْفُؤَادِ مِنَ الْحَرِيقِ
وَتَرَفَّقِي أُمْلِي فَقَدْ كَلَّفَتْنِي مَا لَا أُطِيقُ
فِي الْقَلْبِ مِنْكَ جَوَى الْمُحَدِّ بَّ وَرَاحَةُ الصَّبِّ الشَّفِيقِ
هَذَا يَقُودُ بِرُمَّتِي قُوداً إِلَيْكَ وَذَا يَسُوقُ
يَا نَفْسُ قَدْ كَلَّفَتْنِي تَعَبَ الْهَوَى مِنْهَا فَذُوقِ⁴
إِنْ كُنْتَ تَائِقَةً لِحَدِّ رَّ صَبَابَةٍ مِنْهَا فَتُوقِ

[شعره في روضة]

ومما قال في روضة وفيه عناء قوله :

[من الخفيف]

صوت

يَا لِقَوْمِي لِكثْرَةِ الْعَذَالِ وَلَطِيفِ سَرَى مَلِيحِ الدَّلَالِ
زَائِرٍ فِي قُصُورِ صَنْعَاءَ يَسْرِي كُلَّ أَرْضٍ مَخُوفَةٍ وَجِبَالِ

والغناء لابن عباد عن الهشامي رمل ، وهذه الأبيات من قصيدة له في روضة طويلة جيدة

يقول فيها :

يَقْطَعُ الْحَزْنَ وَالْمَهَامَةَ وَالْبَيْدَ دَ وَمِنْ دُونِهِ ثَمَانُ لِيَالِي
عَاتِبٌ فِي الْمَنَامِ أَحْبَبُ بَعْتِبَا هَ إِلَيْنَا وَقَوْلِهِ مِنْ مَقَالِ
قَلْتُ أَهْلًا وَمَرْحَبًا عَدَدَ الْقَطْ رَ وَسَهْلًا بِطَيفِ هَذَا الْخَيَالِ

1 قلبه في ل : لَبَّه .

2 سَقَطَ الْكُثِيبُ : مَنْقَطَعُهُ .

3 رَذَعُ : أَثَرُ الطَّيْبِ فِي الْجَسَدِ ، وَالْخَلُوقُ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ .

4 فَذُوقِ وَتَوَقَّي أَصْلَهُمَا ذُوقِي وَتَوَقَّي .

حَبْدًا مَنْ إِذَا خَلُونَا نَجِيًّا قَال : أَهْلِي لَكَ الْفِدَاءُ وَمَالِي
 وَهِيَ الْهَمُّ وَالْمُنَى وَهُوَ النَّفْسُ س إِذَا اعْتَلَّ ذُو هَوًى بِاعْتِلَالِ
 قِسْتُ مَا كَانَ قَبْلَنَا مِنْ هَوًى النَّاسِ س فَمَا قِسْتُ حَبَّهَا بِمِثَالِ
 لَمْ أَجِدْ حَبَّهَا يُشَاكِلُهُ الْحَبُّ بَّ وَلَا وَجَدْنَا كَوْجَدَ الرِّجَالِ
 كُلَّ حَبٍّ إِذَا اسْتَطَالَ سَبِيلِي وَهُوَ رَوْضَةُ الْمُنَى غَيْرُ بَالِي
 لَمْ يَزِدْهُ تَقَادُّمُ الْعَهْدِ إِلَّا جِدَّةً عِنْدَنَا وَحَسَنَ احْتِلَالِ
 أَيُّهَا الْعَاذِلُونَ كَيْفَ عَتَابِي بَعْدَ مَا شَابَ مَفْرَقِي وَقَدَالِي
 كَيْفَ عَذَلِي عَلَى الَّتِي هِيَ مِنِّي بِمَكَانِ الْيَمِينِ أُخْتِ الشَّمَالِ
 وَالَّذِي أَحْرَمُوا لَهُ وَأَحْلَوْا بَعِيْنُ صُبْحِ عَاشِرَاتِ اللَّيَالِي
 مَا مَلَكَتُ الْهَوَى وَلَا النَّفْسَ مِنِّي مُنْذُ عُلِّقْتُهَا فَكَيْفَ احْتِيَالِي
 إِنْ نَأَتْ كَانَ نَأْيُهَا الْمَوْتَ صِرْفًا أَوْ دَنْتُ لِي فَتَمَّ يَدُوْ حَبَالِي
 يَا ابْنَةَ الْمَالِكِيِّ يَا يَهْجَةَ النَّفْسِ س أَفِي حَبِّكُمْ يَجِلُّ اقْتِتَالِي
 أَيَّ ذَنْبٍ عَلَيَّ إِنْ قُلْتُ إِنِّي لِأَحِبِّ الْحِجَازِ حَبَّ الزَّلَالِ
 لِأَحِبِّ الْحِجَازِ مِنْ حَبِّ مَنْ فِيهِ س وَأَهْوَى حِلَالَهُ مِنْ حِلَالِ¹

وَمَا فِيهِ غَنَاءٌ مِنْ شَعْرٍ وَضَاح :

[من المديد]

صوت

أَيُّهَا النَّاعِبُ مَاذَا تَقُولُ فَكَلَانَا سَائِلٌ وَمَسْئُولُ
 لَا كَسَاكَ اللَّهُ مَا عَشْتُ رِيثًا وَبِخَوْفٍ بَتَّ ثُمَّ تَقِيلُ
 ثُمَّ لَا أَنْقَفْتُ فِي الْعُشِّ فَرَحًا أَبْدَأُ إِلَّا عَلَيْكَ دَلِيلُ²
 حِينَ تُبْسِي أَنَّ هِنْدًا قَرِيبًا يَبْلُغُ الْحَاجَاتِ مِنْهَا الرِّسُولُ
 وَنَأَتْ هِنْدٌ فَخَبَّرَتْ عَنْهَا أَنَّ عَهْدَ الْوَدِّ سَوْفَ يَزُولُ

[من الكامل]

ومنها :

1 الحلال : جمع حِلَّة وهي الخِطَّة أو القوم النزول فيهم كثرة .

2 أَنْقَفَ الْفَرْخُ : اسْتَخْرَجَهُ مِنَ الْبَيْضَةِ .

صوت

حيّ التي أقصى فؤادك حَلَّتْ علمتْ بأنك عاشقٌ فأدَلَّتْ
وإذا رأيتك تقلقلتْ أحشاؤها شوقاً إليك فأكثرَتْ وأقَلَّتْ
وإذا دخلتْ فأغلقتْ أبوابها عزم الغيور حجابها فاعتَلَّتْ
وإذا خرجتْ بكتْ عليك صباةً حتى تبَلَّ دموعها ما بَلَّتْ
إن كنتَ يا وضاح زرتَ فمرحباً رَحِبْتُ عليك بلادنا وأظَلَّتْ

الغناء لابن سُرَيْج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها خفيف رمل بالوسطى يمانى عن عمرو وفيها ليحيى المكيّ ثاني ثقيل بالوسطى ، من كتابه . ولابنه أحمدٌ فيها هزج . وذكر حبشٌ أنّ ليحيى فيها أيضاً خفيفٌ ثقيل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أتعرف أطلالاً بميسرة اللوى إلى أرعب قد حالفتك به الصبا¹
فأهلاً وسهلاً بالتى حلّ حبها فؤادي وحلّت دار شحط من النوى
الغناء فيه هزجٌ يمنيّ بالبنصر عن ابن المكيّ ، وهذه أبيات يقولها لأخيه سماعة ، وقد عتبَ عليه في بعض الأمور . وفيها يقول :

[من الطويل]

أبادر دُرُنُوكَ الأمير وقُربَه لأذكرَ في أهل الكرامة والنهى²
وأتبع القصاصَ كلَّ عشيّةٍ رجاء ثواب الله في عدد الخطأ
وأمتست بقصر يضربُ الماء سورَه وأصبحتُ في صنعاء ألتمس الندى
فمن مُبلِّغٍ عني سماعةً ناهياً فإن شئتَ فاقطعنا كما يُقَطِّع السلى³
وإن شئتَ وصلَ الرّحم في غير حيلة فعلنا وقُلْنَا للذي تشتهي بلى
وإن شئتَ صرّماً للتفرّق والنوى فبُعِداً ، أدام الله تفرقة النوى

ومنها : [من الكامل]

1 أرعب : موضع .

2 الدُرُنُوك : الطنفسة وضرب من البُسط أو الثياب .

3 السلى : الجلد الذي يكون فيها الجنين ، فإن انقطع في البطن هلكت الأم والجنين .

صوت

طَرَقَ الْخِيَالُ فَمَرْحَباً أَلْفَا بِالشَّاعِفَاتِ قُلُوبَنَا شَغَفَا
وَلَقَدْ يَقُولُ لِي الطَّيِّبُ وَمَا نَبَأَتْهُ مِنْ شَأْنِنَا حَرْفَا :
إِنِّي لِأَحْسِبُ أَنَّ دَاءَكَ ذَا مِنْ ذِي دِمَالَجٍ يَخْضِبُ الْكُفَا
إِنِّي أَنَا الْوَضَّاحُ إِنْ تَصَلِّي أَحْسِنَ بِكَ التَّشْيِيبَ وَالْوَصْفَا
شَطَّتْ فَشَفَّ الْقَلْبَ ذِكْرُكَهَا وَدَنْتُ فَمَا بَدَلْتُ لَنَا عُرْفَا

ومنها :

صوت

ويروى لبشار : [من مجزوء الكامل]

يَا مَرْحَباً أَلْفَا وَأَلْفَا بِالْكَاسِرَاتِ إِلَيَّ طَرْفَا
رُجُحَ الرَّوَادِفِ كَالظُّبَا ءَ تَعَرَّضْتُ حُوءاً وَوُطْفَا
أُنْكَرَنَ مَرْكَبِي الْحِمَا رَ وَكَنَّ لَا يُنْكَرَنَ طَرْفَا
وَسَأَلَنِي أَيْنَ الشُّبَا بُ فَقُلْتُ بَانَ وَكَانَ حِلْفَا
أَفْنَى شِبَابِي فَانْقَضَى حِلْفُ النِّسَاءِ تَبِعَنَ حِلْفَا
أَعْطَيْتُهُنَّ مَوَدَّتِي فَجَزَيْتَنِي كَذِباً وَخُلْفَا
وَقَصَائِدُ مِثْلُ الرُّقَى أَرْسَلْتُهُنَّ فَكَنَّ شَغَفَا
أَوْجَعَنَ كُلَّ مُغَازِلٍ وَعَصَفْنَ بِالْغَيْرَانِ عَصَفَا
مَنْ كُلُّ لَذَاتِ الْقَتَى قَدْ نَلْتُ نَائِلَةً وَعُرْفَا
صِدْتُ الْأَوَانِسَ كَالدُّمَى وَسَقَيْتُهُنَّ الْخَمَرَ صِرْفَا

ومنها : وهذه القصيدة تجمع نسيبه بمن ذكر وفخره بأبيه وجدّه أبي جَمَدٍ : [من الطويل]

صوت

أَعْنِي عَلَى بِيضَاءِ تَنْكَلٍ عَنْ بَرْدٍ وَتَمْشِي عَلَى هَوْنٍ كَمِشْيَةِ ذِي الْحَرْدِ¹

1 تنكل : تفتت وتبسم . الحرْد : ثقل الدرع على المدرع أو هو داء يأخذ الإبل في اليدين دون الرجلين فتسترخي أيديها .

وتلبس من بزّ العراق مناصفاً
إذا قلت يوماً نولينّي تبسمتُ
سموتُ إليها بعد ما نام بعلمها
أشارت بطرف العين أهلاً ومرحباً
ألست ترى من حولنا من عدونا
فقلتُ لها إني امرؤ فاعلمينه
بنى لي إسماعيلُ مجدداً مؤثلاً
تطيف علينا قهوة في زجاجة
ومنها :

[من مجزوء البسيط]

صوت

يا أيُّها القلبُ بعضَ ما تجدُ
قد يكُتم المرءُ حبّه حِقْباً
قد يمشقُّ القلبُ ثم يتئدُ
وهو غَمِيدٌ وقلْبُهُ كَمِيدُ
مأذا تُراعون من فتى غَزَلٍ
يهدّدوني كيما أخافهمُ
قد تيمّته خَمَصَانَةٌ رُوْدُ
هيّهات أنّى يُهدّد الأسدُ

ومنها :

[من الخفيف]

صوت

صدعَ البَيْنُ والتفرّقُ قلبي
توتِ النفسُ في الحُمُولِ لديها
وتولّت أمّ البنين بلبي
ولقد قلتُ والمدامعُ تجري
بدموع كأنّها فيضُ غَرْبِ
جزعاً للفراق يومَ تولّت :
حسبي الله ذو المعارجِ حسبي

ومنها :

[من السريع]

صوت

يا أمةَ الواحدِ جودي فما
جودي علينا اليومَ أو بيّني
إن تصوّرمني فيما أو لِمَا
فيمَ قتلتِ الرجلَ المُسلِماً

1 وأبراد في ل : وأكبّاش . العصب : ضرب من برود اليمن ، واحده وجمعه سواء . الجند : مدينة باليمن .

إِنِّي وَأَيْدِي قُلُوصٍ ضَمَرٍ وَكُلُّ خِرْقٍ وَرَدَ الْمَوْسِمَا¹
 مَا عُلِقَ الْقَلْبُ كَتَلِيقِهَا وَاضِعَةً كَفَأَ عَلَتْ مِغْصِمَا
 رَبَّةٌ مُحْرَابٍ إِذَا جِئْتُهَا لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أُرْتَقِي سُلَمَا
 إِخْوَتُهَا أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يَنْفُونَ عَنْهَا الْفَارِسَ الْمُعْلَمَا
 كَيْفَ أَرْجِيهَا وَمِنْ دُونِهَا بَوَابُ سَوْءٍ يُعْجِلُ الْمُشْتَمَا
 أَسْوَدُ هَتَّكَ لِأَعْرَاضٍ مَنْ مَرَّ عَلَى الْأَبْوَابِ أَوْ سَلَمَا
 لَا مِنَّةَ أَعْلَمُ كَانَتْ لَهَا عِنْدِي وَلَا تَطْلُبُ فِينَا دَمَا
 بَلْ هِيَ لَمَّا أَنْ رَأَتْ عَاشِقًا صَبًّا رَمَتْهُ الْيَوْمَ فِيمَنْ رَمَى
 لَمَّا ارْتَمِينَا وَرَأَتْ أَنَّهَا قَدْ أُثْبِتَتْ فِي قَلْبِهِ أَسْهُمَا
 أَعْجَبَهَا ذَاكَ فَأَبْدَتْ لَهُ سَتَّهَا الْبَيْضَاءُ وَالْمِغْصَمَا²
 قَامَتْ تَرَاءَى لِي عَلَى قَصْرِهَا بَيْنَ جَوَارٍ خُرَّدٍ كَالْدُمَى
 وَتَعْقِدُ الْمِرْطَ عَلَى جَسْرَةٍ مِثْلَ كَثِيبِ الرَّمْلِ أَوْ أَعْظَمَا

ومنها :

[من مخْلَع البسيط]

صوت

دَعَاكَ مِنْ شَوْكَ الدَّوَاعِي وَأَنْتَ وَضَّاحُ ذُو اتِّبَاعٍ
 دَعَتْكَ مَيَّالَةٌ لَعُوبٌ أَسِيلَةُ الْخَدِّ بِاللَّمَاعِ
 دَلَالُكَ الْحُلُوِّ وَالْمَشْهِي وَلَيْسَ سَرِيكَ بِالْمُضَاعِ
 لَا أَمْنَعُ النَّفْسَ عَنْ هَوَاها وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَى انْقِطَاعِ

ومنها :

[من الطويل]

صوت

أَلَا يَا لِقَوْمِي أَطْلِقُوا غُلَّ مَرْتَهَنٍ وَمُنُّوا عَلَى مُسْتَشْعِرِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
 تَذَكَّرْ سَلَمِي وَهِيَ نَازِحَةٌ فَحَنٍّ وَهَلْ تَنْفَعُ الذِّكْرَى إِذَا اغْتَرَبَ الْوَطَنُ
 أَلَمْ تَرَهَا صَفْرَاءَ رُودًا شَبَابُهَا أَسِيلَةَ مَجْرَى الدَّمْعِ كَالشَّادَنِ الْأَغْنِ

1 الخِرْق : الفتى الحسن الكريم الخليفة .

2 السُّنَّة : الوجه ، وقيل الجبهة والجبينان .

وَأَبْصَرْتُ سَلْمَى بَيْنَ بُرْدَيِ مَرَاكِجٍ وَأَبْرَادَ عَصَبٍ مِنْ مُهْلَهْلَةِ الْيَمَنِ¹
فَقُلْتُ لَهَا لَا تَرْتَقِي السُّطْحَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ ذِي لِمَةٍ حَسَنُ

الغناء لابن سُرَيْج ، وله في هذا الشعر لحنان : ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو ، وَرَمَلُ
بِالسَّبَّابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وَأَوَّلُ الرَّمْلِ قَوْلُهُ : [مِنَ الطَّوِيلِ]

أَلَا يَا لِقَوْمِي أَطْلُقُوا غِلًّا مَرْتَهَنَ

وَأَوَّلُ الثَّقِيلِ الْأَوَّلُ : «تَذَكَّرَ سَلْمَى» . وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ هَزَجٌ يَمْنَى بِالْبَنْصَرِ .

[مِنَ الطَّوِيلِ] ومنها :

صوت

أَغْدَوْتُ أُمًّا فِي الرَّائِحِينَ تَرَوْحُ أَمْ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِ الْحَسَانِ صَحِيحُ
إِذْ قَالَتْ الْحَسَنَاءُ مَا لَصَدِيقِنَا رَثَّ الثِّيَابَ وَإِنَّهُ لَمَلِيحُ
لَا تَسْأَلِنَّ عَنْ الثِّيَابِ فَإِنِّي يَوْمَ الْلِقَاءِ عَلَى الْكُمَاةِ مُشِيحُ
أَرْمِي وَأَطْعَنَ ثُمَّ أُتْبِعَ ضَرْبَةً تَدْعُ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ تَنُوحُ

صوت

من المائة المختارة

[مِنَ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ]

يَا صَاحِبَ إِنِّي قَدْ حَجَجْتُ وَزُرْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ
وَأَتَيْتُ لُدًّا عَامِدًا فِي عِيدِ مَرْيَا سَرْجَسٍ²
فَرَأَيْتُ فِيهِ نِسْوَةً مِثْلَ الظُّبَاءِ الْكُنَّسِ

الشعر والغناء للمُعَلَّى بْنِ طَرِيفٍ مَوْلَى الْمَهْدِيِّ . وَلَحْنُهُ الْمُخْتَارُ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ .
وَكَانَ الْمُعَلَّى بْنُ طَرِيفٍ وَأَخُوهُ لَيْثُ مَمْلُوكَيْنِ مَوْلَدَيْنِ مِنْ مَوْلَدِي الْكُوفَةِ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِهَا ،
فَاشْتَرَاهُمَا عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ وَأَهْدَاهُمَا إِلَى الْمَنْصُورِ ، فَوَهَبَهُمَا الْمَنْصُورُ لِلْمَهْدِيِّ فَأَعْتَقَهُمَا .
وَنَهَرَ الْمُعَلَّى وَرَبِضُ الْمُعَلَّى بِبَغْدَادَ مَنْسُوبٌ إِلَى الْمُعَلَّى هَكَذَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ خُرْدَادْزِبَةَ ، وَكَانَ
ضَارِبًا مُحْسِنًا طَيِّبَ الصَّوْتِ حَسَنَ الْأَدَاءِ صَالِحَ الصَّنْعَةِ ، أَخَذَ الْغَنَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِ جَامِعٍ

1 المراحل : ضرب من برود اليمن عليها تصاوير .

2 لُدٌ : هي مدينة الله بفلسطين .

وحَكَمَ الوادي . ووَلَّى أخوه لَيْثَ السُّنْدِ ، ووَلَّى هو الطَّرَازُ¹ والبريدَ بخراسان ، وقاتل يوسف البرم فهزمه ، ثم وَلَّى الأهوازَ بعد ذلك . فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أخاه اللَّيْثَ ويهجو عليَّ بنَ صالح صاحبَ المصَلَّى :

يا عليَّ بنَ صالحَ ذا المصَلَّى أنتَ تَفْدي لَيْثاً وتَفْدي المعلَّى
سَدَّ لَيْثٌ ثَغْراً ووَلَّىتَ فاختتَدَّ ستَ فبئسَ المولى وبئسَ المولَّى

وعليَّ بنَ سليمان هذا الذي أهدى المعلَّى وأخاه إلى المهديّ هو الذي يقول فيه أبو دُلّامة زُند بن الجَوْن الأسديّ ؛ وكان خرج مع المهديّ إلى الصيد ، فرمى المهديّ وعليَّ بنَ سليمان ظبيّاً سنحَ لهما ، وقد أرسلت عليه الكلاب ، بسهمين ، فأصاب المهديّ الظبيّ وأصاب عليَّ بنَ سليمان الكلبَ فقتلاه . فقال أبو دُلّامة :
[من مجزوء الرمل]

قد رمى المهديّ ظبيّاً شكَّ بالسهم فوادةً
وعليُّ بنُ سُليمان نِ رَمَى كَلْباً فصاده
فهنيئاً لهما كـ لَ امرئٍ يأكل زادةً

حدّثنا بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن مصعب ، وعن أحمد بن سعيد عن الزُّبَيْر بن بَكَّار عن عمّه .

صوت

من المائة المختارة

[من الوافر]

أَلَا طَرَدَ الهوى عني رُقادي فحسبي ما لَقِيتُ من السُّهادِ
لعبدةَ إنَّ عبدةَ تَيْمَنِي وحلّت من فَوادي في السَّوادِ

الشعر لبشار . والغناء المختار في هذين البيتين هزجٌ خفيف بالبنصر ، ذكر يحيى بن عليّ أنّه يمنيّ ، وذكر الهشاميّ أنّه لسُليم .

1 الطراز : يريد ديوان الطراز وهو الذي تُنسج فيه الثياب .

[91] - أخبار بشار وعَبْدَة خاصة

إذ كانت أخباره سوى هذه تقدّمت¹

[حبه لعبدة وشعره فيها]

يُحَدِّثُنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ هَكَذَا قَالَ ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ عَمِّي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَسْرُورٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَانَ لِبَشَّارٍ مَجْلِسٌ يَجْلِسُ فِيهِ يُقَالُ لَهُ الْبَرْدَانُ . فَبَيْنَا هُوَ فِي مَجْلِسِهِ ذَاتَ يَوْمٍ وَكَانَ النِّسَاءُ يَحْضُرْنَ ، إِذْ سَمِعَ كَلَامَ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا عَبْدَةُ فِي الْمَجْلِسِ ، فَدَعَا غُلَامَهُ فَقَالَ : إِنِّي قَدْ عُلِّقْتُ امْرَأَةً ، فَإِذَا تَكَلَّمْتُ فَانْظُرْ مَنْ هِيَ وَاعْرِفْهَا ، فَإِذَا انْقَضَى الْمَجْلِسُ وَانْصَرَفَ أَهْلُهُ فَاتَّبَعَهَا وَكَلَّمَهَا وَأَعْلَمَهَا أَنِّي لَهَا مُحِبٌّ وَأَنْشَدَهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَعَرَّفَهَا أَنِّي قُلْتُهَا فِيهَا :

[من البسيط]

صوت

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم
ما كنتُ أوَّلَ مشغوفٍ بجارية
والأذن كالعين تُوفي القلبَ ما كانا
يلقى بلقيانها روحاً وريحاناً
ويروى : هل من دواء لمشغوف بجارية .

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحياناً
غنى إبراهيم في هذه الأبيات ثانيَ ثقلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البصر ، عن إسحاق .
وفيهما لسياطٍ ثقلٍ أوَّلَ بالوسطى ، عن عمرو . وفيها لإسحاق هَزَجٌ من جامع أغانيه ، قال :
فأبلغها الغلامُ الأبياتَ ، فهشَّتْ لها ، وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها فيأكلن عنده ويشربن
وينصرفن بعد أن يحدثنها ويُشدها ولا تُطمعه في نفسها . قال : وقال فيها : [من البسيط]

قالت عُقَيْلُ بْنُ كَعْبٍ إِذْ تَعَلَّقَهَا
أَتَى وَلَمْ تَرَهَا تَهْذِي ؟ فَقُلْتُ لَهُمْ
قلبي فأضحى به من حبِّها أثرٌ²
إنَّ الفؤادَ يرى ما لا يرى البصرُ³

1 تقدّمت أخباره في الجزء الثالث ، ص 94 من هذا الكتاب .

2 عقيل بن كعب : قبيلة كبيرة كان ولاء بشار بن برد لها .

3 تهذي في الديوان : تصبو 3 : 159 .

أصبحتُ كالحائِسم الحَرَانَ مُجْتَنِباً¹ لم يَقْضِ وَرْداً ولا يُرْجى له صَدْرُ¹
 قال : وقال فيها أيضاً وهو من جَيِّد ما قال فيها :
 [من الطويل]
 يُزْهَدُنِي فِي حَبِّ عَبْدَةِ مَعْشَرٍ قُلُوبُهُمْ فِيهَا مُخَالَفَةٌ قَلْبِي
 فَقُلْتُ دَعُوا قَلْبِي وَمَا اخْتَارَ وَارْتَضَى فَبِالْقَلْبِ لَا بِالْعَيْنِ يُصِيرَ ذُو الْحَبِّ²
 فَمَا تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهَوَى وَلَا تَسْمَعُ الْأَذْنَانُ إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ³
 وَمَا الْحُسْنُ إِلَّا كُلَّ حُسْنٍ دَعَا الصَّبَا وَأَلْفَ بَيْنِ الْعَشَقِ وَالْعَاشِقِ الصَّبَّ
 قال : وقال فيها :

يَا قَلْبُ مَا لِي أَرَاكَ لَا تَقْرُ إِيَّاكَ أَعْنِي وَعِنْدَكَ الْخَبْرُ
 أَضِغْتَ بَيْنَ الْأَلَى مَضَوًا حُرْفًا أَمْ ضَاعَ مَا اسْتَدْعُوكَ إِذْ بَكَرُوا ؟
 فَقَالَ بَعْضُ الْحَدِيثِ يَشْغَفُنِي وَالْقَلْبُ رَأَى مَا لَا يَرَى الْبَصْرُ

[عابه الحسن البصري وهتف به فهجاه]

وأخبرني بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قال حدثنا الحسن بن غليل العنزي قال حدثنا خالد بن يزيد بن وهب عن جرير عن أبيه بمثل هذه القصة ، وزاد فيها : أن عبدة جاءت إليه في نسوة خمس قد مات لإحدهن قريب فسألته أن يقول شعراً يُنَحِّنُ عليه به ، فوافيته وقد احتجم وكان له مجلسان : مجلس يجلس فيه غُدوةً يسميه «البردان» ومجلس يجلس فيه عشيةً يسميه «الرقيق» وهو جالس في البردان وقد قال لغلامه : أمسيك علي بابي واطبخ لي وهبيء طعامي وطيبه وصف⁴ نبيذي . قال : فإنه لكذلك إذا قرع الباب عليه قرعاً عنيفاً ؛ فقال : وَيَحْكُ يَا غلام ! انظر من يدق الباب دقَّ الشَّرْطِ ؛ فنظر الغلام وجاءه فقال : خمس نسوة بالباب يسألك أن تقول شعراً يُنَحِّنُ فيه ؛ فقال : أدخلهن . فلما دخلن نظرن إلى النبيذ مُصَفَّى في قَنَائِيهِ ؛ [في جانب بيته] فقالت إحدهن : خمر ؛ [وقالت الأخرى : زبيب] ؛ وقالت الأخرى : معسل . فقال : لستُ بقاتل لكنَّ حرفاً أو تَطْعَمَنَ من طعامي وتشربن من شرابي . فتماسكن ساعةً ، وقالت إحدهن : فما عليكنَّ من ذلك ! هذا أعمى ، كُلْنَ من طعامه واشربن من شرابه وخُذْنَ شعره ، ففعلن . وبلغ ذلك الحسن البصري فغابه وهتف به . فبلغ ذلك بشاراً ، وكان الحسن يُلقَّبُ الْقَسَّ ، فقال فيه بشار : [من مجزوء الكامل]

1 مجتنباً في الديوان : محتسباً 3 : 159 .

2 ذو الحب في الديوان : ذو اللب 4 : 12 .

3 تبصر في ل : تنظر .

4 في ل : وصب .

لَمَّا طَلَعْنَ مِنَ الرَّقِيذِ سَقَى عَلِيٌّ بِالْبَرْدَانِ خَمْسًا
وَكَاثَنَهُنَّ أَهْلًا تَحْتَ الثِّيَابِ زَفَقْنَ شَمْسًا
بَاكَرْنَ طَيْبَ لَطِيمَةٍ وَغَمِسْنَ فِي الْجَادِي غَمْسًا
فَسَأَلَنِي مَنْ فِي الْبُيُوتِ تَفَقَّلْتُ مَا يَحْوِينَ إِنْسًا
لَيْتَ الْعَيُونَ النَّاظِرَا تِطْمِسْنَ عَنَّا الْيَوْمَ طَمْسًا
فَأَصْبَنَ مِنْ طَرْفِ الْحَدِيدِ ثَلَاثَ لَذَاذَةٍ وَخَرَجْنَ مُلْسًا
لَوْلَا تَعَرُّضُهُنَّ لِي يَا قَسُّ كُنْتُ كَأَنَّ قَسًّا

[لأمة مالك بن دينار على تناوله أعراض الناس]

أخبرني الأسدي ويحيى بن علي بن يحيى ومحمد بن عمران الصيرفي قالوا حدثنا العنزي قال حدثنا علي بن محمد عن جعفر بن محمد النوفلي قال : أتيت بشاراً ذات يوم ، فقال لي : ما شعرت منذ أيام إلا بقارح يقرع بابي مع الصبح ؛ فقلت : يا جارية ، انظري من هذا ؛ فقالت : ما لك بن دينار ؛ فقلت : ما لي ولمالك بن دينار ! ما هو من أشكالي ! ائذني له . فدخل فقال لي : يا أبا معاذ ، أتشتُم أعراضَ الناس وتشبَّب بنسائهم ! فلم يكن عندي إلا دفعه عن نفسي بأن قلت : لا أعاود ؛ فخرج من عندي . وقلت في إثره : [من المتقارب]

غدا مالِكٌ بمَلَاماته عليٌّ وما باتَ مِن بَالِيَةٍ
[على حبٍّ خُودٍ مقيم الحشا من الحورِ محطوطةٍ عاليَةٍ]
فقلتُ دَعِ اللُّومَ فِي حُبِّهَا فقبلَكَ أَعْيَتْ غُدَالِيَةٍ
وإني لأُكْمِهم سِرَّهَا غداةٌ تقولُ لها الجَالِيَةِ
أعبدُ ما لكِ مَسْلُوبَةٍ وكنْتَ مُقَرَّطَةً حَالِيَةٍ¹
فقلتُ على رِقْبَةٍ : إنني رهنْتُ المرعَثَ خَلْخالِيَةٍ
بمجلسٍ يومٍ سأوفي به وإن أنكرَ الناسُ أحوَالِيَةٍ

[أرسلت له عبدة السلام مع امرأة فردَّ عليها شعر فيها]

أخبرني وكيع قال حدثني عمرو بن محمد بن عبد الملك قال حدثني الحسن بن جمهور قال حدثني هشام بن الأحنف ، راوية بشار ، قال : إنني لعند بشار ذات يوم إذ أتته امرأة فقالت : يا أبا معاذ ، عبدة تُقرئك السلام وتقول لك : قد اشتدَّ شوقنا إليك ولم نرك منذ

1 مَقَرَّطَةٌ : لابسَةُ القُرْطُقِ وهو القَبَاء .

أيام ؛ فقال : عن غير مَـثْلِيَّةِ واللّٰه كان ذاك . ثم قال لراويته : يا هشام ، خذ الرقعة واكتب فيها ما أقولُ لك ثم ادفعه للرسول . قال هشام : فأملِ عليّ : [من الخفيف]

عبدَ إني إليك بالأشواقِ لتلاق وكيف لي بالتلاقي
أنا واللّٰه أشتهي سحرَ عينيّ لك وأخشى مصارعَ العشاقِ
وأهاب الحرسيّ مُحْتَسِبَ الجُنْدِ سدَّ يَلْفَ البريء بالفُسّاقِ¹
ومّا يغنى فيه من شعر بشار في عبدَة قوله : [من الطويل]

صوت

لعبدة دار ما تكلمنا الدار تلوح مغانيها كما لاح أسطارُ
أسائل أحجاراً ونوياً مُهْدَماً وكيف يُجيب القولَ نوًى وأحجارُ
وما كلمتني دارها إذ سألتها وفي كبدي كالنَّفْطِ شُبَّتْ به النارُ
وعند مغاني دارها لو تكلمت ليكتب بادي الصَّباية أخبارُ
الغناء لإبراهيم ثاني ثَقِيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثَقِيلٌ أول
عن الهشامي . ومن هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

تحمل جيرانني فعيني لبينهم تفيض بتهتانٍ إذا لاحتِ الدارُ
بكِتُ على مَنْ كنتُ أخطى بقربه وحقّ الذي حاذرتُ بالأمس إذ ساروا²
الغناء ليحيى المكيّ ثَقِيلٌ أولُ بالبنصر .
ومن الأغاني في شعره في عبدَة :

صوت

مَسْنِي من صدود عبدَة ضُرُّ فبناتُ الفؤادِ ما تستقرُّ
ذاك شيء في القلب من حبّ عب دةً بادٍ وباطنٌ يَسْتَسِرُّ
الغناء لإبراهيم ثاني ثَقِيلٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإسحاق رَمَلٌ
بالبنصر عن عمرو . وفيه لحكم ثَقِيلٌ أولُ بالوسطى من جامع غنائه في كتاب إبراهيم . وفيه
لفريدة خفيف ثَقِيلٍ عن إسحاق . وفيه ليحيى المكيّ ثَقِيلٌ أولُ من كتابه . وفيه لحسين بن
مُحرز رَمَلٌ عن الهشامي .

1 الحرسى : واحد حرس السلطان وسكن للضرورة .

2 ساروا : في الديوان صاروا ، ص 448 (طبعة دار صادر) .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد إني قد ظلمتُ وإنّي مُبْدِ مَقَالَةَ رَاغِبٍ أَوْ رَاهِبٍ
وَأَتُوبُ مِمَّا تَكْرَهِينَ لِتَقْبَلِي وَاللَّهُ يَقْبَلُ حُسْنَ فَعْلٍ التَّائِبِ
الغناء لحكم خفيفٌ ثقيلٌ عن إسحاق . وفيه ليحيى المكيّ ثقيلٌ أَوَّلُ من كتابه . وفيه
لحسين بن مُحَرِّز رمل عن الهشاميّ .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد حُبُّكَ شَفَّنِي شَفًّا وَالْحُبُّ دَاءٌ يُورِثُ الْحَتْفَا
وَالْحُبُّ يُخْفِيهِ الْحَبَّ ، لَكِي لَا يُسْتَرَابُ بِهِ ، وَمَا يَخْفَى
الغناء لِسَيَّاط خفيفٌ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

يا عبد بالله فَرَجِي كُرْبِي فَقَدْ بَرَانِي وَشَفَّنِي نَصْبِي
وَضِيقْتُ ذُرْعًا بِمَا كَلِفْتُ بِهِ مِنْ حُبِّكَم وَالْحُبُّ فِي تَعَبِ
فَفَرَجِي كُرْبَةً شَجِيتُ بِهَا وَحَرَّ حُزْنٍ فِي الصَّدْرِ كَاللَّهَبِ
وَلَا تَظَنِّي مَا أَشْتَكِي لَعِبًا هِيَهَاتَ قَدْ جَلَّ ذَا عَنِ اللَّعِبِ
غَنَاهُ سَيَّاطٌ ثَقِيلًا أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو .

ومنها : [من السريع]

صوت

يا عبد زوريني تَكُنْ مِنَّةً اللَّهُ عِنْدِي يَوْمَ أُلْقَاكَ
وَاللَّهُ ثُمَّ اللَّهُ فَاسْتَيْقَنِي إِنِّي لِأَرْجُوكَ وَأَخْشَاكَ
يا عبد إِنِّي هَالِكٌ مُدْنَفٌ إِنْ لَمْ أَذُقْ بَرْدَ ثَنَائِكَ
فَلَا تَرُدِّي عَاشِقًا مُدْنَفًا يَرْضَى بِهَذَا الْقَدَرِ مِنْ ذَاكَ
الغناء لحكم هَزَجٌ خفيفٌ بالسَّبَّابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد قد طال المطالُ فأنعمي واشفي فؤادَ فتى يهيم مُتيم
الغناء ليزيدِ حوراءَ غيرُ مجنَّسٍ عن إبراهيم .
ومنها :

[من المنسرح]

صوت

يا عبد هلِّ للقاءِ مِنْ سَبَبٍ أولاً فادعوا بالويلِ والحَرْبِ
الغناء ليزيدِ حوراءَ غيرُ مجنَّسٍ .
ومنها :

[من الكامل]

صوت

يا عبد هلِّ لي منكمُ مِنْ عَائِدٍ أَمْ هلْ لديكِ صلاحُ قلبِ فاسِدٍ
الغناء لابنِ عَبَّادٍ عن إبراهيم غيرُ مجنَّسٍ .
ومنها :

[من مجزوء الكامل]

صوت

يا عبد حيِّي عن قريبٍ وتأملي عينَ الرقيبِ
وارعِي ودادي غائباً فلقد رَعَيْتُكَ في المَغِيبِ
أشكو إليكُ وإنما يشكو المُحِبُّ إلى الحبيبِ
غَرَضِي إليك من الهوى غَرَضُ المريضِ إلى الطبيبِ
الغناء لحكمٍ مطلقٍ في مجرى البنصر .
ومنها :

[من السريع]

صوت

يا عبد باللهِ ارحمي عَبْدَكَ وَعَلَّيْهِ بِمُنَى وَعَدِكَ
يُصبحُ مكروباً ويُمسي به وليس يَدْرِي ما له عندك
ماذا تقولين لربِّ العُلا إذا تخَلَّيتِ به وحدكِ
الغناء لإبراهيمَ ثاني ثَقِيلٍ بالبنصر عن عمرو . وفيه لإسحاق هَزَجٌ من جامع أغانيه . وفيه
ليزيدِ حوراءَ لحنٌ ذَكَرَهُ إبراهيم ولم يجنَّسه . وذكر حَبَشٌ أَنَّ الثَّقِيلَ الثاني لِسَيَّاطٍ .
ومنها :

[من المجتث]

صوت

يا عَبْدَ جَلِّي كروبي وَأَسْعِفِي وَأُثْيِي¹
فقد تطاول همِّي وزفرتي ونحييي
الغناء لابن سكرة عن إبراهيم ولم يجنسه .

ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا عبد أنت ذخيرتي نفسي فدلتك وجيرتي
الله يعلم فيكمُ يا عبد حسن سريرتي
نفسى لنفسك خلّة² وكذلك أنت أميرتي²
الغناء لحكم الوادي خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو .

ومنها : [من السريع]

صوت

يا عبد حُبِّي لك مستور وكل حبّ غيره زور
إن كان هجري سركم فاهجروا إني بما سرك مسرور
الغناء لحكم هزج³ بالوسطى عن ابن المكي .

ومنها : [من الرمل]

صوت

لم يَطلُ لَيْلي ولكن لم أنم ونفَى عني الكرى طيفاً أَلَمَّ
وإذا قلتُ لها جُودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم
رَفْهي يا عَبْدَ عني واعلمي أنني يا عبد من لحم ودم
إن في بُردِي جسمًا ناحلاً لو تَوَكَّأتِ عليه لأنهدم
ختم الحبِّ لها في عُنقي موضع الخاتم من أهل الذم

الغناء لحكم هزج بالسبابة والوسطى عن ابن المكي . وذكره إسحاق في هذه الطريقة فلم ينسبه إلى أحد . وفيه لعنت الأسد خفيف رمل في الأول والخامس . وكان بشار ينكر هذا

1 وأثيي في الديوان : وأثيي ، ص 437 ، طبعة دار صادر .

2 خلّة : خلية .

3 في ل : خفيف رمل .

البيت الأخير وهو :

[من الرمل]

ختم الحب لها في عنقي

[أنشده رجل بيتاً له فأنكره]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثني أبو حاتم السَّجِسْتاني قال حدثني مَنْ أنشد بشاراً قوله :

[من الرمل]

لم يطل ليلى ولكن لم أتم

حتى بلغ إلى قوله :

[من الرمل]

ختم الحب لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذم

فقال بشار : عَمَنْ أَخَذْتَ هذا ؟ قلتُ : عَنْ رَاوِيكَ فلان ؛ فقال : قَبَّحَهُ اللهُ ؛ والله ما قلتُ هذا البيتَ قطُّ ، أَمَا تَرَى إِلَى أَثَرِهِ فِيهِ ؟ مَا أَقْبَحَهُ وَأَشَدَّ تَمِيزَهُ عَنْ مَذْهَبِي ! فقال له بعضُ من حضر : نَعَمْ ، هُوَ الْحَقُّه بِالْأَبْيَاتِ .

[من الخفيف]

ومنها :

صوت

عَبْدُ إِنِّي قَدْ اعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي وَاعْرِكِي خَطَايَا بَجَنْبِ¹
عَبْدٌ لَا صَبْرَ لِي وَلَسْتُ فَمَهْلًا فَأَتْلُو قَدْ عَتَبْتَ فِي غَيْرِ عَتَبِ
وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ أَنْصَبْنِي الْحَبَّ بُّ فَأَبْلَى جِسْمِي وَعَذَّبَ قَلْبِي
رَبُّ لَا صَبْرَ لِي عَلَى الْهَجْرِ حَسْبِي فَأَقْلَنْتِي حَسْبِي لَكَ الْحَمْدُ حَسْبِي

الغناء لِسَيَاطِ خَفِيفُ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وفيه لِسُلَيْمِ هَزَجٌ مِنْ كِتَابِ ابْنِ الْمَكِّي .

[من مجزوء الرمل]

ومنها :

صوت

عَبْدُ مُنِّي وَأُنْعِمِي قَدْ مَلَكَتُمْ قِيَادِيَه
شَابَ رَأْسِي وَلَمْ تَشَبْ وَأَبْلَائِي لِذَاتِيَه

الغناء لِسَيَاطِ خَفِيفُ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وفيه لَعَرِيبُ هَزَج .

[من الخفيف]

ومنها :

1 واعركي في ل : واعدي .

صوت

عبد يا هَمَّتِي عَلَيْكَ السَّلَامُ فِيمَ يُجَفِّي حَبِيْبُكَ الْمُسْتَهَامُ¹
 نَزَلَ الْحَبَّ مَنْزِلًا فِي فَوَّادِي وَلَهُ فِيهِ مَجْلِسٌ وَمَقَامٌ
 الْغَنَاءُ لِأَبِي زَكَارٍ خَفِيفٌ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَفِيهِ لَعَرِيبٌ هَزَجٌ² .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

عبد يا قُرَّةَ عَيْنِي أَنْصَفِي ، رُوحِي فَدَاكِ
 عَاشِقٌ لَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ رَ وَلَا هُمْ سَوَالِكُ
 الْغَنَاءُ لَعَرِيبٌ هَزَجٌ . وَفِيهِ لَحْنٌ لِيَزِيدِ حَوْرَاءَ غَيْرِ مَجْنَسٍ .

ومنها : [من الرمل]

صوت

يَا عَبْدُ يَا جَافِيَةً قَاطَعَهُ أَمَّا رَحِمَتِ الْمُقَلَّةُ الدَّامِعَةُ
 يَا عَبْدُ خَافِي اللَّهِ فِي عَاشِقِي يَهْوَاكِ حَتَّى تَقَعَ الْوَاقِعَةُ
 الْغَنَاءُ لِأَبِي زَكَارٍ هَزَجٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو .

صوت

من المائة المختارة

[من الخفيف]

أَرْسَلْتُ أُمَّ جَعْفَرٍ لَا تَزُورُ لَيْتَ شَعْرِي بِالْغَيْبِ مَنْ ذَا دَهَاها
 أَتَاهَا مَحْرُشٌ بَنَمِيمٌ كَاذِبٌ مَا أَرَادَ إِلَّا رَدَّاهَا

عروضه من الخفيف ، الشعر للأخوص . والغناء لأُمَّ جعفر المدنية مولاة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أن فيه لحناً من الثقيل الأول بالبنصر ، فلا أعلم أهذا يعني أم غيره . وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن يحيى المكي وإسحاق . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو الهشامي .

1 الهمة : الهوى .

2 في ل : رمل .

[92] - أخبار الأحوص مع أم جعفر

[أم جعفر التي كان يشب بها الأحوص ونسبها]

وقد ذكرت أخبار الأحوص متقدماً إلا أخباره مع أم جعفر التي قال فيها هذا الشعر فإنها أخرت إلى هذا الموضع . وأم جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خَطْمَة¹ ، وهي أم جعفر بنت عبد الله بن عُرْفُطَة بن قَتَادَة بن مَعَدَّ² بن غِيَاث بن رِزَاح بن عامر بن عبد الله بن خَطْمَة بن جُشَم بن مالك بن الأوس . وله فيها أشعار كثيرة .

[تشبيب الأحوص بأم جعفر وتوعد أخيها أيمن له]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي قالاً حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم ومحمد بن يحيى الطلحي عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، وأخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني أحمد بن زهير عن مصعب ، وأخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن المحرز بن جعفر الدؤسي ، قالوا جميعاً : لما أكثر الأحوص التشبيب بأم جعفر وشاع ذكره³ فيها توعدّه⁴ أخوها أيمن وهدده فلم ينته ، فاستعدى عليه والي المدينة ، وقال الزبير في خبره : فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز ، فربطهما في حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما : تجالدا ؛ فجالدا فغلب أخوها . وقال غير الزبير في خبره : وسلح الأحوص في ثيابه وهرب وتبعه أخوها حتى فاته الأحوص هرباً . وقد كان الأحوص قال فيها : [من الطويل]

لقد منعتُ معروفها أم جعفر	وإني إلى معروفها لفقيّر
وقد أنكرتُ بعدَ اعترافٍ زيارتي	وقد وُغرتُ فيها عليّ صدورُ
أدورُ ولولا أن أرى أم جعفر	بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ
أزورُ البيوتَ اللاصقاتِ ببيتها	وقلبي إلى البيت الذي لا أزورُ
وما كنتُ زوّاراً ولكن ذا الهوى	إذا لم يُزرَ لا بُدَّ أن سيزورُ

1 لقب خطمة لأنه ضرب رجلاً على أنفه فخطمه .

2 في ل : معبد .

3 في ل : شعره .

4 في ل : أوعدّه .

أزورُ على أن لستُ أنفكُ كلُّما أتيتُ عدوًّا بالبنان يُشيرُ
فقال السائب بن عمرو ، أحد بني عمرو بن عوف ، يعارضُ الأَحوصَ في هذه الأبيات
ويعيِّره بفراره :

لقد منع المعروفَ من أمِّ جعفر أخو ثقةٍ عند الجلاد صبورُ
علاك بمتن السوطِ حتى اتَّقِيته بأصفرَ من ماء الصَّفّاقِ يفورُ¹
فقال الأَحوصُ :

إذا أنا لم أغفرَ لأَيِّمَنَ ذنبَه فَمَن ذا الذي يعفو له ذنبَه بعدي
أريد انتقامَ الذنبِ ثم تَرُدُّني يدُّ لأدانيه مباركةٌ عندي
وقال الزبير في خبره خاصّةً : وإِنما أعطاهما عمرُ بن عبد العزيز السوطيّ وأمّهما أن
يتضاريا بهما اقتداءً بعثمان بن عفان ؛ فإنه كان لما تهاجى سالم بن دارة ومرة بن واقع العُظفانيّ
الفراري لزمهما عثمان بجبل وأعطاهما سوطيّ فتجالدا بهما .

وقال عمر بن شُبّة في خبره : وقال الأَحوصُ فيها أيضاً ، وقد أنشدني علي بن سليمان
الأخفش هذه الأبيات وزاد فيها على رواية عمر بن شُبّة بيتين فأضفتها إليهما : [من الطويل]

وإنِّي ليدعوني هوى أمِّ جعفر وجاراتها من ساعةٍ فأجيبُ
وإنِّي لآتي البيتَ ما إن أحبه وأكثرَ هجرَ البيتِ وهو حبيبُ
وأغضي على أشياء منكم تسوءني وأدعى إلى ما سرّكم فأجيبُ
هَيِّني امرأ إمّا برعاً ظلمته وإمّا مُسيئاً مذنباً فيتوبُ
فلا تتركي نفسي شعاعاً فإنّها من الحزن قد كادت عليك تذوبُ
لك الله إنِّي واصلٌ ما وصلَني ومُثَنِّ بما أوليتني ومُثِيبُ
وآخُذْ ما أعطيتَ عفواً وإنِّي لأزورُ عمّا تكرهين هَيَّوبُ

هكذا ذكره الأخفش في هذه الأبيات الأخيرة ، وهي مروية للمجنون في عدّة روايات ؛
وهي بشعره أشبه . وفي هذه الأشعار التي مضت أغاني نسبتها : [من الطويل]

صوت

أدورُ ولولا أن أرى أمَّ جعفر بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ

1 الصَّفّاق : جمع صَفَق وهو الأديم الجديد الذي يصب عليه الماء فيخرج منه ماء أصفر يسمى صَفَق .

أَدُورُ عَلَى أَنْ لَسْتُ أَنْفَكَ كَلَّمَا أَتَيْتُ عَدُوًّا بِالْبَنَانِ يُشِيرُ
الغناء لمُعَبَّد ، وله فيه لحنان : ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّيَّابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقٍ وَخَفِيفٌ
ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو وَلِإِسْحَاقَ فِيهِمَا وَفِي قَوْلِهِ : [من الطويل]

أَزُورُ الْبُيُوتَ اللَّاصِقَاتِ بَيْتِهَا

[من الطويل]

وبعده :

أَدُورُ وَلَوْلَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ

لَحْنٌ مِنَ الرَّمْلِ . وَفِي الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ فِيهِمَا غَنَاءٌ مُعَبَّد ، لِلْغَرِيضِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ عَنْ الْهَشَامِيِّ ،
وَلِإِبْرَاهِيمَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وَفِيهِ لَحْنٌ لَشَارِيَّةٍ عَنْ ابْنِ الْمُعْتَزِّ وَلَمْ يَذْكُرْ طَرِيقَتَهُ .
ومنها : [من الطويل]

صوت

إِذَا أَنَا لَمْ أَغْفِرْ لِأَيِّمَنْ ذَنْبَهُ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْفُو لَهُ ذَنْبَهُ بَعْدِي
أُرِيدُ مَكَافَأَةً لَهُ وَتَصُدَّنِي يَدٌ لِأَدَانِيهِ مَبَارَكَةٌ عِنْدِي
الغناء لمُعَبَّد ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ يَحْيَى الْمَكِّيِّ ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّهُ مِنْ مَنْحُولٍ يَحْيَى إِلَى
مُعَبَّد . وَفِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ يَنْسَبُ إِلَى عَرِيبٍ وَرَوْنَقٍ .
ومنها وهو : [من الطويل]

صوت

من المائة المختارة

وَأَنِّي لَأَتِي الْبَيْتَ مَا إِنْ أَحْبَبُهُ	وَأَكْثَرَ هَجَرَ الْبَيْتِ وَهُوَ حَبِيبُ
وَأَغْضِي عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْكُمْ تَسُوءُنِي	وَأَدْعِي إِلَى مَا سَرَّكُمْ فَأُجِيبُ
وَمَا زِلْتُ مِنْ ذِكْرِكِ حَتَّى كَأَنَّني	أُمِيمٌ بِأَفْيَاءِ الدِّيَارِ سَلِيبُ ¹
أُبْثُكُ مَا أَلْقَى وَفِي النَّفْسِ حَاجَةٌ	لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبُ
لَكَ اللَّهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي	وَمُثْنٍ بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُثِيبُ
وَأَخُذُ مَا أُعْطِيتَ عَفْوَاً وَإِنِّي	لَأَزُورُ عَمَّا تَكْرَهُينَ هَيُوبُ
فَلَا تَتْرَكِي نَفْسِي شَعَاعاً فَإِنَّهَا	مِنَ الْحَزَنِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكَ تَذُوبُ

1 أُمِيمٌ : فِي ل : لَهِيم . سَلِيبٌ : مُسْتَلَبُ الْعَقْلِ .

الشعر للأحوص . ومن الناس مَنْ ينسب البيت الخامسَ وما بعده إلى المجنون . والغناء في اللحن المختار لدَحْمَان . وهو ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلُوقٌ في مجرى البنصر . وذكر الهشاميُّ أَنَّ في الأبيات الأربعة لابن سُرَيْجٍ لحناً من الثَقِيلِ الأَوَّلِ ، فلا أعلمُ الحنَّ دَحْمَانُ عَنَى أُمَ ثَقِيلًا آخِرَ . وفي :

لَكَ اللهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي وَمُثْنٍ بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُثِيبٌ
لِإِسْحَاقَ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وفيها لإبراهيم خفيفٌ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى .

[لَمَّا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ أُمِّ جَعْفَرٍ عَرَضْتُ لَهُ فِي أَمْرِ فَحْلَفَ أَمَامَ النَّاسِ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُهَا]

أَخْبَرَنِي الْحُرْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنٍ ؛ قَالَ الزُّبَيْرُ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّهْرِيُّ عَنْ مُحَرِّزٍ : أَنَّ أُمَّ جَعْفَرٍ لَمَّا أَكْثَرَ الْأَحْوَصُ فِي ذِكْرِهَا جَاءَتْ مُنْتَقِبَةً ، فَوَقَفَتْ عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِ قَوْمِهِ وَلَا يَعْرِفُهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً عَفِيفَةً ؛ فَقَالَتْ لَهُ : اقْضِ ثَمَنَ الْغَنَمِ الَّتِي ابْتَعْتَهَا مِنِّي ؛ فَقَالَ : مَا ابْتَعْتُ مِنْكَ شَيْئًا . فَأَظْهَرَتْ كِتَابًا قَدْ وَضَعَتْهُ عَلَيْهِ وَبَكَتْ وَشَكَتْ حَاجَةً وَضُرًّا وَفَاقَةً وَقَالَتْ : يَا قَوْمَ ، كَلِّمُوهُ . فَلَامَهُ قَوْمُهُ وَقَالُوا : اقْضِ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا ؛ فَجَعَلَ يَخْلِفُ أَنَّهُ مَا رَأَاهَا قَطُّ وَلَا يَعْرِفُهَا . فَكَشَفَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ : وَيْحَكَ ! أَمَا تَعْرِفُنِي ؟ فَجَعَلَ يَخْلِفُ مُعْجَبَةً أَنَّهُ مَا يَعْرِفُهَا وَلَا رَأَاهَا قَطُّ . حَتَّى إِذَا اسْتَفَاضَ قَوْلُهَا وَقَوْلُهُ واجتمع الناسُ وَكثُرُوا وَسَمِعُوا مَا دَارَ وَكَثُرَ لَفْظُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ ، قَامَتْ ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْكُتُوا . ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ؛ صَدَقْتَ ، وَاللَّهِ مَا لِي عَلَيْكَ حَقٌّ وَلَا تَعْرِفُنِي ، وَقَدْ حَلَفْتَ عَلَى ذَلِكَ وَأَنْتَ صَادِقٌ ، وَأَنَا أُمُّ جَعْفَرٍ وَأَنْتَ تَقُولُ : قُلْتَ لِأُمِّ جَعْفَرٍ وَقَالَتْ لِي أُمُّ جَعْفَرٍ فِي شَعْرِكَ ! فَخَجِلَ الْأَحْوَصُ وَانْكَسَرَ عَنْ ذَلِكَ وَبَرِئَتْ عَنْهُمْ .

[سَمِعْتُ أَبَا السَّائِبِ الْمَخْزُومِيَّ شَعْرًا لَهُ فَطَرَبَ]

أَخْبَرَنِي الْحُرْمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ثَعْلَبُ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : أَنْشَدْتُ أَبَا السَّائِبِ الْمَخْزُومِيَّ قَوْلَ الْأَحْوَصِ :

لَقَدْ مَنَعْتُ مَعْرُوفَهَا أُمُّ جَعْفَرٍ وَإِنِّي إِلَى مَعْرُوفِهَا لَفَقِيرُ

فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

أَزُورُ عَلَى أَنَّ لَسْتُ أَنْفَكَ كَلِّمَا أَتَيْتُ عَدُوًّا بِالْبَنَانِ يُشِيرُ

أَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَطَرِبَ وَقَالَ : أَتَدْرِي يَا ابْنَ أَخِي كَيْفَ كَانُوا يَقُولُونَ ! السَّاعَةَ دَخَلَ ، السَّاعَةَ خَرَجَ ، السَّاعَةَ مَرَّ ، السَّاعَةَ رَجَعَ ، وَجَعَلَ يُؤْمِئُ بِإِبْهَامِيهِ إِلَى وَرَاءِ مَنْكَبِيهِ وَبِسَبَابَتِهِ إِلَى حِيَالِ وَجْهِهِ وَيَقْلِبُهَا ، يَحْكِي ذَهَابَهُ وَرَجُوعَهُ .

صوت من المائة المختارة

[من مجزوء الخفيف]

صاح قد لُمتَ ظالماً فانظرِ أن كنتَ لائماً
هل ترى مثلَ ظبيّةٍ قلدوها التماثما

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء في اللحن المختار لمالكٍ خفيفٌ ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وأخبرني ذُكَاء وجه الرزة أن فيه لِعَرِيبَ رملًا بالبنصر ، وهو الذي فيه سَجْحَة . وفيه لابن المكيّ خفيفٌ ثقيلٌ آخرٌ بالوسطى . وزعم الهشامي أن فيه خفيفَ رمل بالوسطى لابن سُرَيْج ، وقد سمعها مَن يغنيهِ . وذكر حَبَش أن فيه رملًا آخر للغريص . ولعاتكة بنت شُهْدَة فيه خفيفٌ ثقيلٌ ، وهو من جيّد صنعتها ، وذكر جَحْظَة عن أصحابه أن لحنها الرمل وهو اللحن المختار ، وأن إسحاق كان يقدّمها ويستجيده ، ويزعم أنه أخذها عنها . وقال ابن المعتز : حدّثني أبو عبد الله الهشامي : أن عَرِيب صنعتُ فيه لحنها الرمل بعد أن أفضت الخلافة إلى المعتصم ، فأعجبه وأمرها أن تطرحه على جواريه ، ولم أسمع بشراً قط غناه أحسن من خِشْف الواضحية .

وكل أخبار هؤلاء المغنّين قد ذُكِرت ، أو لها موضع تُذكر فيه ، إلا عاتكة بنت شُهْدَة فإن أخبارها تذكرها هنا ؛ لأنه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكره غير هذا . وقد ذكر جَحْظَة عن أصحابه أن لحنها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوةً غيرها .

[93] - [عاتكة بنت شهدة]

[عاتكة بنت شهدة وشيء من أخبارها]

كانت عاتكة بنت شهدة مدنية . وأمها شهدة جارية الوليد بن يزيد ، وهو الصحيح .
وكانت شهدة مغنية أيضاً .

[غنى ابن داود الرشيد صوتاً لأُمها فطرب]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا العلاء¹ قال حدّثني عليّ بن محمد النُّوفليّ قال حدّثني عبد الله بن العباس الرُّبيعيّ عن بعض المغنّين قال : كنّا ليلةً عند الرشيد ومعنا ابنُ جامع والموصليّ وغيرُهما ، وعنده في تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن عليّ ؛ فتغنّى المغنّون ، ثم اندفع محمد بن داود فغنّاه بين أضعافهم :

صوت

أمّ الوليد سلّبتني حلّمي	وقتلتنني فتخوّفي إثمي
بالله يا أمّ الوليد أما	تخشين في عواقب الظلم
وتركتني أبغي الطبيب وما	لطبيينا بالداء من علم
خافي إهلك في ابن عمك قد	زودته سُقماً على سُقم

قال : فاستحسن الرشيد الصوتَ واستحسنه جميعُ مَنْ حضره وطربوا له . فقال له الرشيد : يا حبيبي ، لمن هذا الصوت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، سلّ هؤلاء المغنّين لمن هو . فقالوا : والله ما ندري ، وإنّه لغريب . فقال : بحياتي لمن هو ؟ فقال : وحياتك ما أدري إلّا أنّي أخذته من شهدة جارية الوليد أمّ عاتكة بنت شهدة . هذا الشعر المذكور لابن قيس الرُّقَيّات ، والغناء لابن مُحَرِّز ، وله فيه لحنان ، أحدهما ثقیل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر خفيف ثقیل بالبنصر عن عمرو . وفيه للملك ثاني

ثقیل بالوسطی عن عمرو وفيه لسليم خفيف رمل بالبصر . وحسين بن مخرز ثقیل أول
عن الهشامي وحش .

[كانت ضاربة مجيدة وعنهما أخذ إسحاق الموصلي]

أخبرني محمد بن مزید عن حماد بن إسحاق عن أبيه : أنه ذكر عاتكة بنت شهدة يوماً
فقال : كانت أضرب مَنْ رأيتُ بالعود ؛ ولقد مكثتُ سبع سنين أختلفُ إليها في كل يوم
فتضاربني ضرباً أو ضربين¹ ، ووصل إليها مني ومن أبي بسبي أكثر من ثلاثين ألف درهم :
دراهم وهدايا .

[ماتت بالبصرة ، وقصتها مع ابن جامع عند الرشيد]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال : كانت عاتكة بنت شهدة أحسن
خلق الله غناءً وأرواهم ، وماتت بالبصرة . وأمها شهدة نائحة من أهل مكة . وكان ابن جامع
يلوذ منها بكثرة الترجيع . فكان إذا أخذ يتزايد في غنائها قالت له : إلى أين يا أبا القاسم ! ما
هذا الترجيع الذي لا معنى له ! عُذ بنا إلى معظم الغناء ودعنا من جنونك . فأضجرته يوماً بين
يدي الرشيد فقال لها : أي أم العباس : إنني أشتهي ، عليم الله ، أن تحتك شعرتي بشعرتك .
فقال : أحساً ، قطع الله ظهرك ! ولم تعد لأذاه بعدها .

[غنت جارية شعر فعارضتها هي وذمت بنداراً الزيات]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا الزبير بن بكار قال : قال لي علي بن
جعفر بن محمد : دخلت على جوارى المرواني المغنيات بمكة ، وعاتكة بنت شهدة
تطارحن لحنها :

يا صاحبي دَعَا الملامةَ واعلما أن الهوى يدع الكرام عبدا

فجعلت واحدةً منهن تقول : « يدع الرجال عبداً » . فصاحت بها عاتكة بنت شهدة :
ويلك ! بُندارُ الزيات العاضُ بظُرِّ أمه رجل ! أفمن الكرام هو ؟ . قال : فكنت إذا مررتُ
بُندار أو رأيتُه غلبني الضحك فاستحيي منه وأخذ بيده وأجعل ذلك بشاشة ؛ حتى أوث
هذا بيني وبينه مقاربة ؛ فكان يقول : أبو الحسن علي بن جعفر صديق لي .

[علّمت مخارقاً الغناء وهو مولى لها]

وكان مخارق مملوكاً لعاتكة ، وهي علّمت الغناء ووضعت يده على العود ، ثم باعته ؛
فانتقل من ملك رجل إلى ملك آخر حتى صار إلى الرشيد . وقد ذكر ذلك في أخباره .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

ولو أنَّ ما عند ابن بُجْرةَ عندها من الخمر لم تَبْلُلْ لَهاتي بناطِل
لعمري لأنْتَ البيتُ أَكْرَمُ أَهْلَه وأَقْعُد في أَفْيائِه بالأصائل¹

عروضه من الطويل . الشعر لأبي ذؤيب الهذلي . والغناء لحكم الوادي ، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالنصر في مجراها . ابن بُجْرة هذا ، فيما ذكره الأصمعي ، رجل كان يبيع الخمر بالطائف ، وزعم أنَّ الناظر كوزٌ تُكال به الخمر . وقال ابن الأعرابي : ليس هذا بشيء ، وزعم أنَّ الناظر : الشيء ؛ يقال : ما في هذا الإناء ناظر ، أي ليس فيه شيء . وقال أبو عمرو الشَّيباني : سمعتُ الأعراب يقولون : الناظر : الجرعة من الماء واللبن والنبيد . انتهى .

1 لأنْتَ في ل : لآني .

[94] - ذكر أبي ذؤيب¹ وخبره ونسبه

[نسبه]

هو خُوَيْلِد بن خالد بن مُحَرَّث² بن زُبَيْد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم³ بن سعد بن هذيل بن مُدْرِكَة بن الياس بن مضر بن نزار . وهو أحد المخضرمين مَن أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم فحسن إسلامه . ومات في غزاة إفريقية .

[رأي ابن سلام فيه وشهادة حسن له]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال : كان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غمزة⁴ فيه ولا وهن .

وقال ابن سلام : قال أبو عمرو بن العلاء : سئل حسان بن ثابت : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أحياً أم رجلاً ؟ قالوا : حياً ؛ قال : أشعر الناس حياً هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . قال ابن سلام : ليس هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله .

[اسمه بالسريانية مؤلف زورا]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني محمد بن معاذ العمري قال : في التوراة : أبو ذؤيب مؤلف زوراً ، وكان اسم الشاعر بالسريانية «مؤلف زورا» . فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية ، وهو كثير بن إسحاق ، فعجب منه وقال : قد بلغني ذلك . وكان فصيحاً كثير الغريب متمكناً في الشعر .

[تقدم شعراء هذيل بقصيدته العينية]

قال أبو زيد عمر بن شبة : تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيّه . يعني قوله :

[من الكامل]

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء : 457 وطبقات ابن سلام : 131 والمؤتلف : 173 ومصورة ابن عساكر : 5 : 690 ومختصر ابن منظور : 8 : 92 وتهذيب ابن عساكر : 5 : 182 وأسد الغابة : 5 : 188 والإصابة : 7 : 63 والوافي : 13 : 437 . والخزانة : 1 : 203 وشرح شواهد المغني : 10 : 1 والعيني : 1 : 295 ومعاهد التنصيص : 2 : 165 والدميري : 2 : 47 ومعجم الأدياء : 3 : 1275-1277 والتذكرة الحمدونية : 8 : 28-29 .

2 في ل : محرز .

3 في ل : غنم .

4 غمزة : مطعن .

أَمِنْ الْمَنُونِ وَرَبِّهِ تَوَجَّعُ^١ وَالذَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مِّنْ يَّجْزَعُ^٢

وهذه يقولها في بنين له خمسة أصيبوا في عام واحد بالطاعون وورثاهم فيها . وسنذكر جميع ما يُعْنَى فيه منها على أثر أخباره هذه .

[خرج مع عبد الله بن سعد لغزو إفريقية وعاد مع ابن الزبير فمات في مصر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن مصعب الزُّبَيْرِيِّ ، وأخبرني جرهمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال حدثني عمِّي قال : كان أبو ذؤيب الهذلي خرج في جُند عبد الله بن سَعْد بن أبي سَرْح أحد بني عامر بن لُؤيٍّ إلى إفريقية سنة ست وعشرين غازياً إفْرِنجَةً في زمن عثمان . فلما فتح عبد الله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبد الله بن الزُّبَيْرِ وكان في جنده بشيراً إلى عثمان بن عفَّان ، وبعث معه نفراً فيهم أبو ذؤيب . ففي عبد الله يقول أبو ذؤيب :

فصاحبَ صدقٍ كسَيدِ الضُّرِّاءِ يَنْهَضُ فِي الْغَزْوِ نَهْضاً نَجِيحاً^٣

في قصيدة له . فلما قدِموا مصرَ مات أبو ذؤيب بها . وقَدِمَ ابنُ الزُّبَيْرِ على عثمان ، وهو يومئذٍ ، في قول ابن الزُّبَيْرِ ، ابنُ ستٍّ وعشرين سنة ؛ وفي قول الواقيدي ابن أربع وعشرين سنة . وبُشِّرَ عبد الله عند مَقْدَمِهِ بِخُبَيْبِ بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ وبأخيه عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ ، وكانا وُلدا في ذلك العام ، وخُبَيْبٌ أكبرهما .

[وصف ابن الزبير لحرب إفريقية]

قال مصعب : فسمعتُ أباي والزُّبَيْرَ بن خُبَيْبِ بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ يقولان : قال عبد الله بن الزُّبَيْرِ : أحاط بنا جُرْجِيرُ صاحبُ إفريقية وهو ملك إفْرِنجَةٍ في عشرين ألفاً ومائة ألف ونحن في عشرين ألفاً ؛ فضاقت بالمسلمين أُمُورُهُم واختلَفوا في الرأي ، فدخل عبد الله بن سعد فُسْطاطه يخلو ويفكر . قال عبد الله بن الزبير : فرأيتُ عورَةَ من جُرْجِيرِ والناسُ على مَصَافِهِمْ ، رأيته على بَرْدُونٍ أَشْهَبَ خَلْفَ أَصْحَابِهِ مُنْقَطِعاً مِنْهُمْ ، معه جاريتان له تَظِلَّانِهِ مِنَ الشَّمْسِ بِرِيشِ الطَّوَاوِيسِ . فجئتُ فُسْطاطَ عبد الله فطلبت الإِذْنَ عليه من حاجبه ؛ فقال : إِنَّهُ في شَأْنِكُمْ وَإِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَ النَّاسَ عَنْهُ . قال : فدرتُ فَأَتَيْتُ مُؤَخَّرَ فُسْطاطه فرفعته ودخلتُ عليه ، فإذا هو مُسْتَلْقٍ على فراشه ؛ ففزع وقال : ما الذي أدخلك عليَّ يا ابن الزُّبَيْرِ ؟ فقلت : إِيه وإيه ! كلُّ أَزْبٍ^٣ نَقُورُ ! إِنِّي رأيتُ عورَةَ من عدونا فرجوت الفرصة فيه وخشيتُ فواتها ، فاخْرُجْ فَأَنْدُبْ

1 ورَّيه في ل : ورَّيها .

2 الضُّرَّاءُ في ل : الغضا .

3 الأزب من الإبل : الذي يكثر شعر حاجبيه .

الناس إليّ. قال : وما هي ؟ فأخبرته ؛ فقال : عورةٌ لعمرى ! ثم خرج فرأى ما رأيت ؛ فقال : أيّها الناس ، انتدبوا مع ابن الزبير إلى عدوّكم . فاخترتُ ثلاثين فارساً ، وقلت : إني حاملٌ فاضربوا عن ظهري فإنّي سأكفيكم من ألقى إن شاء الله تعالى . فحملتُ في الوجه الذي هو فيه وحملوا فدبّوا عني حتى خرّقتهم إلى أرض خالية ، وتبيّنته فصمّدت¹ صمّده ؛ فوالله ما حسب إلاّ أنّي رسول ولا ظنّ أكثر أصحابه إلاّ ذاك ، حتى رأى ما بي من أثر السلاح ، فثنى برذونه هارباً ، فأدركته فطعنته فسقط ، ورميتُ بنفسي عليه ، واتّقتُ جاريته عنه السيفَ فقطعت يد إحداهما . وأجهزتُ عليه ثم رفعتُ رأسه في رُحمي ، وجال أصحابه وحمل المسلمون في ناحيتي وكبروا فقتلوهم كيف² شاؤوا ، وكانت الهزيمة . فقال لي عبد الله بن سعد : ما أحدٌ أحقّ بالبخارة منك ، فبعثني إلى عثمان .

[اشترى مروان خمس فيء إفريقية بمال فوضعه عنه عثمان]

وقدّم مروان³ بعدي على عثمان حين اطمأنوا وباعوا المغنم وقسموه . وكان مروان قد صفق⁴ على الخمس بخمسمائة ألف ، فوضعها عنه عثمان ، فكان ذلك ممّا تكلم فيه بسببه . فقال عبد الرحمن بن حنبل⁵ بن مليل وكان هو وأخوه كلدة أخوي صفوان بن أمية بن خلف لأُمّه ، وهي صفية بنت معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وكان أبوهما ممن سقط من اليمن إلى مكة :

[من المتقارب]

أخلف بالله جهد اليم	من ما ترك الله أمراً سدى
ولكن خلقت لنا فتنة	لكي تبلى فيك أو تبلى
دعوت الطريد فادنته	خلفاً لسنة من قد مضى ⁶
وأعطيت مروان خمس العبا	د ظلماً لهم وحميت الحمى
ومالاً أتاك به الأشعري	من الفياء أعطيته من دنا
وإنّ الأمينين قد بينا	منار الطريق عليه الهدى

1 صمد صمد الأمر : قصد قصده .

2 في ل : حيث .

3 هو الخليفة مروان بن الحكم .

4 الصفق : التبايع ، وهو من صفق اليد على اليد عند وجوب البيع .

5 في ل : حسان .

6 الطريد : الحكم بن العاص بن أمية .

فما أخذنا درهماً غيلةً ولا قسمًا درهماً في هوى

قال : والمال الذي ذكر أن الأشعري جاء به مال كان أبو موسى قدّم به على عثمان من العراق ، فأعطى عبد الله بن أسيد بن أبي العيص منه مائة ألف درهم ، وقيل : ثلثمائة ألف درهم ؛ فإنكر الناس ذلك .

[ذكر ابن بكرة وخمره في قصيدة غنى في أبيات منها]

أخبرني أحمد بن عبيد الله قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى عن عبد العزيز ، أظنه ابن الدراوردي ، قال : ابن بكرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عبيد بن عويج بن عدي بن كعب من قريش ، ولم يسكنوا مكة ولا المدينة قط ، وبالمدينة منهم امرأة ، ولهم موال أشهر منهم ، يقال لهم بنو سجعان . وكان ابن بكرة هذا خماراً . وهذا الصوت الذي ذكرناه من لحن حكّم الوادي المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة . فمما يغنى فيه منها :

صوت

أسألتَ رسمَ الدار أم لم تُسأل
عن الحيّ أم عن عهده بالأوائل
عفا غير رسم الدار ما إن تُبينه
وعفر طباء قد توت في المنازل¹
فلو أن ما عند ابن بكرة عندها
من الخمر لم تبلل لهاتي بناطل
فتلك التي لا يذهب الدهر حبها
ولا ذكرها ما أرزمت أم حائل

غناه الغريز ثقيلًا أولًا بالوسطى . ويقال : إن لمعبد فيه أيضًا لحناً .

قوله : «أسألت» يخاطب نفسه . ويروى : «عن السكّن أو عن أهله» . والسكّن الذي كانوا فيه . وقال الأصمعي : السكّن : سكن الدار . والسكّن : المنزل أيضاً . ويروى : «عفا غير نوي الدار» . والثوي : حاجر يُجعل حول بيوت الأعراب لئلا يصل المطر إليها . ويروى وهو الصحيح :

وأقطع طُفّي قد عفت في المعازل²

والطُفّي : خوص المقل . والمعازل : حيث نزلوا فامتنعوا ، واحداها معقل . وواحد الطُفّي : طُفّية . وأرزمت : حنت . والحائل : الأنتى . والسكّب : الذكر . ومنها :

[من الطويل]

1 تبيينه في ل : أئينه .

2 أقطع : جمع قطع وهو كالقطيع الغصن تقطعه من الشجرة .

صوت

وإنَّ حديثاً منك لو تبدَّلِينِه جَنَى النحلِ في ألْبَانِ عُودِ مَطاوِلِ
مَطاوِلِ أبْكَارِ حَدِيثِ نِتاجِهَا تُشَابِ بماءٍ مثلِ ماءِ المفاوِلِ

غناه ابن سُرَيْجٍ رملاً بالوسطى . جنى النحل : العسل . والعُودُ : جمع عائد ، الناقة حين تضع فهي عائد ، فإذا تبعها ولدُها قيل لها مُطْفِلٌ . والمفاوِلُ : مُنْفَصِلُ السهل من الجبل حيث يكون الرُّضْرَاضُ¹ ، والماء الذي يَسْتَنْقِعُ² فيها أَطْيَبُ المياه . وتُشَابُ : تُخلط .

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي : أن أبا ذؤيب إنما عني بقوله : «مَطاوِلِ أبْكَارِ» أن لبن الأَبْكَارِ أَطْيَبُ الألبان ، وهو لبنُها لأوّلَ بَطْنٍ وضعت . قال : وكذلك العسل فإن أَطْيَبَه ما كان من بكر النحل . قال : وحدثني كُرْدِين قال : كتب الحجاج إلى عامله على فارس : إبعث إليَّ بعسل من عسل خُلاَرٍ³ ، من النحل الأَبْكَارِ ، من الدستفشار⁴ ، الذي لم تمسه النار .

[صوت من قصيدته العينية]

فأَمَّا قصيدته العينية التي فضّل بها ، فمِمَّا يغنيّ به منها :

[من الكامل]

صوت

أَمِنْ المَنُونِ ورِيْهَا تَوَجَّعُ والدَّهْرُ ليس بمُعْتَبٍ من يَجْزَعُ
قالت أُمّامة ما لجسمك شاحباً منذُ ابتذلتَ ومثلُ مالك يَنْفَعُ
أَمْ ما لجنبك لا يلائم مضجعاً إلّا أَقْضَ عليك ذاك المضجَعُ
فأَجَبْتُهَا أن ما لجسمي أَنّه أودى بَنِي مِمن البلاد فودَّعوا

عروضه من الكامل . غناه ابن مُحَرِّزٍ ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالنصر في مجراها . قال الأصمعي : سُمِّيَتِ المَنُونُ منوناً لأنها تذهب بمئة كل شيء وهي قوته . وروى الأصمعي : «ورِيْه» فذكر المَنُونِ . والشاحب : المُغَيَّرُ المهزول . يقال : شَحِبَ يشْحُبُ . ابتذلتَ : امتهنت نفسك وكرهت الدعة والزينة ولزمت العمل والسفر ومثلُ مالك يُغْنِيكَ عن هذا ، فاشتر لنفسك مَنْ يَكْفِيكَ ذلك ويقوم لك به . ويلائم : يوافق . أَقْضَ عليك أي

1 الرضراض : ما دق من الحصى .

2 يستنقع : يجتمع .

3 خُلاَر (كرمان) موضع بفارس ينسب إليه العسل الجيد .

4 الدستفشار : لفظة فارسية ، معناها : ما عصرته الأيدي وعالجته .

خَشُنْ فلم تستطع أن تضطجع عليه . والقَضَضُ : الرمل والحصى . قال الراجز : [من الرجز]
 إِنَّ أَحْيَا مَاتَ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَوُجِدَ فِي مَرْمَضِهِ حَيْثُ ارْتَمَضُ¹
 عَسَاقِلٌ وَجِبَا فِيهَا قَضَضُ²
 وودّعوا : ذهبوا . استعمل ذلك في الذهاب لأن من عادة المفارق أن يودّع .

[طلب المنصور قصيدته العينية فلم يعرفها أحد من أهله وعرفها مؤدّب فأجازه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني أحمد بن عمر النحوي قال حدثني أبي عن
 الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال : لما مات جعفر بن المنصور الأكبر مشى المنصور في جنازته
 من المدينة³ إلى مقابر قريش ، ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه ، ثم انصرف إلى قصره .
 ثم أقبل على الربيع⁴ فقال : يا ربيع انظر من في أهلي يُنشدني : [من الكامل]
 أَمِنَ الْمَنُونُ وَرَبَّيْهَا تَتَوَجَّعُ

حتى أُنسلي بها عن مُصِيتي . قال الربيع : فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم
 حُضور ، فسألُتهم عنها ، فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها ، فرجعتُ فأخبرته ، فقال : والله
 لمصيتي بأهل بيتي ألا يكون فيهم أحدٌ يحفظ هذا لِقَلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الْأَدَبِ أَعْظَمُ وَأَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ
 مُصِيتِي بِابْنِي . ثم قال : انظر هل في القوادم والعوام من الجند من يعرفها ، فإني أحب أن
 أسمعها من إنسانٍ يُنشدُها . فخرجتُ فاعترضت الناس فلم أجد أحداً يُنشدُها إلا شيخاً كبيراً
 مؤدّباً قد انصرف من موضع تأديبه ، فسألته : هل تحفظ شيئاً من الشعر ؟ فقال : نعم ، شعر
 أبي ذؤيب . فقلت : أنشدني . فابتدأ هذه القصيدة العينية . فقلت له : أنت بُغيتي . ثم أوصلته
 إلى المنصور فاستنشدته إياها . فلما قال :

وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَجْزَعُ⁵

قال : صدق والله ، فأنشدني هذا البيت مائة مرة ليرتدّد هذا المصراعُ عليّ ؛ فأنشدته ، ثم
 مرّ فيها . فلما انتهى إلى قوله :

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ جَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعٍ⁶

1 ارتمض الرجل من كذا : أي اشتدّ عليه وأقلقه .

2 العساقل : ضرب من الكمأة . والجبء : الكمأة السود .

3 يريد بغداد .

4 هو الربيع بن يونس مولى المنصور .

5 أعتبه : رجع إلى ما يُرضيه وترك ما يُسخطه .

6 جون السراة يقصد الحمار . والجدايد : الأتن التي لا لبن لها .

قال : سلاً أبو ذؤيب عند هذا القول . ثم أمر الشيخ بالانصراف . فاتبعته فقلت له : الأمر لك أمير المؤمنين بشيء ؟ فأراني صرة في يده فيها مائة درهم .

[خانه خالد بن زهير في امرأة يهاها كان خان هو فيها عويم بن مالك]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال : كان أبو ذؤيب الهذلي يهوى امرأة يقال لها أم عمرو ، وكان يرسل إليها خالد بن زهير فخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عويم بن مالك بن عويمر وكان رسوله إليها . فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها . فأرسلت تترضاه ، فلم يفعل ، وقال فيها : [من الطويل]

تريدين كيما تجمعيني وخالداً	وهل يُجمع السيفان ويحل في غمدي
أخالد ما راعيت مني قرابة	فتحفظني بالغيث أو بعض ما تبدي ²
دعاك إليها مقلتاها وجيدها	فملت كما مال المحب على غمدي
وكت كرقاق السراب إذا بدا	لقوم وقد بات المطي بهم يخدي ³
فأليت لا أنفك أخذو قصيدة	تكون وإياها بها مثلاً بعدي

غناه ابن سريج خفيف رمل بالنصر . الغيب : السر . والرقاق : الجاري . ويروى : «أخذو قصيدة» . فمن قال : «أخذو» بالذال المعجمة أراد أصنع ، ومن قال : «أخذو» أراد أغني .

وقال أبو ذؤيب في ذلك :

وما حُمِّل البُختي عام غيابه	عليه الوسوق بُرها وشعرها ⁴
أتى قرية كانت كثيراً طعامها	كرَفَع التراب كل شيء يَميرها ⁵

الرفع من التراب : الكثير اللين .

فقل تحمّل فوق طوقك إنها مطبعة من ياتها لا يضيرها

1 خالد بن زهير الهذلي ، ابن أخت أبي ذؤيب .

2 مني في ل : من ذي .

3 خدى البعير : أسرع وزج بقوائمه .

4 الغيار : مصدر غارهم يغيرهم إذا مارهم أي أتاهاهم بالميرة . الوسوق : جمع وسق : وهو حمل البعير ، وقيل الحمل عامة .

5 أتى قرية في ل : إلى قرية .

7 ه كتاب الأغاني - ج 6

بأعظمَ مما كنتُ حَمَلْتُ خالداً وبعضُ أماناتِ الرجالِ غُرورها
ولو أنِّي حَمَلْتُهُ البُزْلَ ما مَشَتْ به البُزْلُ حتَّى تَتَلَبَّبَ صُـدُورها
تتَلَبَّب : تستقيم وتتصب وتمتد وتتابع .
خليلي الذي دلى لَغَيٍّ خليلتي جِهاراً فكلُّ قد أَصابَ غُرورها¹
يقال : عَرَّه بكذا أي أَصابه [به] .
فشأنُكها ، إِنِّي أَمِينٌ وإِنِّي إذا ما تَحالَى مثلُها لا أَطُورها
تَحالَى : من الخلاوة . أَطُورها : أَقْرَبُها :
أُحاذِر يوماً أَن تَبينَ قَريَتي ويُسلمها أَحرارُها ونَصيرها
الأحرار : الحصون . قريتي : نفسي .
وما أَنفُسُ الفَتَيانِ إِلَّا قرائنُ تَبينُ ويبقى هَامُها وقُبورها
فَنفَسَك فاحفظُها ولا تُفَشِّرِ للعدا من الشرِّ ما يُطوى عليه ضميرُها
وما يُحَفِّظُ المكتومُ من سرِّ أَهله إذا عَقَدُ الأسرارِ ضاعَ كبيرُها
مِنَ القومِ إِلَّا ذو عَفافٍ يُعِينه على ذاك منه صِدْقُ نفسٍ وخيرُها
رَعى خالداً سَريَ لِياليَ نَفْسُه تَوالى على قَصْدِ السبيلِ أُمُورها
فلَمَّا تراماه الشَّبابُ وَغِيه وفي النفسِ منه فِتْنَةٌ وفُجُورها²
لوى رأسَه عَنِّي ومالَ بودَه أَغانيجُ خَوْدِ كانَ فينا يَزُورها³
تَعَلَّقَه منها دَلالٌ ومُقلَّة تَظَلُّ لأَصحابِ الشَّقَاءِ تَديرها
فإنَّ حراماً أَن أَخونَ أمانةً وآمَنَ نفساً ليسَ عِندي ضميرها

فأجابه خالد بن زهير :

لا يُبْعِدَنَّ اللهُ لُبَّكَ إِذْ غَزَا وسافرَ والأحلامُ جَمٌّ غُـثُورها
غزا وسافرَ لُبَّكَ : ذهبَ عنكَ . والعثور : من العثار وهو الخطأ .
وكنْتَ إماماً للعشيرة تنتهي إِلَيْكَ إذا ضاقتْ بأمرٍ صُـدُورها

1 دلى فلان فلاناً في الشر : أوقعه وصيرَه فيه . العُرور : المعرة والعيب .

2 تراماه الشباب : أي تم شبا به فكدف به إلى الغي كما تترامى الفلاة براكبها .

3 الأغانيج : جمع أغنوجة .

لَعَلَّكَ إِمَّا أُمُّ عَمْرُو تَبَدَّلَتْ سِوَاكَ خَلِيلاً شَاتِمِي تَسْتَخِيرُهَا
الاستخارة : الاستعطاف .

فَإِنَّ الَّتِي فِينَا زَعَمْتَ وَمِثْلَهَا لَفَيْكَ وَلَكْنِي أَرَاكَ تَجُورُهَا
تجورها : تُعرض¹ عنها .

أَلَمْ تَنْتَقِذْهَا مِنْ عَوِيمِ بْنِ مَالِكٍ وَأَنْتَ صَفِيٌّ نَفْسِهِ وَسَجِيرُهَا²
فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةِ أَنْتَ سِرَّتْهَا فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا
ويروى [قد] أُسْرَتْهَا ، أي جعلتها سائرة . ومن رواه هكذا روى «يسيرها» لأنَّ
مستقبل أفعَل أسارها يسيرها . و«يسيرها» مستقبل سار السيرة يسيرها .

فَإِنْ كُنْتَ تَشْكُو مِنْ خَلِيلٍ مَخَانَةً فَتِلْكَ الْجَوَازِي عَقْبُهَا وَنُصُورُهَا
عَقْبُهَا : يريد عاقبتها . ونُصُورُهَا أي تُنصر عليك ، الواحد نصر .

وَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي لِلظَّلَامَةِ مَرْكَباً ذُلُولاً فَإِنِّي لَيْسَ عِنْدِي بَعِيرُهَا
نَشَأْتُ عَسِيراً لَا تَلِينَ عَرِيكَتِي وَلَمْ يَعْلُ يَوْماً فَوْقَ ظَهْرِي كُورُهَا³
مَتَى مَا تَشَأْ أَحْمِلْكَ وَالرَّأْسُ مَائِلٌ عَلَى صُغْبَةٍ حَرْفٍ وَشِيكَ طُمُورُهَا⁴
فَلَا تَكُ كَالثَّوْرِ الَّذِي دُفِنَتْ لَهُ حَدِيدَةٌ حَتْفٍ ثُمَّ أُمْسَى يُثِيرُهَا
يُطِيلُ ثَوَاءً عِنْدَهَا لِيَرُدَّهَا وَهِيَهَاتَ مِنْهُ دَارُهَا وَقُصُورُهَا
وَقَاسِمُهَا بِاللَّهِ جَهْداً لِأَنْتُمْ أَلَدُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا
نشورها : نجتنيها . السلوى هاهنا : العسل .

فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ خَدْعُهُ يَوْمَ أَزْمَعْتُ صَرِيْمَتَهَا وَالنَّفْسُ مُرٌّ ضَمِيرُهَا⁵
وَلَمْ يُلَفَّ جَلْدًا حَازِماً ذَا عَزِيْمَةٍ وَذَا قُوَّةٍ يَنْفِي بِهَا مِنْ يَزُورُهَا
فَاقْصِرْ وَلَمْ تَأْخُذْكَ مِنِّي سَحَابَةٌ يُنْفِرُ شَاءَ الْمُقْلَعِينَ خَرِيرُهَا
المقْلعين : الذين أصابهم القَلْع وهو السحاب .

1 في ل : تعدل .

2 السَّجِير : الخليل الصفي .

3 الكور : الرَّحْل .

4 الرَّأْس : مائل من المرح والنشاط . والحرف : الضامرة . وشيك طمورها : سريع وثوبها .

5 مُرٌّ ضَمِيرُهَا : أي نفسها خبيثة كارهة .

وَلَا تَسِيقَنَّ النَّاسَ مَنِّي بِخَمْطَةٍ مِّنَ السَّمِّ مَذْرُورٍ عَلَيْهَا ذُرُورَهَا¹

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حَدَّثَنَا السَّكَنُ بن سَعِيد قال حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بن هشام قال حَدَّثَنِي أَبُو عمرو عبد الله بن الحارث الهذليُّ من أَهْلِ المدينة قال : خرج أَبُو ذُوَيْب مع ابنه وابن أَخٍ له يقال له أَبُو عُبَيْد² ، حتَّى قَدِمُوا على عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه . فقال له : أَيُّ العمل أَفْضَلُ يا أَمِير المؤمنين ؟ قال : الإِيْمَان بالله ورسوله . قال : قد فعلتُ ، فَأَيُّهُ أَفْضَلُ بعده ؟ قال : الجِهَادُ في سبيل الله . قال : ذلك كان عليَّ وإِنِّي لا أَرْجو جَنَّةً ولا أَخاف ناراً . ثم خرج فغزا أرضَ الروم مع المسلمين . فلَمَّا قَفَلُوا أَخَذَهُ الموت ؛ فَأَرَادَ ابْنُهُ وابنُ أَخِيهِ أَنْ يَتَخَلَّفَا عليه جميعاً ؛ فَمَنَعَهُمَا صَاحِبُ السَّاقَةِ وقال : لِيَتَخَلَّفْ عليه أَحَدُكُمَا وليَعْلَمْ أَنَّهُ مَقْتُولٌ . فقال لهما أَبُو ذُوَيْب : اقترعَا ، فطارت القُرْعَةُ لأَبِي عُبَيْد ، فِتَخَلَّفَ عليه ومَضَى ابْنُهُ مع الناس . فكان أَبُو عُبَيْد يُحَدِّثُ قال لي أَبُو ذُوَيْب : يا أبا عُبَيْد ، احفِرْ ذلك الجُرْفُفَ برمحك ثم اعضِدْ³ من الشجر بسيفك ثم اجرُرْنِي إلى هذا النهر فَإِنَّكَ لا تفرُغُ حتَّى أفرُغُ ، فاغسِلْنِي وكفِّنِي ثم اجعلْنِي في حفيري وانثِلْ⁴ عليَّ الجُرْفُفَ برمحك ، وألقِ عليَّ الغصونَ والشجر ، ثم اتَّبَعَ الناسَ فَإِنْ لَهُم رَهْجَةٌ⁵ تراها في الأفق إذا مشيتَ كأنها جَهَامَةٌ . قال : فما أخطأُ مِمَّا قال شيئاً ، ولولا نَعْتُهُ لم أَهْتَدِ لِأَثَرِ الجيش . وقال وهو يجود بنفسه :

أَبَا عُبَيْد رُفِعَ الْكِتَابُ واقترَبَ الْمَوْعِدُ وَالْحِسَابُ
وعند رَحْلي جَمَلٌ نُجَاب أَحْمَرُ في حَارِكِهِ انْصِبَابُ⁶

ثم مضيتُ حتَّى لحقتُ النَّاسَ . فكان يُقال : إِنَّ أَهْلَ الإِسْلامِ أَبْعَدُوا الْأَثَرَ في بلد الروم ، فما كان وراءَ قبرِ أَبِي ذُوَيْبَ قبرٌ يُعرفُ لأحد من المسلمين .

1 الخمطة : الطرية التي أخذت طعماً ولم تستحكم ، أو هي التي أخذت ريح الإدراك كريح التفاح ولم تدرك بعد .

2 في ل : عقيل .

3 عضد الشجر : قطعه .

4 نثل الركبة ينثلها : أخرج ترابها .

5 الرهجة : ما أثير من غبار .

6 الحارك : أعلى الكاهل .

[95] - ذكر حكم الوادي وخبره ونسبه

[نسبه وأصله وصناعته]

هو الحَكَم بن مَيْمُون مولى الوليد بن عبد الملك . وكان أبوه حَلَّاقاً يَحْلِقُ رأس الوليد ، فاشتراه فأعتقه . وكان حَكَمٌ طويلاً أُحْوَلَ ، يُكْرِى الجَمَالَ ينقلُ عليها الزيت من الشام إلى المدينة . ويكنى أبا يحيى . وقال مصعب بن عبد الله بن الزُّبَيْر : هو حكم بن يحيى بن ميمون ، وكان أصله من الفُرس ، وكان جَمَلاً ينقلُ الزيتَ من وادي القُرَى إلى المدينة .

[غنى الوليد بن عبد الملك وعاش إلى زمن الرشيد]

وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخاً طويلاً أُحْوَلَ أَجْنَأُ² يخضبُ بالحِنَّاءِ ، وكان جَمَلاً يحمل الزيتَ من جُدَّة إلى المدينة ، وكان واحدَ دهره في الحَذَق ، وكان ينقُرُ بالدفِّ ويغني مرتجلاً ، وعُمِّرَ عمراً طويلاً ، غنى الوليد بن عبد الملك ، وغنى الرشيد ومات في الشَّطْر من خلافته ، وذكر أنه أخذ الغناء من عُمَر الوادي . قال : وكان بوادي القُرَى جماعة من المغنين فيهم عمر بن زاذان ، وقيل : ابن داود بن زاذان ، وهو الذي كان يسميه الوليد جامعاً لذتي ، وحكم بن يحيى ، وسليمان ، وخُلَيْد بن عَتِيك ، وقيل : ابن عبيد ، ويعقوب الوادي . وكلُّ هؤلاء كان يصنع فيُحسن .

[مدح إسحاق الموصلي غناه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني حماد قال قال لي أبي : أحذق من رأيتُ من المغنين أربعة : جدك وحكم وفليح بن العوراء وسيّاط . قلت : وما بلغ من حذقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيُحسنون ، ويؤدّون غناء غيرهم فيُحسنون . قال إسحاق : وقال لي أبي : ما في هؤلاء الذين تراهم من المغنين أطبع من حكم وابن جامع ، وفليح أدرى منهما بما يخرج من رأسه .

[غنى الوليد بن يزيد بشر مطيع بن إياس فأجازاه]

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن أحمد بن المكيّ حدثه عن أبيه قال حدثني حكم الوادي ، وأخبرني به محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدثنا الغلابي عن حماد بن إسحاق عن أحمد بن المكيّ عن أبيه عن حكم الوادي قال : أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد ، وهو

1 وادي القُرَى : وادي بين الشام والمدينة .

2 أجناً : أحذب .

على حمار ، وعليه جبة وشي ورداء وشي وخفّ وشي ، وفي يده عقد جواهر ، وفي كُمّه شيء لا أدري ما هو . فقال : مَنْ غَنّاني ما أشتهي فله ما في كُمّي وما عليّ وما معي وما تحتي ؛ فغنّوه كلّهم فلم يَطْرَب ؛ فقال لي : غنّ يا غلام ، فغنّيتُ :
[من معزوء الرجز]

صوت

إكليلها ألوانُ ووجهها فتانُ
وخالها فريدُ ليس له جيرانُ
إذا مشّت تَنَتَّ كأنّها ثعبانُ

الشعر لمطيع بن إياس . والغناء لحكم الوادي هزج بالوسطى . وفيه لإبراهيم رملٌ خفيف بالوسطى فطرب وأخرج ما كان في كُمّه ، وإذا كيسٌ فيه ألف دينار ، فرمى به إليّ مع عقد الجواهر ؛ فلما دخل بعث إليّ بالحمار وجميع ما كان عليه . وهذا الخبر يذكر من عدّة وجوه في أخبار مطيع بن إياس .

[مدحه رجل من قريش بشعر صنع هو فيه صوتاً]

وفي حكم الوادي يقول رجل من قريش :

[من الوافر]

صوت

أبو يحيى أخو الغزل المغني بصيرٌ بالثقال وبالخفاف
على العيدان يُحسنُ ما يُغني ويُحسنُ ما يقول على الدّفاف
غناه حكم الوادي هزجاً بالنصر .

قال هارون بن محمد بن عبد الملك قال أبو يحيى العبادي قال حدثني أحمد البارد قال : دخلتُ على حكّم يوماً فقال لي : يا قِصافي¹ ، إن رجلاً من قريش قال في هذا الشعر : [من الوافر]

أبو يحيى أخو الغزل المغني

وقد غنّيتُ فيه ، فخذُ العودَ حتى تسمعه مني ؛ فأخذتُ العود فطربتُ عليه وغنّانيه ، فكنتُ أوّلَ مَنْ أخذ من حكّم الوادي هذا الصوت .

[سئل عن صوت فقال ما يكون إلّا لي]

قال أبو يحيى قال إسحاق : سمعتُ حكماً الوادي يغني صوتاً فأعجبني ، فسألته لمن هو ؟ فقال : ولمن يكون هذا إلّا لي .

[فغضب من شيخ قال له أحسنت]

وقال مُصْعَبُ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ أَنَّهُ سَمِعَ حَكَمًا الْوَادِيَّ يَغْنِي ، فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ ؛ فَأَلْقَى الدُّفَّ وَقَالَ لِلرَّجُلِ : قَبِّحَكَ اللَّهُ ، تَرَانِي مَعَ الْمَغْنِيِّنَ مِنْذُ سِتِّينَ سَنَةً وَتَقُولُ لِي أَحْسَنْتَ ! .

[قَصَّتْهُ هُوَ وَفَلِيحَ مَعَ ابْنِ جَامِعٍ عِنْدَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ]

وقال لي هارون حَدَّثَنِي مُدْرِكُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ قَالَ لِي فُلَيْحُ : بَعَثَ إِلَيَّ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ وَإِلَى حَكَمِ الْوَادِيَّ ، وَابْنُ جَامِعٍ مَعَنَا ، فَأَتَيْنَاهُ . فَقُلْتُ لِحَكَمِ الْوَادِيَّ أَوْ قَالَ لِي إِنَّ ابْنَ جَامِعٍ مَعَنَا ، فَعَاوَنِي عَلَيْهِ لِنَكْسِرِهِ . فَلَمَّا صَرْنَا إِلَى الْغَنَاءِ غَنَى حَكَمٌ ، فَصَبَحْتُ وَقُلْتُ : هَكَذَا وَاللَّهِ يَكُونُ الْغَنَاءُ ! ثُمَّ غَنَيْتُ فَفَعَلَ بِي حَكَمٌ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَغَنَى ابْنُ جَامِعٍ فَمَا كُنَّا مَعَهُ فِي شَيْءٍ . فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ أُرْسِلُ إِلَى جَارِيَتِهِ دَنَانِيرَ : إِنْ أَصْحَابَكَ عِنْدَنَا ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْنَا ؟! فَخَرَجْتُ وَخَرَجَ مَعَهَا وَصَائِفُ لَهَا ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا يَقُولُ لَهَا مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ أَنَّا لَا نَسْمَعُ : لَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَنْزَهُ نَفْسًا مِنْ فُلَيْحَ ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى غَلَامٍ لَهُ : أَنْ آتَتْ كُلَّ إِنْسَانٍ بِالْفُيِّ دَرَاهِمَ ، فَجَاءَ بِهَا . فَدَفَعَ إِلَى ابْنِ جَامِعٍ أَلْفِينَ فَأَخَذَهَا فَطَرَحَهَا فِي كَمِّهِ ، وَلِحَكَمِ مِثْلَ ذَلِكَ فَطَرَحَهَا فِي كَمِّهِ ، وَدَفَعَ إِلَى أَلْفِينَ . فَقُلْتُ لَدَنَانِيرَ : قَدْ بَلَغَ مِنِّي النَّبِيدُ فَاحْتِسِبِيهَا لِي عِنْدَكَ ، فَأَخَذْتُ الدَّرَاهِمَ مِنِّي وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَيَّ مِنَ الْغَدِ ، وَقَدْ زَادَتْ عَلَيْهَا مِثْلَهَا ، وَأُرْسَلْتُ إِلَيَّ : قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بُودِيْعَتَكَ وَبِشْيءٍ أَحَبِّتُ أَنْ تَفَرِّقَهُ عَلَى أَخَوَاتِي (تَعْنِي جَوَارِيَّ) .

[بَلَغَ فِي الْهَزَجِ مِثْلًا قَصَرَ عَنْهُ غَيْرُهُ]

قال هارون بن محمد قال حماد بن إسحاق قال أبي : أَرْبَعَةٌ بَلَغُوا فِي أَرْبَعَةِ أَجْناسٍ مِنَ الْغَنَاءِ مِثْلًا قَصَرَ عَنْهُ غَيْرُهُمْ : مَعْبِدٌ فِي الثَّقِيلِ ، وَابْنُ سُرَيْجٍ فِي الرَّمْلِ ، وَحَكَمٌ فِي الْهَزَجِ ، وَإِبْرَاهِيمُ فِي الْمَاخُورِيِّ .

[كُتِبَ لَهُ الرِّشِيدُ بَصْلَةً إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَوَصَلَهُ هُوَ أَيْضًا وَأَخَذَ عَنْهُ ثَلَاثُمِائَةَ صَوْتٍ]

قال هارون وحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي هِبَةُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : زَارَ حَكَمُ الْوَادِي الرَّشِيدَ ، فَبَرَّهَ وَوَصَلَهُ بِثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمَ ، وَسَالَهُ عَمَّنْ يَخْتَارُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ بِهَا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : اكْتُبْ لِي بِهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَكَانَ عَامِلًا لَهُ بِالشَّامِ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَقَدِمَ عَلَيَّ حَكَمٌ بِكِتَابِ الرَّشِيدِ ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ مَا كُتِبَ بِهِ وَوَصَلْتُهُ بِمِثْلِ مَا وَصَلَهُ ، إِلَّا أَنِّي نَقَصْتُهُ أَلْفًا مِنَ الثَّلَاثُمِائَةِ وَقُلْتُ لَهُ : لَا أَصِلُكَ بِمِثْلِ صَلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَقَامَ عِنْدِي ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَخَذْتُ مِنْهُ فِيهَا ثَلَاثُمِائَةَ صَوْتٍ ، كُلُّ صَوْتٍ مِنْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الثَّلَاثُمِائَةِ الْأَلْفِ الَّتِي وَهَبْتُهَا لَهُ .

[أَهَانَهُ ابْنُ شُقْرَانَ وَلَمَّا عَرَفَهُ اعْتَذَرَ]

وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ خُرْدَاذْبَةَ قَالَ قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : بَيْنَا حَكَمُ الْوَادِيَّ بِالْمَدِينَةِ إِذْ سَمِعَ قَوْمًا يَقُولُونَ : لَوْ ذَهَبْنَا إِلَى جَارِيَةِ ابْنِ شُقْرَانَ ، فَإِنَّهَا حَسَنَةٌ

الغناء ! فمضوا إليها ، وتبعهم حكم وعليه فروة ، فدخلوا ودخل معهم ، وصاحبُ المنزل يظنُّ أنه معهم وهم يظنونُّ أنه من قِبَل صاحب المنزل ولا يعرفونه . فغَنَّت الجاريةُ أصواتاً ثم غَنَّت صوتاً ثم صوتاً . فقال حَكَمُ الوادي : أحسنتِ والله ! وصاح . فقال له ربُّ البيت : يا ماصَّ كذا وكذا من أمه ؛ وما يُدريك ما الغناء ؟ فوثَّب عليه يُتَعَتِّعه وأراد ضربه . فقال له حَكَمُ : يا عبد الله ، دخلتُ بسلام وأُخرجُ كما دخلت ، وقام ليخرج . فقال له ربُّ البيت : لا أو أضرِبك . فقال حَكَمُ : على رِسلك ، أنا أعلم بالغناء منك ومنها ، وقال : شُدِّي موضع كذا وأصلحي موضع كذا ، واندفع يغني . فقالت الجارية : إنه والله أبو يحيى ؛ فقال ربُّ المنزل : جعلتُ فداك ! المَعذرةُ إلى الله وإليك ؛ لم أعرفك ! فقام حَكَمُ ليخرج فأبى الرجلُ ؛ فقال : والله لأُخرجنَّ ، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك .

[لأمة ابنه على غناؤه الأهازج فأجابه]

وذكر أحمد بن المكي عن أبيه : أنَّ حَكَمًا لم يُشهر بالغناء ويذهب له الصَّوت¹ به حتى صار الأمر إلى بني العبَّاس ؛ فانقطع إلى محمد بن أبي العبَّاس أمير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور ؛ فأعجب به واختاره على المغنين وأعجبته أهازجه . وكان يقال : إنه من أهازج الناس . ويقال : إنه غنى الأهازج في آخر عمره ، وإن ابنه لأمه على ذلك ، وقال له : أبعد الكبير تغني غناء المخنثين ! فقال له : اسكت فإنك جاهلٌ ، غنيتُ الثقيلَ ستين سنة فلم أنلُ إلا القوت ، وغنيتُ الأهازج منذ سُنَيَات² فأكسبتك³ ما لم تر مثله قط .

[شهد له يحيى بن خالد بجودة الأداء]

قال هارون بن محمد وقال يحيى بن خالد : ما رأينا فيمن يأتينا من المغنين أحداً أجود أداءً من حَكَم . وليس أحد يسمع منه غناء ثم يغنيه بعد ذلك إلا وهو يغيِّره ويزيد فيه وينقص إلا حَكَمًا . فقليل لحكم ذلك فقال : إني لست أشرب ، وغيري يشرب ، فإذا شرب تغيَّر غناؤه .

[استكثر المنصور ما كان يعطاه من هدايا ثم عدل عن رأيه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال : كان خبرُ حَكَم الوادي يتناهى إلى المنصور ويبلغه ما يصله به بنو سليمان بن علي ، فِعَجِبَ لذلك ويستسرفه ويقول : هل هو إلا أنَّ حسنَ شعراً بصوته وطرب مستمعيه ، فماذا يكون ؟ وعلامٌ يُعطونه هذه العطايا المُسْرِفة ؟ إلى أن جلس يوماً في مُسْتَشْرِف له ، وقد كان حَكَمُ دخل إلى رجل من قواده ،

1 والصوت والصيت الحسن : الذكر الحسن الذي يتشرب الناس .

2 في ل : ستين .

3 في ل : فاكسبت ما لم تره .

أراه قال : عليُّ بنُ ¹ يَقْطِينٍ أو أبوه ، وهو يراه ؛ ثم خرج عشياً وقد حَمَلَهُ على بغلة له يعرفها المنصور ، وخلع عليه ثياباً يعرفها له . فلما رآه المنصور قال : مَنْ هذا ؟ فقيل : حَكَمُ الوادي . فحرَّكَ رأسه مَلِيّاً ثم قال : الآنَ علمتُ أَنَّ هذا يستحقُّ ما يُعطاه . قيل : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه ؟ قال : لأنَّ فلاناً لا يعطي شيئاً من ماله باطلاً ولا يَضَعُهُ إلَّا في حقِّه .

[اعترض المهدي في الطريق وغناه فأجازه]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا قَعْنَبُ بن المُحَرِّزِ الباهلي عن الأصمعيّ قال : رأيت حَكَمًا الوادي حين مضى المهدي إلى بيت المقدس ، وقد عارضه في الطريق وأخرج دُفَّهُ ونَقَرَ فيه وله شُعَيْرَات على رأسه وقال : أنا والله يا أمير المؤمنين القائل :

ومتى تَخْرُجُ العرو سُ فقد طال حبسُها

ففسرَّع إليه الحرسُ ؛ فقال : دعوهُ وسأل عنه فأخبر أنه حَكَمُ الوادي ؛ فوصله وأحسن إليه .

لحنُ حَكَمٍ في هذا الشعر المذكور هَزَجٌ بالبنصر . وفيه ألحان لغيره ، وقد ذُكِرَتْ في أخبار الوليد بن يزيد .

[أطرب الهادي دون غيره من المغنين فأعطاه ثلاث بدر]

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثنا عليُّ بن مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ عن صالح ² الأضجَم عن حَكَمِ الوادي قال : كان الهادي يشتهي من الغناء ما تَوَسَّطَ وقلَّ ترجيعه ولم يبلغ أن يُسْتَحَفَّ جداً ؛ فأخرج ليلةً ثلاثَ بَدَرٍ وقال : مَنْ أطربني فهي له . فغناه ابن جامع وإبراهيم الموصلي والزبير بن دَحْمَانَ فلم يصنعوا شيئاً ، وعرفت ما أراد فغنيته لابن سريج : [من المنسرح]

صوت

غَرَاءُ كالليلة المباركة أَلْ	قَمَرَاءُ تَهْدِي أوائلَ الظَّلَمِ
أَكُنِّي بغير اسمها وقد علم اللد	لَه خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَمِ
كَأَنَّ فَاها إذا تُنْسَمُ عَنْ	طِيب مَشْمٌ وحسن مُبْتَسَمِ

1 علي بن يقطين ولد بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة وكان والده يقطين بن موسى البغدادي من وجوه الدعاة ، وطلبه مروان فهرب .

2 هو صالح بن علي بن عطية الأضجَم الراوي .

يُسْنُ بِالضَّرَوِ مِنْ بَرَاقِشَ أَوْ هَيْلَانَ أَوْ يَانَعَ مِنَ الْعُتَمِ¹

الشعر في هذا الغناء للناطقة الجعديّ ؛ والصنعة لابن سُرَيْج رمل بالبصرة ، فوثب عن فراشه طرباً وقال : أَحَسَنْتَ أَحَسَنْتَ أَحَسَنْتَ وَاللَّهِ ! إِسْقُونِي فَسُقِي . وَوُثِقْتُ بَأَنَّ الْبَدْرَ لِي ، فَقَمْتُ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا . فَأَحْسَنَ ابْنُ جَامِعِ الْمَحْضَرِ وقال : أَحْسَنَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّهُ لَمُحْسِنٌ مُجْمِلٌ . فَلَمَّا سَكَنَ² أَمَرَ الْفَرَاشِينَ بِحَمْلِهَا مَعِيَ . فَقُلْتُ لَابْنِ جَامِعِ : مِثْلُكَ يَقْعَلُ مَا فَعَلْتَ فِي شَرْفِكَ وَنَسَبِكَ ! فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَشْرَفْنِي بِقَبُولِ إِحْدَاهَا فَعَلْتَ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ زَادَكَ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُهْنِكَ مَا رَزَقَكَ . وَلِحَقْنِي الْمَوْصِلِي فَقَالَ : آخِذْ يَا حَكَمٌ مِنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ وَلَا دَرَهُمَا وَاحِدًا لِأَنَّكَ لَمْ تُحَسِّنِ الْمَحْضَرَ .

[موته وشعر الدارمي فيه]

ومات حَكَمُ الْوَادِي مِنْ قُرْحَةٍ أَصَابَتْهُ فِي صَدْرِهِ . فَقَالَ الدَّارِمِيُّ فِيهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ : [مِنْ السَّرِيعِ]

صوت

إِنَّ أَبَا يَحْيَى اشْتَكَى عِلَّةً أَصْبَحَ مِنْهَا بَيْنَ عُوَادٍ
فَقُلْتُ وَالْقَلْبُ بِهِ مُوجَعٌ يَا رَبَّ عَافِ الْحَكَمَ الْوَادِي
فَرُبَّ بَيْضٍ قَادَةٍ سَادَةٍ كَأَنْصُلٍ سُلَّتْ مِنْ أَعْمَادٍ
نَادَمَهُمْ فِي مَجْلَسٍ لَاهِيًا فَأَصْمَتَ الْمُنْشِدَ وَالشَّادِي
غَنَى فِيهِ حَكَمُ الْوَادِي هَزَجًا بِالْبَنْصَرِ .

صوت

من المائة المختارة

[مِنْ الْكَامِلِ]

أَعَارِفَ الدَّمَنَ الْفِقَارَ تَوَهُمٌ وَلَقَدْ مَضَى حَوْلَ لَهْنٍ مُجَرَّمٍ³
وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى الدِّيارِ لَعَلَّهَا بِجَوَابِ رَجْعِ تَحِيَّةٍ تَتَكَلَّمُ

1 يُسْنُ فِي ل : يَسْتَن . الضَّرَوِ : شَجَرَةُ الْكَمَكَم . هَيْلَانَ فِي ل : هَمْلَانَ . الْعُتَم : شَجَرُ الزَّيْتُون .

2 فِي ل : سَكَّر .

3 مُجَرَّم : مَنْقُطَعٌ وَمَنْصَرَمٌ .

عن عِلْمٍ مَا فَعَلَ الْخَلِيطُ ، فَمَا دَرَتْ
 أَنِّي تَوَجَّهَ بِالْخَلِيطِ الْمَوْسِمُ
 وَلَقَدْ عَهِدْتُ بِهَا سُعَادَ وَإِنَّهَا
 بِاللَّهِ جَاهِدَةَ الْيَمِينِ لَتُقْسِمُ
 إِنِّي لَأُوجِّهُ مَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهَا
 بِالْيَةِ وَمُخَالَفَ مَنْ يَزْعُمُ
 فَلَهَا لَدَيْنَا بِالَّذِي بَذَلْتُ لَنَا
 وَدَّ يَطُولُ لَهُ الْعَنَاءُ وَيَعْظُمُ

عروضه من الكامل . الشعر لنصيب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان .
 والغناء لابن جاعم . له فيه لحنان ذكرهما إسحاق ، أحدهما ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في
 مجرى الوسطى والآخر خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ولإبراهيم في
 البيتين الأولين ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى . ولإسحاق وسياطر فيهما ثقيل بالنصر
 عن عمرو .

[96] - ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

[نسبه]

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطَّلِب بن أبي¹ وداعة بن ضُبيرة [بن سَعِيد] بن سعد بن سَهْم [بن عمرو] بن هُصَيْن بن كَعْب بن لُؤي بن غالب .
[ضبيرة السهمي جد ابن جامع وشيء من أخباره]

أخبرني الطُّوسِيّ عن الزُّبَيْر بن بَكَّار عن عمِّه مصعب ، وأخبرنا محمد بن جرير الطَّبْرِيّ قال حدثنا محمد بن حُمَيْد عن سَلَمَة عن ابن إسحاق قالاً جميعاً : مات ضُبيرة السَّهْمِيّ وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا لحيته شَيْب . فقال بعض شعراء قريش يرثيه : [من مجزوء الكامل]

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ إِ نَّ ضُبِيرَةَ السَّهْمِيّ مَاتَا
سَبَقَتْ مَنِيَّتُهُ الْمَشِيءَ بَ وَكَانَ مَيِّتُهُ افْتَلَاتَا
فَتَزَوَّدُوا لَا تَهْلِكُوا مِنْ دُونِ أَهْلِكُمْ خَفَاتَا²

قال : وأسير أبو وداعة كافراً يوم بدر ففداه ابنه المطَّلِب ، وكان المطَّلِب رجلاً صدق . وقد روى عن النبي ﷺ الحديث .
[كنية ابن جامع وشيء من أخبار أمه]

ويكنى ابن جامع أبا القاسم . وأمّه امرأة من بني سَهْم ، وتزوجت بعد أبيه رجلاً من أهل اليمن . فذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن حماد عن أبيه عن بعض أصحابه عن عَوْن حاجب مَعْن بن زائدة قال : رأيتُ³ أم ابن جامع مَعْن بن زائدة وابن جامع معها وهو صغير وهو ضعيف⁴ . يتبعها ويطأ ذيلها وكانت من قريش ، ومَعْن يومئذ على اليمن . فقالت : أصلح الله الأمير ، إن عمي زوجني زوجاً ليس بكفء ففرق بيني وبينه . قال : مَنْ هو ؟ قالت : ابنُ ذي مناجب . قال : عليّ به . قال : فدخل أقبح مَنْ خلق الله وأشوهه خلقاً . قال : مَنْ هذه منك ؟ قال : امرأتي . قال : خلّ سبيلها ، ففعل . فأطرق مَعْن ساعة ثم رفع رأسه فقال :

[من الطويل]

1 اسم أبي وداعة : الحارث .

2 خفت الرجل خفاناً : مات فجأة .

3 في ل : أنت .

4 في ل : صغير .

لعمري لقد أصبحت غير محبب ولا حسن في عينها ذا مناجب
فما لمتها لما تبينت وجهه وعيناً له حوصاء من تحت حاجب
وأناً كأنف البكر يقطر دائباً على لحية عصلاء شابت وشارب¹
أتيت بها مثل المهاة تسوقها فيا حسن مجلوب ويا قبح جالب

وأمر لها بمائتي دينار وقال لها : تجهزي بها إلى بلادك .

[سأله الرشيد عن نسبه فأحاله على إسحاق الموصلي]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني حماد عن أبيه : أن الرشيد سأل ابن جامع يوماً عن نسبه وقال له : أي بني الإنس وكذلك يا إسماعيل ؟ قال : لا أدري ، ولكن سأل ابن أخي (يعني إسحاق) ، وكان يماظ² إبراهيم الموصلي ويميل إلى ابنه إسحاق ، قال إسحاق : ثم التفت إلي ابن جامع فقال : أخبره يا ابن أخي بنسب عمك . فقال له الرشيد : قبحك الله شيخاً من قريش ! تجهل نسبك حتى يخبرك به غيرك وهو رجل من العجم ! .

[شيء من ورعه وتقواه]

قال هارون حدثني عبد الله بن عمرو قال حدثني أبو هشام محمد بن عبد الملك المخزومي قال أخبرني محمد بن عبد الله بن أبي فروة بن³ أبي قراد المخزومي قال : كان ابن جامع من أحفظ خلقي الله لكتاب الله وأعلمه بما يحتاج إليه ، كان يخرج من منزله يوم الجمعة مع الفجر فيصلي الصبح ثم يصف قدميه حتى تطلع الشمس ، ولا يصلي الناس الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله .

[وقف معه أبو يوسف القاضي بباب الرشيد ولم يعرفه]

قال هارون وحدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني صالح بن علي بن عطية وغيره من رجال أهل العسكر قالوا : قدم ابن جامع قدمة له من مكة على الرشيد ، وكان ابن جامع حسن السميت كثير الصلاة قد أخذ السجود جبهته ، وكان يعتن بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ، ويلبس لباس الفقهاء ، ويركب حمراً مريسياً⁴ في زي أهل الحجاز . فبينا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذن عليه ، فوقف على ما كان يقف الناس عليه في القديم حتى يأذن لهم أو يصرفهم ، أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهل القلائس ؛ فلما هجم على

1 عصلاء : معوجة .

2 ماظظت فلاناً : شارته ونازعته .

3 في ل : عن .

4 مريسي : نسبة إلى مريسة : قرية بمصر من ناحية الصعيد .

الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه ، فوقعت عينه على ابن جامع فرأى سَمَتَهُ وحلاوة هيئته ، فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال له : أُمْتُعَ اللهُ بك ، تَوَسَّمتُ فيك الحِجَازِيَّةَ والقُرَشِيَّةَ ؛ قال : أُصِبتَ . قال : فمن أيِّ قريش أنت ؟ قال : من بني سَهْم . قال : فأيُّ الحرمين منزلك ؟ قال : مَكَّة . قال : ومن لقيت من فقهاءهم ؟ قال : سَلُّ عَمِّن شئت . ففاتحه الفقه والحديث فوجد عنده ما أحبُّ فأعجب به . ونظر الناسُ إليهما فقالوا : هذا القاضي قد أقبل على المغنِّي ، وأبو يوسف لا يعلم أنَّه ابنُ جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه ؛ ثم قالوا : لا ، لعلَّه لا يعود إلى موافقته بعد اليوم ، فلمَ نَعْمه . فلمَّا كان الإذنُ الثاني ليحيى غداً عليه الناسُ وغداً عليه أبو يوسف ، فنظر يطلبُ ابنُ جامعَ فرآه ، فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويلاً كما فعل في المَرَّة الأولى . فلمَّا انصرف قال له بعضُ أصحابه : أيُّها القاضي ، أتعرف هذا الذي تَوَاقِف وتُحَادِث ؟ قال : نعم ، رجلٌ من قريش من أهل مَكَّة من الفقهاء . قالوا : هذا ابن جامع المغنِّي ؛ قال : إنا لله ! . قالوا : إنَّ الناس قد شَهَرُوك بموافقته وأنكروا ذلك من فعلك . فلمَّا كان الإذنُ الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكبه ، وعرف ابنُ جامع أنَّه قد أُنذِر به ، فجاء فوقف فسَلَّمَ عليه ، فردَّ السَّلامَ عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه . فدنا منه ابنُ جامع ، وعرف الناسُ القِصَّةَ ، وكان ابنُ جامع جَهْراً فرفع صوته ثم قال : يا أبا يوسف ، ما لك تنحرف عني ؟ أيُّ شيء أنكرت ؟ قالوا لك : إنَّي ابنُ جامع المغنِّي فكِرِهتَ موافقتي لك ! أسألك عن مسألة ثم اصنع ما شئت ؛ ومال الناس فاقبلوا نحوهما يستمعون . فقال : يا أبا يوسف ، لو أنَّ أعرابياً جُلُفاً وقفَ بين يديك فأتشدك بعجاء وغلظة من لسانه وقال :

يا دار مَيَّة بالعلِّياء فالسَّند أقوتَ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ

أكنتَ ترى بذلك بأساً ؟ قال : لا ، قد رُوي عن النبي ﷺ في الشعر قولٌ ، وروي في الحديث . قال ابن جامع : فإن قلتُ أنا هكذا ، ثم اندفع يتغنى فيه حتى أتى عليه ؛ ثم قال : يا أبا يوسف ، رأيتني زِدْتُ فيه أو نقصتُ منه ؟ قال : عافاك اللهُ ، أعفنا من ذلك . قال : يا أبا يوسف ، أنت صاحبُ فُتْيَا ، ما زدته على أنَّ حسنته بالفاظي فحسُنَ في السماع ووصل إلى القلب . ثم تنحَّى عنه ابن جامع .

[سأل سفيان بن عيينة عن السبب الذي أصاب به مالا فأجيب]

قال : وحدثني عبد الله بن شبيب قال حدثني إبراهيم بن المنذر عن سفيان بن عيينة ، ومرَّ به ابنُ جامع يسحبُ الخَرَّ ، فقال لبعض أصحابه : بلغني أنَّ هذا القرشيَّ أصاب مالا من بعض الخلفاء ، فبأيِّ شيء أصابه ؟ قالوا : بالغناء . قال : فمن منكم يذكر بعض ذلك ؟ فأنشد بعضُ

أصحابه ما يَعْنِي فيه : [من المتقارب]

وَأَصْحَبُ بِاللَّيْلِ أَهْلَ الطَّوَافِ وَأَرْفَعُ مِنْ مِئْزَرِي الْمُسْبِلِ
قال : أَحْسَنُ ، هيه ! قال :

وَأَسْجُدُ بِاللَّيْلِ حَتَّى الصَّبَاحِ وَأَتْلُو مِنْ الْمُحْكَمِ الْمُنْزَلِ
قال : أَحْسَنُ ، هيه ! قال :

عَسَى فَارِجُ الْكَرْبِ عَنْ يَوْسُفٍ يُسَخِّرُ لِي رَبَّةَ الْمُحْمِلِ
قال : أَمَّا هَذَا فَدَعُوهُ .

[كان يعدّ صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن]

وحدّثني مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْعَتَّابِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ حَدَّثَنِي طَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : كَانَ ابْنُ جَامِعٍ يُعِدُّ صِيحَةَ الصَّوْتِ قَبْلَ أَنْ يَصْنَعَ عَمُودَ اللَّحْنِ .
[اشتغاله بالقمار وحبّ الكلاب]

وحدّث مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو حَارِثَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ عَنْ أَخِيهِ أَبِي مَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ جَامِعٍ : لَوْلَا أَنَّ الْقِمَارَ وَحِبَّ الْكِلَابِ قَدْ شَغَلَانِي لَتَرَكْتُ الْمَغْنِينَ لَا يَأْكُلُونَ الْخَبِيزَ .

[دعا كلباً أهدي إليه باسم من دفتر فيه أسماء الكلاب]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ ابْنِ خُرْدَاذْبِهِ قَالَ : أَهْدَى رَجُلٌ إِلَى ابْنِ جَامِعٍ كَلْباً فَقَالَ : مَا اسْمُهُ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي ، فَدَعَا بِدَفْتَرِ فِيهِ أَسْمَاءُ الْكِلَابِ فَجَعَلَ يَدْعُوهُ بِكُلِّ اسْمٍ فِيهِ حَتَّى أَجَابَهُ الْكَلْبُ .

[ألقي على ابنه هشام صوتاً سمعه من الجن]

قال هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَكِّيَّ قَالَ حَدَّثَنِي حَوْلاءُ مَوْلَاةُ ابْنِ جَامِعٍ قَالَتْ : انْتَبَهَ مَوْلَايَ يَوْماً مِنْ قَائِلَتِهِ فَقَالَ : عَلِيٌّ بِهَشَامٍ (بمعني ابنه) ادْعُوهُ لِي عَجِّلُوهُ ، فَجَاءَ مَسْرِعاً . فَقَالَ : أَيُّ بَنِيَّ ، خَذِ الْعُودَ ، فَإِنْ رَجَلَا مِنْ الْجِنِّ أَلْقَى عَلِيٌّ فِي قَائِلَتِي صَوْتاً فَأَخَافُ أَنْ أَنْسَاهُ . فَأَخَذَ هَشَامُ الْعُودَ وَتَغَنَّى ابْنُ جَامِعٍ عَلَيْهِ رَمَلاً لَمْ أَسْمَعْ لَهُ رَمَلاً أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَهُوَ :

صوت

أَمْسَتْ رُسُومُ الدِّيارِ غَيْرَهَا هَوَجُ الرِّياحِ الرِّعَازِ الْعُصْفِ
وَكُلُّ حَنَانَةٍ لَهَا زَجَلٌ مِثْلُ حَيْنِ الرُّوَّائِمِ الشُّغْفِ

فأخذه عنه هشام ، فكان بعد ذلك يتغنّاه وينسُبه إلى الجنّ . وفي هذا الصوت للهذليّ لحنٌ من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو ، وقيل : إنّ هذا اللحن لعبّادٍ . وفيه لابن جامع الرمل المذكور .
[أخذ بيتين غنّى بهما الرشيد عشرة آلاف دينار]

قال هارون وحديثي أحمد بن بشر بن عبد الوهاب قال حدثني محمد بن موسى¹ بن فليج الخزاعيّ قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد المكيّ قال : قال لي ابن جامع : أخذتُ من هارون بيتين غنّيته بهما عشرة آلاف دينار :

صوت

لا بدّ للعاشق من وقفة	تكون بين الوصل والصّرم
يَعْتَبُ أحياناً وفي عتبه	إظهار ما يُخفي من السُّقم
إشفاقه داعٍ إلى ظنّه	وظنّه داعٍ إلى الظلم
حتى إذا ما مضى هجره	راجع مَنْ يَهْوَى على رَغْمٍ ²

هكذا رُوّيته . الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى . وذكر ابن بانة أنّ هذا اللحن لسليم . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، قال : ثم قال لي ابن جامع : فمتى تُصيب أنت بالمروءة شيئاً !
[صادفه جماعة من القرشيين بفخّ وهو يغني]

وقال هارون حدثني أحمد بن زهير قال حدثني مُصعب بن عبد الله قال : خرج ابن أبي عمرو الغفاريّ وعبد الرحمن بن أبي قباحة وغيرهما من القرشيين عُمّاراً يريدون مكة ؛ فلمّا كانوا بفخّ³ نزلوا على البئر التي هناك ليغتسلوا فيها : قال : فينا نحن تغتسل إذ سمعنا صوت غناء ؛ فقلنا : لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم ! فأتيناهم ، فإذا ابن جامع وأصحاب له يغنون وعندهم فضيخ⁴ لهم يشربون منه ؛ فقالوا⁵ : تقدّموا يا فتيان ، فتقدّم ابن أبي عمرو فجلس مع القوم وكان رأسهم ، فجلسنا نشرب ؛ وطرب ابن أبي قباحة فغنّى . فقال ابن جامع : وأبائي وأمّي ! ابن أبي قباحة وإلّا فهو ابن الفاعلة . فقام ابن أبي

1 في ل : عيسى .

2 مضى هجره في ل : تمادى به .

3 فخّ : وإد بمكة .

4 فضيخ : عصير العنب ، وشراب يُتخذ من بسر مفضوخ (مطبوخ) .

5 في ل : فقال ابن جامع .

عمرو فأخرج من وسطه هِمِيَانًا فيه ثلثمائة درهم فنثرها على ابن أبي قباحة . فقال ابن جامع : امضوا بنا إلى المنزل ، فمضينا فأقمنا عنده شهراً ما نبرح ونحن على إحرامنا ذلك .
[غُتَّ جاريتُه الحولاء صوتاً له في جارية سوداء يحبها]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ النَّوْفَلِيِّ عَنْ جَارِيَةِ ابْنِ جَامِعِ الْهَوْلَاءِ قَالَ : وَكَانَتْ تَتَّبَنَانِي فَتَغَنَّتْ يَوْماً وَطَرِبْتُ وَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ ، أَلَا أُغْنِيكَ هَزْجاً لِسَيِّدِي فِي عَشِيقَةٍ لَهُ سَوْدَاءُ ؟ قُلْتُ : بَلَى . فَتَغَنَّتْ هَزْجاً مَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَهُوَ :

صوت

أَشْبَهَكَ الْمِسْكُ وَأَشْبَهَتْهُ قَائِمَةٌ فِي لَوْنِهِ قَاعِدُهُ
لَا شَكَّ إِذْ لَوْنُكُمَا وَاحِدٌ أَنْكُمَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ

وقد رُوي هذا الشعر لأبي حَفْصٍ¹ الشُّطْرَنْجِيَّ يَقُولُهُ فِي دَنَانِيرٍ² مَوْلَاةِ الْبَرَامِكَةِ . وَنُسِبَ هَذَا الْهَزَجُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَابْنِ جَامِعٍ وَغَيْرِهِمَا .
[شَبَّهَهُ بِرُصُومِ الزَّامِرِ بِرَقِّ عَسَلٍ]

قال عبد الله بن عمرو حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ إِسْمَاعِيلَ الزُّهْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ يَلْقُبُ الْأَبْلَهَ ، قَالَ : قَالَ بِرُصُومِ الزَّامِرِ ، وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ وَابْنُ جَامِعٍ ، فَقَالَ : الْمَوْصِلِيُّ بَسْتَانٌ تَجِدُ فِيهِ الْحُلُوفَ وَالْحَامِضَ وَطَرِيقاً لَمْ يَنْضَجْ ، فَتَأْكُلُ مِنْهُ مَنْ ذَا وَذَا . وَابْنُ جَامِعٍ زَقَّ عَسَلٍ ، إِنْ فَتَحْتَ فَمَهُ خَرَجَ عَسَلٌ حَلُوٌ ، وَإِنْ خَرَقْتَ جَنْبَهُ خَرَجَ عَسَلٌ حَلُوٌ ، وَإِنْ فَتَحْتَ يَدَهُ خَرَجَ عَسَلٌ حَلُوٌ ، كُلُّهُ جَيِّدٌ .
[غَنَى عِنْدَ الرَّشِيدِ وَهُوَ سَكْرَانٌ فَأَخْطَأَ]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ وَحَمَّادٌ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِيِّ ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يُفَضِّلُ ابْنَ جَامِعٍ وَلَا يَقْدِمُ عَلَيْهِ أَحَدًا ، وَابْنُ جَامِعٍ يَمِيلُ إِلَيْهِ ، قَالَ : كُنَّا فِي مَجْلِسِ الرَّشِيدِ وَقَدْ غَلَبَ عَلَى ابْنِ جَامِعِ النَّبِيدُ ، فَغَنَى صَوْتًا فَأَخْطَأَ فِي أَقْسَامِهِ ؛ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ فَقَالَ : قَدْ خَرِيَ فِيهِ ؛ وَفَهَمْتُ صِدْقَهُ قَالَ : فَقُلْتُ لِابْنِ جَامِعٍ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، أَعِدِ الصَّوْتَ وَتَحَفَّظْ فِيهِ ؛ فَاتَّبَعَهُ وَأَعَادَهُ فَأَصَابَ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ :

1 أبو حفص : عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس . وكان أبو حفص لاعباً بالشطرنج مشغولاً به ، فلَقَّبَ به لغلبته عليه .
2 دنانير : مولاة يحيى بن خالد البرمكي .

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدَهُ رَمَانِي

وَتَنَكَّرَ لِي لَيْلِي مَعَ ابْنِ جَامِعٍ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ لِلرَّشِيدِ بَعْدَ أَيَّامٍ : إِنْ لِي حَاجَةٌ إِلَيْكَ . قَالَ :
وَمَا هِيَ ؟ قُلْتُ : تَسْأَلُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ أَنْ يَرْضَى عَنِّي وَيَعُودَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : إِنَّمَا
هُوَ عَبْدُكَ ، وَقَالَ لَهُ : فَمَنْ إِلَيْهِ فَقَبَّلْ رَأْسَهُ . فَقُلْتُ : لَا يَنْفَعُنِي رِضَاهُ فِي الظَّاهِرِ دُونَ الْبَاطِنِ ،
فَسَلِّهِ أَنْ يَصْحَحَ الرِّضَا . فَقَامَ إِلَيَّ لِيَقْبَلَ رَأْسِي كَمَا أَمَرَ ، فَقَالَ لِي وَقَدْ أَكْبَبْتُ عَلَيَّ لِيَقْبَلَ رَأْسِي :
أَتَعُودُ ؟ قُلْتُ لَا . قَالَ : قَدْ رَضِيتُ عَنْكَ رِضًا صَحِيحًا . وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ .
[غَنَى بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ عِنْدَ الرَّشِيدِ فَأُجَادَ]

وَقَالَ حَمَّادٌ عَنْ أَبِي يَحْيَى الْعِبَادِيِّ قَالَ : قَدِيمُ حَوْرَاءِ غَلَامِ حَمَّادِ الشَّعْرَانِي وَكَانَ أَحَدَ الْمَغْنِيِّينَ
الْمُجِيدِينَ قَالَ حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ : كُنَّا فِي دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ فَصَاحَ بِالْمَغْنِيِّينَ : مَنْ
فِيكُمْ يَعْرِفُ :

وَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتَمَ عَلِيٍّ لَكَ حَتَّى تُتَاخِي بِأَبْوَابِهَا ؟
الشَّعْرُ لِلْأَعَشَى ، فَبَدَّرَهُمُ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيَّ فَقَالَ : أَنَا أَغْنِيهِ ، وَغَنَاهُ فَجَاءَ بِشَيْءٍ عَجِيبٍ .
فَغَضِبَ ابْنُ جَامِعٍ وَقَالَ لَزُلْزَلٍ : دَعِ الْعُودَ ، أَنَا مِنْ جِحَاشٍ وَجَرَّةٍ¹ لَا أُحْتَاجُ إِلَى بَيْطَارٍ ؛ ثُمَّ
غَنَى الصَّوْتَ ؛ فَصَاحَ إِلَيْهِ مَسْرُورٌ² : أَحْسَنْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ؛ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المتقارب]

وَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتَمَ عَلِيٍّ	لَكَ حَتَّى تُتَاخِي بِأَبْوَابِهَا
نَزَّورُ يَزِيدَ وَعَبْدُ الْمَسِيحِ	وَقِيصًا هُمْ خَيْرُ أَرْبَابِهَا
وَشَاهِدُنَا الْجُلَّ وَالْيَاسِمِ	نُ وَالْمُسْمِعَاتُ بِقُصَابِهَا ³
وَبَرَبُّنَا دَائِمٌ مُعْمَلٌ	فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَزْرَى بِهَا
تَنَازَعَنِي إِذْ خَلَّتْ بُرْدُهَا	مَعْطَرَةً غَيْرَ جِلْبَابِهَا
فَلَمَّا التَقِينَا عَلَى آلَةٍ	وَمَدَّتْ إِلَيَّ بِأَسْبَابِهَا

1 وجرة : على بعد نحو أربعين ميلاً من البصرة في طريق مكة .

2 مسرور : أبو هاشم خدام الرشيد ، وكان أوثق رجاله عنده وقد تولَّى له قتل جعفر بن يحيى البرمكي .

3 الجُلَّ : الورد الأبيض وأحمره وأصفره واحده جَلَّة . القصاية : المزمار والجمع القُصَابُ وأراد الأعشى الأوتار .

الشعر للأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة . وهؤلاء الذين ذكرهم أساقفة نجران ، وكان يزورهم ويمدحهم ، ويمدح العاقب والسيد ، وهما ملكا نجران ، ويقيم عندهما ما شاء ، يسقونه الخمر ويسمونه الغناء الرومي ، فإذا انصرف أجزلوا صلته .

أخبرنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي ، وله أخبار كثيرة معهم تذكر في مواضعها إن شاء الله . والغناء لحنين الحيري خفيف ثقيل بالوسطى في مخرجها عن إسحاق في الأربعة الأول . وذكر عمرو أنه لابن مُحَرِّز . وذكر يونس أن فيها لحناً لمالك ولم يُجَنِّسه . وذكر الهشامي أن في الخامس والسادس ثم الأول والثاني خفيف رمل بالوسطى ليحيى المكي .

[استحضره الفضل بن الربيع لما ولي الهادي]

وقال حماد عن مصعب بن عبد الله قال حدثني الطراز وكان برید الفضل بن الربيع قال : لما مات المهدي ومُلك موسى الهادي أعطاني الفضل دنانير وقال : الحق بمكة فأتني بابل جامع وأحمله في قبة ولا تعلمن بداً أحداً ؛ ففعلت فأنزلته عندي واشترت له جارية ، وكان ابن جامع صاحب نساء . فذكره موسى ذات ليلة ، وكان هو والحرائي¹ منقطعين إلى موسى أيام المهدي فضربهما المهدي وطردهما ، فقال لجلسائه : أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع وقد علمتم موقعه مني ! فقال له الفضل بن الربيع : هو والله عندي يا أمير المؤمنين وقد فعلت الذي أردت . وبعث إليه فأتي به في الليل . فوصل الفضل تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولاه حجابته .

[غنى هو وإبراهيم الموصلي الرشيد بشعر السعدي فمدحه وذم الموصلي]

قال إسحاق عن بعض أصحابه : كنا عند أمير المؤمنين الرشيد يوماً فقال الغلام الذي على الستارة : يا ابن جامع ، تغنّ ببيت السعدي² :

فلو سألت سراً الحي سلمى على أن قد تلون بي زماني
لخبرها ذوو الأحساب عني وأعدائي فكل قد بلاني
بذبي الذم عن حسبي بمالي وزبونات أشوس تيجان³

1 الحرائي : هو إبراهيم الحرائي من ندماء الهادي وكان قيماً على خزائن الأموال في أيامه .

2 هو سوار بن المضرب السعدي .

3 زبونات : دفعات ، واحدها زبونة ، يعني بذلك أحسابه ومفاخره أي أنها تدفع غيرها . تيجان : الذي يتعرض لكل مكرومة وأمر شديد .

وَأَنْتِي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ إِذَا لَمْ أَجِرْ كُنْتُ مِجَنًّا جَانِي

قال : فحرك ابن جامع رأسه ، وكان إذا اقترح عليه الخليفة شيئاً قد أحسنه وأكمله طار فرحاً ، فغنى به ؛ فأربد وجه إبراهيم لما سمعه منه ، وكذا كان ابن جامع أيضاً يفعل ؛ فقال له صاحب الستارة : أحسنت والله يا أميرى ! أعيد فأعاد ؛ فقال : أنت في حلبة لا يلحقك أحد فيها أبداً . ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم : تغنّ بهذا الشعر فتغنّى ؛ فلما فرغ قال : «مرعى ولا كالسعدان»¹ ! أخطأت في موضع كذا وفي موضع كذا . فقال : نفى إبراهيم من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين أخطأ حرفاً ، وقد علمت أني أغفلت في هذين الموضعين .

قال إبراهيم : فلما انصرفنا قلت لابن جامع : والله ما أعلم أن أحداً بقي في الأرض يعرف هذا الغناء معرفة أمير المؤمنين . قال : حق والله ، هو إنسان يسمع الغناء منذ عشرين سنة مع هذا الذكاء الذي فيه .

[صوت كان إذا غناه في مجلس لم يتغنّ بغيره]

قال إسحاق : كان ابن جامع إذا تغنى في هذا الشعر :

[من المجث]

صوت

مَنْ كَانَ يَيْكِي لِمَا بِي مِنْ طَوْلِ سَقَمٍ رَسِيسٍ²
فَالآنَ مِنْ قَبْلِ مَوْتِي لَا عِطْرَ بَعْدِ عَرُوسٍ³
بَنَيْتُمْ فِي فَوَادِي أَوْكَارَ طَيْرِ النَّحُوسِ
قَلْبِي فَرِيسُ الْمَنَايَا يَا وَيْحَهُ مِنْ فَرِيسِ

الشعر لرجل من قريش ، والغناء لابن جامع في طريقة الرمل ، لم يتغنّ في ذلك المجلس بغيره . وكان إذا أراد أن يتغنّى سأل أن يزمر عليه برصوما .

[سئل عن تفضيله برصوما فأجاب]

فلما كثر ذلك سأله إن كان يعلم ما يريد أن يغنيه قبل ذلك فقال : لا والله ، ولكنني إذا ابتدأت فغنيت في الشعر عرف الغرض الذي يصلح فما يجاوزه ، وكنت معه في راحة ؛ وذلك أن المغني إذا تغنى بزمر زامر فأكثر العمل على الزامر لأنه لا يقفو الأثر ؛ فإذا زمر برصوما فانا في راحة وهو في تعب ، وإذا زمر علي غيره فهو في راحة وأنا في تعب . فإن

1 مثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله .

2 الرسيس : الثابت الذي قد لزم مكانه .

3 هذا مثل يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس .

شككتكم فاسألوا برصوما ومنصور زلزل . فسألوهما عما قال ، فقالا : صدق .
[هم المهدي بضربه لاتصاله بالهادي]

قال وحدثني علي بن أحمد الباهلي قال : سمعت مُصعب بن عبد الله يقول : بلغ المهدي أن ابن جامع والموصلي يأتیان موسى¹ ، فبعث إليهما فجاء بهما ، فضرب الموصلي ضرباً مبرحاً ، وقال له ابن جامع : ارحم أمي ! فرق له وقال له : قبحك الله ! رجل من قريش يغني ! وطرده . فلما قام موسى ، وجه الفضل خلفه بريداً حتى جاء به ؛ فقال له موسى : ما كان ليفعل هذا غيرك .
[غنى عند الهادي فأعطاه ثلاثين ألف دينار]

قال وحدثني الزبير بن بكار قال قال لي فلفلة : تمنى يوماً موسى أمير المؤمنين ابن جامع ، فدفع إلي الفضل بن الربيع خمسمائة دينار وقال : امض حتى تحمل ابن جامع ، وبعث إليه بما يصلحه ، فمضيت فحملته . فلما دخلنا أدخله الفضل الحمام وأصلح من شأنه . ودخل على موسى فغناه فلم يُعجبه . فلما خرج قال له الفضل : تركت الخفيف وغنيت الثقل ، قال : فأدخلني عليه أخرى ؛ فأدخله فغنى الخفيف ؛ فقال : حاجتك فأعطاه ثلاثين ألف دينار .
[غنى عند الرشيد بين برصوما وزلزل بعد إبراهيم الموصلي فاجاد]

قال وحدثني عبد الرحمن بن أيوب قال حدثنا أبو يحيى العبادي قال حدثني ابن أبي الرجال قال حدثني زلزل قال : أبطأ إبراهيم الموصلي عن الرشيد ، فأمر مسروراً الخادم يسأل عنه ، وكان أمير المؤمنين قد صبر أمر المعنين إليه ، فقليل له : لم يأت بعد . ثم جاء في آخر النهار ، فقعد بيني وبين برصوما ، فغنى صوتاً له فأطربه وأطرب والله كل من كان في المجلس . قال : فقام ابن جامع من مجلسه فقعد بيني وبين برصوما ثم قال : أما والله يا نبطي ما أحسن إبراهيم وما أحسن غيركم . قال : ثم غنى فنسينا أنفسنا ، والله لكأن العود كان في يده .
[شهد له إبراهيم الموصلي بجودة الإيقاع]

قال وحدثني عمر بن شبة قال حدثني يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نهيك قال : دعا أبي الرشيد يوماً ، فاتاه ومعه جعفر بن يحيى ، فأقاما عنده ، وأتاها ابن جامع فغناها يومهما . فلما كان الغد انصرف الرشيد وأقام جعفر . قال : فدخل عليهم إبراهيم الموصلي فسأل جعفر عن يومهم ؛ فأخبره وقال له : لم يزل ابن جامع يغنيني إلا أنه كان يخرج من الإيقاع ، وهو في قوله يريد أن يطيب نفس إبراهيم الموصلي ، قال : فقال له إبراهيم : أتريد أن تطيب نفسي بما لا تطيب به ؟ لا والله ، ما ضرت ابن جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع ، فكيف يخرج من الإيقاع ؟ .

[احتال في عزل العثماني عن مكة أيام الرشيد]

قال وحدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدثني أبي قال : كان سبب عزل العثماني¹ أن ابن جامع سأل الرشيد أن يأذن له في المهارشة بالديوك والكلاب ولا يُحد في النيذ ، فأذن له وكسب له بذلك كتاباً إلى العثماني . فلما وصل الكتاب قال : كذبت ؛ أمير المؤمنين لا يُحل ما حرم الله ، وهذا كتاب مزور . والله لئن تفتكت على حال من هذه الأحوال لأودبتك أدبك . قال : فحذره ابن جامع . ووقع بين العثماني وحماد البيزدي ، وهو على البريد ، ما يقع بين العمال . فلما حج هارون ، قال حماد لابن جامع : أعني عليه حتى أعزله ؛ قال : أفعل . قال : فابدأ أنت وقُل : إنه ظالم فاجر واستشهدني . فقال له ابن جامع : هذا لا يُقبل في العثماني ، ويفهم أمير المؤمنين كذبنا ، ولكنني أحتال من جهة الطفل من هذه . قال : فسأله هارون ابتداء . فقال له : يا ابن جامع ، كيف أميركم العثماني ؟ قال : خير أمير وأعدله وأفضله وأقومه بحق لولا ضعف في عقله . قال : وما ضعفه ؟ قال : قد أفنى الكلاب . قال : وما دعاه إلى إفنائها ؟ قال : زعم أن كلباً دنا من عثمان بن عفان يوم القي على الكناس فأكل وجهه ، فغضب على الكلاب فهو يقتلها . فقال : هذا ضعيف ، اعزلوه ! فكان سبب عزله . [أخبره إبراهيم بن المهدي بموت أمه كذباً ليحسن غاؤه]

قال هارون بن محمد وحدثني الحسن بن محمد الغياثي² قال حدثني أبي عن القطراني قال : كان ابن جامع باراً بوالدته ، وكانت مقيمة بالمدينة وبمكة . فدعاه إبراهيم بن المهدي وأظهر له كتاباً إلى أمير المؤمنين فيه نعي والدته . قال : فجزع لذلك جزعاً شديداً ، وجعل أصحابه يُعزونه ويؤنسونه ؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طعم وشرب ، وسأله الغناء فامتنع . فقال له إبراهيم بن المهدي : إنك ستبذل هذا لأمر المؤمنين ، فابذله لإخوانك ؛ فاندفع يُغني :

صوت

كم بالدرُوب وأرض الروم من قَدَم
وَمِنْ جِماجم صَرَعى ما هم قَبُرُوا
بِقُنْدَهَارَ وَمَنْ تُقَدَّرَ مِنْتِه
بِقُنْدَهَارَ يُرْجَمُ دونه الخبر³

الشعر ليزيد بن مُفرَّغ الحميري . والغناء لابن جامع رمل . وفيه لابن سريج خفيف رمل جميعاً عن الهشامي قال : وجعل إبراهيم يسترده حتى صلح له . ثم قال : لا والله ما كان مما

1 العثماني : هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان .

2 في ل : العتابي .

3 قندهار : مدينة في أفغانستان الآن .

خبرناك شيء إنما مزحنا بك . قال : ثم قال له : ردّ الصوت ؛ فغناه فلم يكن من الغناء الأوّل في شيء . فقال له إبراهيم : خذه الآن عليّ ، فأدّاه إبراهيم على السماع الأوّل . فقال له ابن جامع : أحبّ أن تطرحه أنت على كذا .

[هوّم في مجلس الرشيد ثم انتبه من نومه وغناه فأعجب به]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ عن أحمد بن يحيى المكيّ قال : كان أبي بين يديّ الرشيد وابن جامع معه يغني بين يديّ الرشيد . فغناه :

خليفة لا يخيبُ سائله عليه تاجُ الوقارِ مُعتدلُ

قال : وغنّى من يتلوه . وهوّم¹ ابن جامع سكرًا ونعاسًا . فلما دار الغناء على أصحابه وصارت النوبة إليه ، حرّكه من بجنبه لنوبته فانتبه وهو يغني :

إسْلَمَ وحييت أيُّها الطلُّ وإن عَفَتِكَ الرياحُ والسَّبلُ²

قال : وهو يتلو البيت الأوّل ، فعجب أهلُ المجلس من ذكائه وفهمه ، وأعجب ذلك الرشيد .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المنسرح]

إِسْلَمَ وحييت أيُّها الطلُّ وإن عَفَتِكَ الرياحُ والسَّبلُ

خليفة لا يخيبُ سائله عليه تاجُ الوقارِ مُعتدلُ

الشعر لأشجع أو لسلم الخاسر يمدح به موسى الهادي . والغناء لابن جامع ثقیلٌ أوّلٌ بالوسطى ، من رواية الهشاميّ وأحمد بن يحيى المكيّ .

[أخبره الرشيد بموت أمّه كذباً ليحسن غناؤه]

قال هارون وقد حدّثني بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيوب قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال : كان ابن جامع أحسنَ ما يكون غناءً إذا حَزَنَ حَسَنَ صوته . فأحبّ الرشيد أن يسمع ذلك على تلك الحال ، فقال للفضل بن الربيع : ابعثْ خريطةً فيها نعيّ أم ابن جامع وكان باراً بأمّه ففعل . فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس لهو ،

1 هوّم : هز رأسه من النعاس ، وقيل : نام قليلاً .

2 السَّبل : المطر .

فقال : يا ابنَ جامع ، جاء في هذه الخريطة نعيُ أُمِّكَ . فاندفع ابن جامع يغني بتلك الحُرقة والحزن الذي في قلبه :

كَمْ بالدُّروبِ وأَرْضِ السُّدِّ من قَدَمٍ ومن جِماجمِ صَرَعى ما بها قُبُروا
بِقُنْدُهاَرِ ومن تُكْتَبُ مَنيَّتُهُ بِقُنْدُهاَرِ يُرْجَمُ دونَهُ الخَيْرُ

قال : فوالله ما ملكنا أنفسنا ، ورأيتُ الغلمانَ يضربون برؤوسهم الحيطانَ والأساطينَ ، قال هارون : لا أشكُ أنَّ ابنَ المكيِّ قد حدَّثَ به عن رجلٍ حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيُّوب ، قال : ثم غنى بعد ذلك :

يا صاحبَ القبرِ الغريبِ
وهو لحنٌ قديمٌ . وفيه لحن لابن المكيِّ ، فقال له الرشيد : أحسنتَ ! وأمر له بعشرة آلاف دينار .

نسبة هذا الصوت الأخير صوت

[من مجزوء الكامل]

يا صاحبَ القبرِ الغريبِ	بالشامِ في طَرَفِ الكَثِيبِ
بالجُجْرِ بينَ صفائحِ	صُمٌّ تُرَصِّفُ بالجُيُوبِ ¹
رَصْفاً ولحدٍ مُمكنٍ	تحتَ العَجاجَةِ في القلبِ
فإذا ذكُرتُ أَتَينُهُ	ومغيبُهُ تحتَ المَغيِبِ
هاجَتُ لواعِجُ عَبرَةٍ	في الصَدرِ دائِمةَ الدَّيبِ
أَسْفاً لِحَسَنِ بَلائِهِ	ولمصرعِ الشَّيخِ الغَريبِ
أُقبلتُ أَطْلُبُ طِيبَهُ	والموتِ يُعْضِلُ بالطَّيِّبِ ²

الشعر لمكين العذري يرثي أباه ، وقيل : إنَّه لرجل خرج بابنه إلى الشام هرباً به من جارية هويها فمات هناك . والغناء لحكم الوادي ، رمل في مجرى البنصر . وقيل : إنَّ هذا الشعر لسلامة³ ترثي الوليد بن يزيد .

1 الحِجْر : قرية صغيرة كانت بين الشام والحجاز . الجُيُوب : الطُّوب المفتت .

2 أعْضِلَ به : أعياه وأعجزه .

3 هي سلامة القس .

[سمعت أم جعفر مع الرشيد فأمرت له بمائة ألف درهم لكل بيت غني فيه وعوضها الرشيد بكل درهم ديناراً]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحسن بن محمد قال حدثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدثني عبد الله بن علي بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد يحدث : أن أم جعفر بلغها أن الرشيد جالس وحده ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين ؛ فأرسلت إليه : يا أمير المؤمنين ، إني لم أرك منذ ثلاث وهذا اليوم الرابع . فأرسل إليها : عندي ابن جامع . فأرسلت إليه : أنت تعلم أنني لا أتھنأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تشركني فيه ، فما كان عليك أن أشركك في الذي أنت فيه ! فأرسل إليها : إني سائر إليك الساعة . ثم قام وأخذ بيد ابن جامع ، وقال لحسين الخادم : امض إليها فأعلمها أنني قد جئت . وأقبل الرشيد ، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله ، فوجه إليها : إن معي ابن جامع ؛ فعدلت إلى بعض المقاصير . وجاء الرشيد وصير ابن جامع في بعض المواضع التي يُسمع منه فيها ولا يكون حاضراً معهم . وجاءت أم جعفر فدخلت على الرشيد وأهوت لتكب على يده¹ ؛ فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها واعتنقته . ثم أمر ابن جامع أن يغني فاندفع غنى :

صوت

ما رَعَدَتْ رَعْدَةٌ ولا بَرَقَتْ لَكِنَّا أَنْشَأَتْ لَنَا خَلِقَةً²
الماء يجري على نظامٍ له لو يَجِدُ الماءُ مَخْرَقًا خَرَقَهُ
بتنا وباتت على نمارقها حتى بدا الصبحُ عَيْنُهَا أَرْقَهُ
أن قيل إن الرحيلَ بعد غدٍ والدارُ بعدَ الجميعِ مُفْتَرِقَهُ

الشعر لعبيد بن الأبرص . والغناء لابن جامع³ ثاني ثقيل من أصوات قليلات الأشباه ، عن إسحاق . وفيه لابن مُحَرِّزٍ ثقيلٌ أولُ بالبنصر عن عمرو بن بانة . وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنسه . وفيه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو والهشامي . ولمخارق في هذه الأبيات رمل بالبنصر عن الهشامي . وذكر حبش أن الثقيل الأول للغريض . وذكر الهشامي أن مُتِمَّ فيها ثاني ثقيل بالوسطى ، قال : فقالت أم جعفر للرشيد : ما أحسن ما اشتھيت والله يا أمير المؤمنين ! . ثم قالت لمسلم خادماً : ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائة ألف درهم . فقال

1 على يده في ل : عليه .

2 يقال : نشأت لهم سحابة حلقة وخلقة أي فيها أثر المطر .

3 في ل : عائشة .

الرشيد : غلبتنا يا بنت أبي الفضل وسبقتنا إلى برّ ضيفنا وجليسا . فلمّا خرج ، حمل إليها مكان كل درهم ديناراً .

[أخذ صوتاً من جارية بثلاثة دراهم فأخذ به من الرشيد ثلاثة آلاف دينار]

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثني محمد بن ضوينة الصلّصال التيمي قال حدّثني إسماعيل بن جامع السهمي قال : ضمّني الدهر¹ ضمّاً شديداً بمكة ، فانتقلتُ منها بعيالي إلى المدينة ، فأصبحتُ يوماً وما أملك إلا ثلاثة دراهم . فهي في كُمّي إذا أنا بجارية حميراء على رقبتها جرّة تريد الركي² تسعى بين يدي وتُرثم بصوت شحيّ تقول :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النومَ يَغشى عيونهم سراعاً وما يغشى لنا النومُ أعيننا
إذا ما دنا الليلُ المضيرُ لذي الهوى جَزَعْنَا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنّهم كانوا يلاقون مثلَ ما نلاقي لكانوا في المضاجع مثلاً

قال : فأخذ الغناء بقلبي ولم يدُر لي منه حرف . فقلت : يا جارية ، ما أدري أوجهك أحسن أم غناؤك ! فلو شئتِ أعدتِ ؛ قالت : حبّاً وكرامةً . ثم أسندت ظهرها إلى جدار قُرب³ منها ورفعت إحدى رجليها فوضعتها على الأخرى ، ووضعت الجرّة على ساقها ثم انبعثت تغني ؛ فوالله ما دار لي منه حرف ؛ فقلت : أحسنت ! فلو شئتِ أعدتِ مرةً أخرى ؛ ففطنتُ وكلّحتُ وقالت : ما أعجب أمركم ! أحدكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضريبة فيشغلها ! فضربت بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتها إليها ، وقلت : أقيمي بها وجهك اليوم إلى أن نلتقي . قال : فأخذتها كالكارهة وقالت : أنت الآن تريد أن تأخذ مني صوتاً أحسبك ستأخذ به ألف دينار وألف دينار وألف دينار . قال : وانبعثت تغني ؛ فأعملتُ فكري في غنائها حتى دار لي الصوتُ وفهمته ، وانصرفتُ مسروراً إلى منزلي أردده حتى خفّ على لساني . ثم إنني خرجتُ أريد بغداد فدخلتها ، فنزل بي المكاري على باب مُحوّل⁴ ، فبقيتُ لا أدري أين أتوجه ولا من أقصِد . فذهبتُ أمشي مع الناس ، حتى أتيت الجسر فعبرتُ معهم ، ثم انتهيت إلى شارع المدينة ، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً ؛

1 يريد ضغطني واشتد عليّ ، من شدة الفقر والحاجة .

2 الركي : جنس للركية وهي البئر .

3 في ل : قريب .

4 باب محوّل : محلة كبيرة من محال بغداد كانت متصلة بالكرخ .

فقلت : مسجد قوم سَراة ؛ فدخلته وحضرتُ صلاةَ المغرب وأقمتُ بمكاني حتى صَلَّيتُ العشاء الآخرة على جوع وتعَب . وانصرف أهلُ المسجد وبقي رجل يصلي ، خلفه جماعة خدم وخَوَل ينتظرون فراغه ؛ فصلَّى ملياً ثم انصرف ؛ فرآني فقال : أحسبك غريباً ؟ قلت : أجل . قال : فمتى كنتَ في هذه المدينة ؟ قلت : دخلتها آنفاً ، وليس لي بها منزل ولا معرفة ، وليستُ صناعتي من الصنائع التي يُمتَّ بها إلى أهل الخير . قال : وما صناعتك ؟ قلت : أُتَغنى . قال : فوثب مبادراً ووكلَ بي بعضَ مَنْ معه . فسألتُ الموكلَ بي عنه فقال : هذا سلام¹ الأبرش . قال : وإذا رسولٌ قد جاء في طلبي فانتهي بي إلى قصر من قصور الخلافة ، وجاوز بي مقصورةً إلى مقصورة ، ثم أدخلت مقصورة في آخر الدهليز ؛ ودعا بطعام فأتيَتْ بمائدة عليها من طعام الملوك ، فأكلتُ حتى امتلأت . فإني لذلك إذ سمعتُ رَكْضاً في الدهليز وقائلاً يقول : أين الرجل ؟ قيل : هو هذا . قال : ادعوا له بَغْسول² وخِلعة وطيب ، ففعل ذلك بي . فحُمِلت على دابةٍ إلى دار الخلافة ، وعرفتُها بالحرس والتكبير والنيران ، فجاوزتُ مقاصيرَ عدَّة ، حتى صيرتُ إلى دارِ قُوراء³ فيها أسيرةٌ في وسطها قد أُضيف بعضها إلى بعض . فأمرني الرجل بالصعود فصعدتُ ، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاثُ جوار في حجورهن العידان ، وفي حجر الرجل عود . فرحبَ الرجل بي ، وإذا مجالسُ حياله كان فيها قوم قد قاموا عنها . فلم ألبث أن خرج خدام من وراء الستر فقال للرجل : تَغَنِّ ؛ فانبعث يغني بصوت لي وهو :

لم تَمْشِ ميلاً ولم تَرْكَبْ على قَتَب ولم تَرَ الشمسَ إلَّا دونها الكِلَلُ
تمشي الهُوَيْنَى كأنَّ الرِّيحَ تَرْجِعُهَا مَشَى اليَعَاوِيرَ فِي جَيَّاتِهَا الْوَهْلُ⁴

فغَنَّى بغير إصابةٍ وأوتارٍ مختلفةٍ ودَسَاتِينٍ⁵ مختلفة . ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تلي الرجل فقال لها : تَغَنِّي ، فغَنَّتْ أيضاً بصوت لي كانت فيه أحسن حالاً من الرجل ، وهو قوله :

يا دار أضحتُ خلاء لا أنيسَ بها إلَّا الظباءُ وإلَّا النَّاشِطُ الْفَرْدُ⁶

1 سلام الأبرش : خدم المنصور وتولَّى المظالم للمهدي وعاصر الهادي والرشيد .

2 الغسول : الماء يغتسل به .

3 الدار القوراء : الواسعة الجوف .

4 اليعاوير : الظباء . والوهل : الفزع .

5 الدساتين : هي الرباطات التي توضع الأصابع عليها ، واحدها دستان .

6 الناشط : الثور الوحشي وكذلك الحمار الوحشي . والفرد : المنفرد .

أين الذين إذا ما زرتهم جَدَلُوا وطار عن قلبي التَّشَوُّقُ وَالْكَمَدُ
[ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغتت به] ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها
فانبعثت تغني بصوت لحكم الوادي وهو :

فوالله ما أدري أيعليني الهوى إذا جدَّ وشكَّ البين أم أنا غالبه
فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يُغلب صاحبه
قال : ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنت بصوت الحنين وهو قوله : [من الطويل]

مررنا على قيسية عامرية لها بشر صافي الأديم هجان¹
فقلت وألقت جانب الستر دونها من آية أرض أو من الرجال
فقلت لها أمّا تميم فأسرتي هديت وأما صاحبي فيمان
رفيقان ضمّ السفر بيني وبينه وقد يلتقي الشئ فيأتلفان
ثم عاد إلى الرجل فغنى صوتاً فشبّه² فيه . والشعر لعمر بن أبي ربيعة وهو قوله : [من البسيط]

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا
كأنّ أحور من غزلان ذي بقر أعارها شبة العينين والجيدا³
بمشرق كشعاع الشمس بهجته ومُسبكرٌ على لباتها سودا⁴
ثم عاد إلى الجارية فتغنت بصوت لحكم الوادي : [من الطويل]

تُعيرنا أنا قليل عديدا فقلت لها إن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
وإنا لقوم ما نرى القتل سبة إذا ما رآته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول
وتغنت الثانية :

وددتك لما كان ودك خالصاً وأعرضت لما صيرت نهباً مُقسماً

1 الهجان : الأبيض الخالص في كل شيء .

2 يريد : خلط فيه ولم يحسن أدائه .

3 ذو بقر : وإد بين أخيلة الحمى حمى الربة ، وقرية في ديار بني أسد .

4 بمشرق في ل : وشرقا . ومُسبكر في ل : ومسطرا .

ولا يلبث الحوضُ الجديدُ بناؤه
وتغنت الثالثة بشعر الخنساء :

[من الطويل]

وما كَرَّ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ طاعِنٍ
فِيدْرِكُ ثَاراً وهو لم يُخْطِهُ الغنى
فأذكره إِلَّا سَلَّتْ وَتَجَلَّتْ
وغنى الرجل في الدور الثالث :

[من الطويل]

لَحَى اللَّهُ صُعلوكاً مُناه وهَمَّه
يَنَامُ الضُّحَى حَتَّى إِذَا لَيْلُهُ انْتَهَى
وَلَكِنْ صُعلوكاً يَساور هَمَّه
فذلك إِنْ يَلْقَى الكَرِيهَةَ يَلْقَاهَا
قال : وتغنت الجارية :

[من الطويل]

إِذَا كُنْتُ رَبّاً لِلْقُلُوصِ فَلَا يَكُنْ
أُنْخِئْهَا فَأَرْدَفْهُ فَإِنْ حَمَلْتَكُمَا
رَفِيقُكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبٍ
فذاك وَإِنْ كَانَ الْعِقَابُ فَعَاقِبُ¹

[من الطويل]

قال : وتغنت الجارية بشعر عمرو بن معد يكرب :

أَلَمْ تَرِ لَمَّا ضَمَنْتِي الْبَلْدُ الْقَفْرُ
أَغْنَانَا فَإِنَّا عُصْبَةُ مَذْجِيَّةٍ
سَمِعْتُ نَدَاءَ يَصْدَعُ الْقَلْبَ يَا عَمْرُو
نُزَارُ عَلَى وَفَرٍ وَلَيْسَ لَنَا وَفْرُ

[من الطويل]

قال : وتغنت الثالثة بشعر عمر بن أبي ربيعة :

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أُسْفِرْتُ
تَبَاهُنَ بِالْعُرْفَانِ لَمَّا عَرَفْتَنِي
وَجُوءَ زَهَاها الْحَسَنُ أَنْ تَتَقَنَعَا
وَقُلْنَ امْرُؤُ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا²
وَلَمَّا تَنَازَعْنَ الْأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي
أُخِفْتَ عَلَيْنَا أَنْ نَغَرَّ وَنُخْدَعَا

قال : وتوقعْتُ مجيءَ الخادمِ إليّ ، فقلتُ للرجل : يَا بَنِي أَنْتَ ! خُذِ الْعُودَ فَشُدَّ وَتَرَ كَذَا
وَارْفَعْ الطَّبَقَةَ وَحُطَّ دُسْتَانُ كَذَا ؛ ففعل ما أَمَرْتُهُ . وخرجَ الخادمُ فقال لي : تَغَنَّ عَافَاكَ اللَّهُ ؛
فَتَغَنَيْتُ بِصَوْتِ الرَّجُلِ الْأَوَّلِ عَلَى غَيْرِ مَا غَنَّا ، فَإِذَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْخُدَمِ يَحْضُرُونَ حَتَّى اسْتَنْدُوا إِلَى
الْأُسَيْرَةِ وَقَالُوا : وَيَحْلِكُ ؛ لِمَنْ هَذَا الْغَنَاءُ ؟ قلتُ : لِي ؛ فَانصَرَفُوا عَنِّي بِتِلْكَ السَّرْعَةِ ، وَخَرَجَ إِلَيَّ

1 العقاب : أن تركب الدابة مرةً ويركبها صاحبك مرةً .

2 أكل : أعيأ . وأوضع : أسرع .

الخادم وقال : كذبت ؛ هذا الغناء لابن جامع . ودار الدور ؛ فلما انتهى الغناء إلي قلت للجارية التي تلي الرجل : خذي العود ، فعلمت ما أريد فسوّت العود على غنائها للصوت الثاني فتغنيتُ به . فخرجت إلي الجماعة الأولى من الخدم فقالوا : ويحك ؛ لمن هذا ؟ قلت : لي ؛ فرجعوا وخرج الخادم . فقال كذبت ، هذا لابن جامع ، ودار الدور ، فلما انتهى الغناء إلي قلت للجارية الأخرى سوّي العود على كذا وكذا ، فعلمت ما أردت ، وخرج الخادم فقال لي : تغنّ فتغنيتُ بصوت لي فلا يُعرف إلاّ بي ، وسقوني ، فتزّيدت ، وهو :

عُوجي عليّ فسلمني جبرٌ فيم الصدود وأنتم سَفَرُ
ما نلتقي إلاّ ثلاثَ منى حتى يُفرّقَ بيننا الدهرُ

قال : فتزلزلتُ والله الدار عليهم . وخرج الخادم فقال : ويحك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لي . فرجع ثم خرج فقال : كذبت ! هذا غناء ابن جامع . فقلت : فأنّا إسماعيل بن جامع . فما شَعَرْتُ إلاّ وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلَا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم . فقال لي الفضل بن الربيع : هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك . فلما صعد السرير وثبت قائماً . فقال لي : أبْنُ جامع ؟ قلت : ابن جامع ، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين . قال : ويحك ؛ متى كنت في هذه البلدة ؟ قلت : إنّفاً ، دخلتها في الوقت الذي عليم بي أمير المؤمنين . قال : اجلس ويحك يا ابن جامع ؛ ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس ، وقال لي : أبشّر وابسط أملك ؛ فدعوتُ له . ثم قال : غنّني يا ابن جامع . فخطر بقلبي صوتُ الجارية الحميرة فأمرت الرجل بإصلاح العود على ما أردتُ من الطبقة ، فعرف ما أردتُ ، فوزّن العودَ وزناً وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتين مواضعها ، وانبعثتُ أغني بصوت الجارية الحميرة . فنظر الرشيد إلى جعفر وقال : أسمعتَ كذا قط ؟ فقال : لا والله ما خرّق مسامعي قط مثله . فرفع الرشيد رأسه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألف دينار فجاء به فرمى به إليّ ، فصيرته تحت فخذي ودعوتُ لأمرير المؤمنين . فقال : يا ابن جامع ، ردّ على أمير المؤمنين هذا الصوت ، فرددته وتزّيدت فيه . فقال له جعفر : يا سيدي ، أما تراه كيف يتزّيد في الغناء ؟ هذا خلاف ما سمعناه أولاً وإن كان الأمر في اللحن واحداً . قال : فرفع الرشيد رأسه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألف دينار ، فجاءني به فصيرته تحت فخذي . وقال : تغنّ يا إسماعيل ما حَضَرَكَ . فجعلتُ أقصِد الصوت بعد الصوت ممّا كان يبلغني أنّه يشتري عليه الجوّاري فأغنّيه ؛ فلم أزل أفعل ذلك إلى أن عَسَسَ الليلُ . فقال : أتعيناك يا إسماعيل هذه الليلة بغنائك ، فأعِدّ على أمير المؤمنين الصوتَ (يعني صوتَ الجارية) فتغنيتُ . فدعا الخادم وأمره فأحضر كيساً ثالثاً فيه ألف دينار . قال :

فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسّمت ، ولحظني فقال : يا ابن الفاعلة ، ثم تبسّمت ؟ فجنّوتُ على ركبتي وقلت : يا أمير المؤمنين ، الصدقُ منجاة . فقال لي بانتهار : قل . فقصصتُ عليه خبرَ الجارية . فلما استوعبه قال : صدقتُ ، قد يكونُ هذا وقام . ونزلتُ من السرير ولا أدري أين أقصِد . فابتدرني فرّاشان فصارا بي إلى دار قد أمر بها أمير المؤمنين ؛ ففرّشتُ وأعدتُ فيها جميع ما يكونُ في مثلها من آلة جلّساء الملوك وندمائهم من الخدم ، ومن كل آلة وخول إلى جوارٍ ووُصفاء . فدخلتها¹ فقيراً وأصبحت من جلة أهلها ومياسيرهم .

وذكر لي هذا الخبرَ عبدُ الله بن الرّبيع عن أبي حفص الشّيباني عن محمد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال : ضمّني الدّهرُ بمكة ضماً شديداً فانتقلت إلى المدينة . فبينما أنا يوماً جالس مع بعض أهلها نتحدّث ، إذ قال لي رجل حَضَرنا : والله لقد بلغنا يا ابن جامع أنّ الخليفة قد ذكرك ، وأنّ في هذا البلد ضائع ! فقلت : والله ما بي نهوض . قال بعضهم : فنحن نُنهضك . فاحتلتُ في شيء وشخصتُ إلى العراق ، فقدمتُ بغداد ، ونزلت عن بغل كنت أكرّيته . ثم ذكر باقي الحديث نحو الذي قبله في المعاني ، ولم يذكر خبر السوداء التي أخذ الصوت عنها . وأحسبُه غلط² في إدخاله هذه الحكاية هاهنا ، ولتلك خبر آخر نذكره هاهنا . قال في هذا الخبر : إنّ الدّور دار مرّة أخرى حتي صار إليّ ؛ فخرج الخادم فقال : غنّ أيّها الرجل ؛ فقلت : ما أنتظر الآن ؟! ثم اندفعتُ أغني بصوت لي وهو : [من الطويل]

فلو كان لي قلبانِ عِشتُ بواحدٍ	وخلّفتُ قلباً في هوالٍ يُعذبُ
ولكنّما أحيا بقلب مُروّعٍ	فلا العيشُ يصفو لي ولا الموتُ يقربُ
تعلّمتُ أسبابَ الرضا خوفَ سُخطها	وعلمها حبّي لها كيف تغضبُ
ولي ألف وجهٍ قد عرفتُ مكانه	ولكن بلا قلب إلى أين أذهبُ

فخرج الرشيد حينئذٍ .

نسبة ما في هذه الأصوات من الأغاني

صوت

[من الطويل]

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا	فقالوا لنا ما أقصر الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النومَ يَغشى عيونهم	سراعاً وما يغشى لنا النومُ أعينا

1 يريد بغداد .

2 يريد به محمد بن ضوين الصلصال التميمي .

إذا ما دنا الليلُ المضربُ بذِي الهوى جَرَعْنَا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يُلاقون مثلَ ما نُلَاقِي لكانوا في المضاجع مثلنا
عروضه من الطويل . وذكر الهشامي أنَّ الغناء لابن جامع هزج بالوسطى ، وفي الخبر أنه
أخذه عن سوداء لقيها بمكة .

ومنها :

[من البسيط]

صوت

يا دار أضحت خلاء لا أنيسَ بها إلا الظباء وإلا النّاشطُ الفردُ
أين الذين إذا ما زرتهم جَذِلُوا وطار عن قلبيّ التشواقُ والكمدُ
في هذا الصوت لحنُ لابن سريج خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى من رواية حبش . ولحن ابن
جامع رمل .

ومنها :

[من البسيط]

صوت

لم تَمْشِ ميلاً ولم تَرْكَبْ على جَمَلٍ ولم تَرَ الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ
أقولُ للركبِ في دُرْنَا وقد تَمَلُّوا شِيمُوا وكيف يَشِيمُ الشاربُ الثَّمَلُ¹
الشعر للأعشى . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بالبنصر ، وقد كُتِبَ فيما يُغْنَى فيه من قصيدة
الأعشى التي أولها :

وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مُرْتَحِلُ

ومنها :

[من الطويل]

صوت

مَرَرْنَا عَلَى قَيْسِيَّةَ عَامِرِيَّةَ لها بَشَرٌ صَافِي الأديمِ هِجَانِ
فَقَالَتْ وَأَلَقَتْ جَانِبَ السِّتْرِ دُونَهَا مِنْ آيَةِ أَرْضٍ أَوْ مَنْ الرِّجْلَانِ
فَقُلْتُ لها أَمَّا تَمِيمٌ فَأَسْرَتِي هُدَيْتِ وَأَمَّا صَاحِبِي فَيَمَانِي
رَفِيقَانِ ضَمَّ السَّفَرُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَى فَيَأْتِلِفَانِ
غَنَاهُ ابْنُ سَرِيجٍ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ .

ومنها :

[من البسيط]

1 درنا : ناحية باليمامة وكانت تسمى هكذا في الجاهلية .

صوت

أُمسى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَعْمُودَا إِذَا أَقُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عِيدَا
 أَجْرِي عَلَى مَوْعِدٍ مِنْهَا فَتُخَلِّفُنِي فَمَا أَمَلٌ وَلَا تُوفِي الْمَوَاعِيدَا
 كَأَنِّي حِينَ أُمْسِي لَا تَكَلِّمُنِي ذُو بُغْيَةٍ يَتَغَيُّ مَا لَيْسَ مَوْجُودَا
 الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى ، وله فيه ثقيل أول
 [بالبنصر . وذكر عمرو بن بانه أن لمبعد فيه ثقيلًا أول] بالوسطى على مذهب إسحاق .
 ومنها : [من الطويل]

صوت

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَيُّغَلِبُنِي الْهُوَى إِذَا جَدُّ وَشَكُّ الْبَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ
 فَإِنْ أُسْتَطِعَ أَغْلَبُ وَإِنْ يَغْلِبِ الْهُوَى فَمَثَلُ الَّذِي لَا قِيَتُ يُغْلِبُ صَاحِبُهُ
 عروضه من الطويل . الشعر لابن ميادة ، والغناء للحجبي خفيف ثقيل بالبنصر من رواية
 حبش .
 ومنها : [من الطويل]

صوت

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلُ
 وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
 وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سَبَبَهُ إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
 يَقْرُبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
 عروضه من مقبوض الطويل . والشعر للسَّمُوأل بن عَادِيَاءَ الْيَهُودِيِّ . والغناء لحكم
 الوادي .
 ومنها : [من الطويل]

صوت

وَدِدْتُكَ لَمَّا كَانَ وَدُّكَ خَالِصًا وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صَارَ نَهْبًا مَقْسَمًا
 وَلَنْ يَلْبَثَ الْحَوْضُ الْجَدِيدُ بِنَاوَهُ عَلَى كَثْرَةِ الْوَرَادِ أَنْ يَتَهَدَمَا
 عروضه من الطويل . وفيه خفيف ثقيل قديم لأهل مكة . وفيه لعريب ثقيل أول .
 ومنها : [من الطويل]

صوت

وما كَبَّرَ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ طَاعِنٍ ولا أَبْصَرَتْهُ الْخَيْلُ إِلَّا اقْشَعَرَّتْ
فَيُدرِكُ ثَاراً ثُمَّ لَمْ يُخْطِهِ الْغِنَى فَمَثَلُ أَخِي يَوْمًا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ
فَإِنْ طَلَبُوا وَتَرَأَ بَدَا بَيْرَاتِهِمْ وَيَصْبِرُ بِحِمِيهِمْ إِذَا الْخَيْلُ وَلَّتْ
عروضه من الطويل . الشعر للخنساء ، والغناء لابن سريج ثقیل أول بالنصر وذكر
علي بن يحيى أنه لمعبد في هذه الطريقة .
ومنها :

[من الطويل]

صوت

لِما الله صَعْلوكاً مَنَاهُ وَهَمَّهُ من الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى لَبُوساً وَمَطْعِماً
يَنَامُ الضُّحَى حَتَّى إِذَا لَيْلُهُ انْتَهَى تَنَبَّهَ مَثْلُوجَ الْفَوَادِ مُورِّمًا¹
وَلَكِنْ صَعْلوكاً يُساورُ هَمَّهُ وَيَمْضِي عَلَى الْمَهْجَاءِ لَيْثاً مَصْمُماً
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ الْكَرْيَهَةَ يَلْقَاهَا كَرِيماً وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَرِيماً
عروضه من الطويل . الشعر يقال إنه لغزوة بن الورد ، ويقال : إنه لحاتم الطائي وهو
الصحيح . والغناء لطويس خفيف رمل بالنصر .
ومنها :

[من الطويل]

صوت

إِذَا كُنْتَ رَبًّا لِلْقُلُوصِ فَلَا يَكُنْ رَفِيقُكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبٍ
أَنْخَهَا فَأَرْدَفَهُ فَإِنْ حَمَلْتُكُمَا فِذَاكَ وَإِنْ كَانَ الْعِقَابُ فَعَاقِبٍ
عروضه من الطويل . والشعر لحاتم طيء .
ومنها :

[من الطويل]

صوت

أَلَمْ تَرَ لَمَّا ضَمَنْتَنِي الْبَلَدَ الْفَقْرُ سَمِعْتُ نَدَاءَ يَصْدَعُ الْقَلْبَ يَا عَمْرُو
أَغْنِنَا فَإِنَّا عُصْبَةٌ مَذْجِجِيَّةٌ نُزَارُ عَلَى وَفَرٍ وَلَيْسَ لَنَا وَفْرُ
عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن معد يكرب . والغناء لحنين رمل بالوسطى عن
حبش .
ومنها :

[من الطويل]

1 مثلوج في ل : مسلوب .

صوت

فلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلْتُ وجوهَ زهاها الحسنُ أنْ تَتَقَعَا
تَبَالَهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا رَأَيْتَنِي وَقُلْنَ امْرُؤُ بَاغٍ أَكَلَّ وَأَوْضَعَا
وَلَمَّا تَنَازَعْنَ الْأَحَادِيثَ قَلْنَ لِي أَخِفَّتْ عَلَيْنَا أَنْ نُغَرَّ وَنُخْدَعَا
وَقَرَّبْنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمَتِّمْ يَقِيسُ ذِرَاعًا كُلَّمَا قَسَنَ إصْبَعَا
عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج والغريض ومالك
ومعبد وابن جامع في عدة ألحان ، قد كُتِبَتْ مع الخبر في موضع غير هذا .
ومنها :

[من الكامل]

صوت

عُوجِي عَلَيَّ فَسَلِّمْ جَبْرُ فِيمَ الصَّدُودُ وَأَتَمَّ سَفَرُ
مَا نَلْتَقِي إِلَّا ثَلَاثَ مِنَى حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا النَّفَرُ¹
الْحَوْلُ ثُمَّ الْحَوْلُ يَتْبَعُهُ مَا الدَّهْرُ إِلَّا الْحَوْلُ وَالشَّهْرُ
الشعر للعرجي . والغناء للأبجر ثقیلٌ أوَّلُ عن الهشامي ، ويقال إنه لابن محرز ، ويقال بل
لحنه فيه غير لحن الأبجر . وفيه رمل يقال إنه لابن جامع ، وهو القول الصحيح ، وذكر حبش أنه
لابن سريج ، وأن لحن ابن جامع خفيف رمل .
ومنها :

[من الطويل]

صوت

فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانِ عَشْتُ بَوَاحِدَ وَخَلَفْتُ قَلْبًا فِي هَوَاكَ يَعْذَبُ
وَلَكِنَّمَا أَحْيَا بِقَلْبٍ مُرَوِّعٍ فَلَا الْعِيشَ يَصْفُو لِي وَلَا الْمَوْتَ يَقْرُبُ²
تَعَلَّمْتُ أَسْبَابَ الرِّضَا خَوْفَ هَجْرَهَا وَعَلَّمَهَا حُبِّي لَهَا كَيْفَ تَغْضَبُ
وَلِي أَلْفُ وَجْهِ قَدْ عَرَفْتُ مَكَانَهُ وَلَكِنْ بَلَا قَلْبَ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ
عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن الوراق . والغناء لابن جامع خفيف رمل ، ويقال إنه
لعبد الله بن العباس . وفيه لعريب ثقیلٌ أوَّلُ . وفيه لرذاذ خفيفٌ ثقیل . وفيه هَزَجٌ يقال إنه
لعريب ، ويقال إنه لنمرة ، ويُقال إنه لأبي فارة ، ويقال إنه لابن جامع .

1 النفر في ل : الدهر .

2 مروّع في ل : معذب .

[سمعه مصعب الزُّبيري يَغني في بساتين المدينة فمدحه]

حدَّثني مصعب الزُّبيري قال : قَدِم علينا ابنُ جامع المدينة قَدَمَةً في أَيَّام الرشيد ؛ فسمعته يوماً يَغني في بعض بساتين المدينة :

وما لي لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صَدَرَ الرُّعيانُ ورَدَ المناهل
وكنْتُ إذا ما اشتدَّ شوقي رَحَلَتْها فسارت بمحزون كثير البَلايل¹
وكان رجلاً صَيِّتاً² ، فكاد صوته يذهب بي كلَّ مذهب ، وما سمعتُ قبله ولا بعده مثله .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

وما لي لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صَدَرَ الرُّعيانُ ورَدَ المناهل
وكنْتُ إذا ما اشتدَّ شوقي ركبها فسارت بمحزون كثير البَلايل
الغناء لابن جامع خفيف ثَقيل بالسَّبابة في مجرى الوسطى عن الهشامي وابن المكيّ .
[أهدى الربيع للمنصور فكان يستخفه وأعتقه]

أخبرني وكيع قال حدَّثني هارون بن محمَّد الرِّيات قال حدَّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : كنْتُ في خمسين وصيفاً أهدوا للمنصور ، ففرَّقنا في خدمته ، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه . فكُنْتُ أراه يفعل شيئاً أعلم أنه خطأ : يعطيه الإبريق في آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح . وقال لي يوماً : كُنْ مكاني في آخر المستراح . فكُنْتُ أعطيه الإبريق وأُخرج مبادراً ، فإذا سمعتُ حركته بادرت إليه . فقال لي : ما أخفَكَ على قلبي يا غلام ؛ ويحك ؛ ثم دخل قصرًا من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها . فبينما هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد ، فقرأه فإذا هو : [من الطويل]

وما لي لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صَدَرَ الرُّعيانُ نحو المناهل
وكنْتُ إذا ما اشتدَّ شوقي رَحَلَتْها فسارت بمحزون طويل البَلايل

وتحتة مكتوب : آه آه ، فلم يَدِرْ ما هو . وفطنتُ له فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد عرفتُ ما هو . فقال : قل ؛ فقلت : قال الشعر ثم تأوّه فقال : آه آه ، فكُتِبَ تأوُّهه وتنفُّسه وتأسُّفه . فقال : ما لك قاتلك الله ؛ قد أعتقتك ووليتك مكانَ ياسر .

1 كثير في ل : طويل . البَلايل : جمع بلال : شدَّةُ الهمِّ والوسواس في الصدر وحديث النفس .

2 الصَّيِّت : الجهمير الصوت .

ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرقة [في] الأخبار وإنما افردتها عنها لئلا تنقطع خبر

[من البسيط]

أُمسى بأسماء هذا القلب مَعْمُودًا

[خرج الغريص مع نسوة فتبعه الحارث بن خالد مع ابن أبي ربيعة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال حماد : قرأت على أبي ، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكِّي قال حدَّثني المخزومي (يعني الحارث بن خالد) قال : بلغني أنَّ الغريصَ خرج مع نسوة من أهل مكة من أهل الشرف ليلاً إلى بعض المتحدثات من نواحي مكة ، وكانت ليلة مقمرة ؛ فاشتقت إليهن وإلى مجالسهن وإلى حديثهن ، وخفتُ على نفسي لجناية كنت أطلب بها ، وكان عمر مهياً معظماً لا يُقدِّم عليه سلطان ولا غيره ، وكان مني قريباً ؛ فأتيتُه فقلت له : إن فلانة وفلانة وفلانة حتى سميتهن كلهن قد بعثنني ، وهن يقرآن عليك السلام ، وقلن : تشوقن إليك في ليلتنا هذه لصوت أنشدناه فويسقك الغريص وكان الغريص يغني هذا الصوت فيجيده ، وكان ابن أبي ربيعة به مُعجَباً ، وكان كثيراً ما يسأل الغريص أن يُغنيه ، وهو قوله :

[من البسيط]

إذا أقول صحا يعتاده عيدا	أُمسى بأسماء هذا القلب مَعْمُودًا
أهدى لها شبه العينين والعجيدا	كان أحور من غزلان ذي نفر
لتنكأ القرح من قلب قد اصطيدا	قامت تراءى وقد جدَّ الرِّحيلُ بنا
ذو بُغْيَةٍ يبتغي ما ليس موجودا	كأنني يوم أُمسى لا تكلمني
فما أمل وما توفي المواعيدا	أجري على موعدٍ منها فتخلفني
أو أن أصادف من تلقائها جودا	قد طال مطلي ، لو أن اليأس ينفعني
من أن ترى عندنا في الحرص تشديدا	فليس تبدل لي عفواً وأكرمها

فلما أخبرته الخبر قال : لقد أزعجتني في وقت كانت الدعة أحبَّ فيه إلي ؛ ولكن صوت الغريص وحديث النسوة ليس له مُترَك ولا عنه مَحِيص . فدعا بشابه فلبسها ، وقال : امض ؛ فمضينا نمشي العجل حتى قربنا منهن . فقال لي عمر : خفض عليك مشيك ففعلت ، حتى وقفنا عليهن وهن في أطيب حديث وأحسن مجلس ؛ فسلمنا ، فتهيئنا وتخفَّرن منا . فقال الغريص : لا عليكن ! هذا ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد جاءا متشوقين إلى حديثكن

وغنائى . فقالت فلانة : وعليك السلام يا ابن أبي ربيعة ، والله ما تمّ مجلسنا إلا بك ،
إجلسا . فجلسنا غير بعيد ، وأخذن عليهن جلابيهنّ وتقنن بأخمرتهنّ وأقبلن علينا
بوجوههنّ وقلن لعمر : كيف أحسست بنا وقد أخفينا أمرنا ؟ فقال : هذا الفاسق جاءني
برسالتكنّ وكنتُ وقيداً¹ من علة وجدتها ، فأسرعت الإجابة ، ورجوتُ منكنّ على ذلك
حسن الإثابة . فرددن عليه : قد وجب أجرك ، ولم يخب سعيك ، ووافق منا الحارث إرادة .
فحدّتهنّ بما قلتُ له من قصّة غناء الغريض ؛ فقال النسوة : والله ما كان ذلك كذلك ،
ولقد نبهتنا على صوت حسن ، يا غريض هاته . فاندفع الغريضُ يغني ويقول : [من البسيط]

أمسى بأسماء هذا القلب معموداً إذا أقول صحا يعتاده عيدا

حتى أتى على الشعر كله إلى آخره ، فكلّ استحسنه . وأقبل عليّ ابن أبي ربيعة فجزاني
الخير ، وكذلك النسوة . فلم نزل بأنعم ليلة وأطيبها حتى بدأ القمر يغيب ، فقمنا جميعاً ،
وأخذ النسوة طريقاً ونحن طريقاً وأخذ الغريضُ معنا .

وقال عمر في ذلك :

[من المنسرح]

صوت

هل عند رسم برامة خبير	أم لا فأيّ الأشياء تنتظر
قد ذكرّني الديار إذ درّست	والشوق ممّا يهيجه الذكر
ممشى رسولٍ إليّ يُخبرني	عنهم عشاء ببعض ما ائتمروا ²
ومجلس النسوة الثلاث لدى الـ	خيّمات حتى تبلّج السّحر
فيهنّ هنّد والهّم ذكرتها	تلك التي لا يرى لها خطر
ثم انطلقنا وعندنا ولنا	فيهنّ لو طال ليلنا وطر
وقولها للفتاة إذ أرف الـ	بين أغادٍ أم رائح عمر
عجلان لم يقض بعض حاجته	هلا تأنّي يوماً فينتظر
الله جار له وإن نزحت	دار به أو بدا له سفر

غناه الغريض ثقيلاً³ أول بإطلاق الوتر في مجرى البصر . وفيه لابن سريج رمل بالوسطى .
وفيه لعبد الرحيم الدقاف ثقیلاً⁴ أول بالبصر في البيتين الأولين . وبعدهما : [من مجزوء البسيط]

1 الوقيد : المريض .

2 رسول في ل : فتاة .

هل من رسولٍ إليّ يُخبرني بعد عشاءٍ ببعض ما ائتمروا
يومَ ظَلَلْنَا وعندنا ولنا فيهنَّ لو طال يومُنا وطَرُ
فلَمَّا كانت الليلةُ القابلةُ بعثَ إليّ عمرُ فأتيتُهُ وإذا الغريضُ عنده . فقال له عمر : هاتِ ؛
فاندفع يغني :

هل عند رَسْمٍ براميةٍ خبرُ أم لا فأَيُّ الأشياءِ تنتظرُ
ومجلسَ النسوةِ الثلاثِ لدى الـ خيماتِ حتى تبلَّجَ السحرُ
فقلتُ في نفسي : هذا والله صفةُ ما كنَّا فيه ، فسكتُ حتى فرَغَ الغريضُ من الشعرِ كُلِّهِ ؛
فقلتُ : يا أبا الخطَّاب ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ؛ هذا والله صفةُ ما كنَّا فيه البارحةَ مع النسوةِ . فقال :
إنَّ ذلكَ ليُقال .

[أغلظ موسى بن مصعب أمير الموصل الكلام لبعض عماله فاجابه بالمثل وفر]

وذكر أحمد بن الحارث عن المدائني عن علي بن مجاهد قال : إنَّ موسى بن مُصَنَّب كان
على المُوَصَّل ، فاستعمل رجلاً من أهل حَرَّان على كُورةٍ باهْذرا ، وهي أَجَلٌّ كُورِ الموصل ،
فأبطأَ عليه الخراجُ ؛ فكتب إليه :

هل عند رَسْمٍ براميةٍ خبرُ أم لا فأَيُّ الأشياءِ تنتظرُ
إِحْمِلْ ما عندك يا ماصَّ بَظَرٍ أُمِّهِ ، وإلَّا فقد أُمِرْتُ رسولي بشدِّكَ وثاقاً ويأتي بك . فخرج
الرجل وأخذ ما كان معه من الخراج فلحق بحَرَّان ، وكتب إليه : يا عاصَّ بَظَرٍ أُمِّهِ ! إليّ تكتب
بمثل هذا !

وإذا أهلُ بلدةٍ أنكروني عرفتنِي الدَّويَّةُ المَلْسَاءُ
فلَمَّا قرأ موسى كتابه ضَحِكَ وقال : أحسنَ يعلم الله الجوابَ ، ولا والله لا أطلبه أبداً .
وفي غير هذه الرواية أنَّه كتب إليه في آخر رقعة :

إنَّ الخليطَ الأليَّ تهوى قد ائتمروا للبين ثم أجَدَّوا السيرَ فانشمروا
يا ابن الزَّانية ؛ والسلام . ثم هرب ، فلم يَطْلُبْهِ .
[إسحاق الموصلي ولحن للغريض]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمَّاد قال قال أبي : غَنَّاني رجلٌ من أهل المدينة لحنَ
الغريض :

هل عند رَسْمٍ براميةٍ خبرُ أم لا فأَيُّ الأشياءِ تنتظرُ
فسأَلْتُهُ أن يُلقِيه عليّ ، فقال : لا إلَّا بألف درهم ؛ فلم أسمع له بذلك . ومضى فلم ألقه .

فوالله يا بني ما نَدِمْتُ على شيء قطُّ نَدَمِي على ذلك ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي وجدته الآن فأخذه منه كما سمعته وأخذ منِّي ألفَ دينار مكانَ الألف الدرهم .

خبر

[من الطويل]

تَعَيَّرْنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا

الشعر لشُرَيْح بن السَّمُؤَال بن عَادِيَاء . ويقال : إنه للسَّمُؤَال . وكان من يهود يَثْرَب ؛ وهو الذي يُضْرَب به المثلُ في الوفاء فيقال : «أوفى من السَّمُؤَال» .

وكان السببُ في ذلك فيما ذكر ابن الكلبي وأبو عُبَيْدة وحدثني به مُحَمَّد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن مُحَمَّد بن السائب الكلبي قال : كان امرؤ القيس بن حُجْر أودع السَّمُؤَال بن عَادِيَاء أدرعاً ؛ فأتاه الحارثُ بن ظالم ، ويقال : الحارثُ بن أبي شَمِر الغساني ، ليأخذها منه ؛ فتحصن منه السَّمُؤَال ؛ فأخذ ابناً له غلاماً وناداه : إِمَّا أَنْ تُسَلِّمَ الأدرعَ وإِمَّا أَنْ قَتَلْتُ ابْنَكَ ؛ فإني السَّمُؤَالُ أَنْ يُسَلِّمَ الأدرعَ إليه ؛ فضرب الحارثُ وَسَطَ الغلام بالسيف ففَقَعَهُ اثْنين . فقال السَّمُؤَالُ :

[من الوافر]

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الكنديِّ إِنِّي إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ
وَأَوْصَى عَادِيَاءَ يَوْمًا بِأَلَا تُهْدَمُ يَا سَمُؤَالُ مَا بَنَيْتُ
بَنَى لِي عَادِيَاءُ حَصْنًا حَصِينًا وَمَاءَ كُلَّمَا شَعْتُ اسْتَقَيْتُ

[من الوافر]

وفي هذه القصيدة يقول :

صوت

أَعَاذِلْتَنِي أَلَا لَا تَعَذِّلْنِي فَكَمْ مِنْ أَمْرٍ عَاذِلَةٍ عَصَيْتُ
دَعَيْنِي وَارْشُدِي إِنْ كُنْتُ أَعْوَى وَلَا تَغْوِي زَعَمْتَ كَمَا غَوَيْتُ
أَعَاذَلْتُ قَدْ طَلَبْتُ اللُّومَ حَتَّى لَوْ أَنِّي مُتِّهِ لَقَدْ انْتَهَيْتُ
وصفراء المعاصم قد دَعَتْنِي إِلَى وَصْلٍ فَقُلْتُ لَهَا أُبَيْتُ
وَزِقُّ قَدْ جَرَّرْتُ إِلَى النَّدَامَى وَزِقُّ قَدْ شَرِبْتُ وَقَدْ سَقَيْتُ
وحتى لو يكون فتى أناس بكى من عذلة بكيتُ

عروضه من الوافر . والشعرُ للسَّمُؤَال بن عَادِيَاء . والغناء لابن مُعْرِز في الأول والثاني

والرابع والخامس خفيفٌ ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى . وغنى فيها مالكٌ خفيفٌ ثقيلٌ بالبنصر في الأوّل والثاني . وغنى دَحْمَانٌ أيضاً في الأوّل والثاني والرابع والخامس رملاً بالوسطى . وغنى عبد الرحيم الدِّقَاف في الأوّل والثاني رملاً بالبنصر . وفي هذه الأبيات لابن سُرَيْجٍ لحنٌ في الرابع وما بعده . ثم في سائر الأبيات لحنٌ ذكره يونس ولم ينسبه¹ . وإبراهيم الموصلي فيها لحن غير منسوب أيضاً .

[أُسر الأعشى رجل من كلب وهو لا يعرفه]

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني سليمان بن أبي شَيْخٍ قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي قال حدثني محمد بن السائب الكلبي قال : هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال :

بنو الشهر الحرام فلست منهم ولست من الكرام بني عبّيد
ولا من رهط جبار بن قُرط ولا من رهط حارثة بن زيد

قال : وهؤلاء كلّهم من كلب ، فقال الكلبي : أنا ، لا أبأ لك ، أشرف من هؤلاء . قال : فسبّه الناس بعدُ بهجاء الأعشى ، وكان متغيّظاً عليه . فأغار الكلبي على قوم قد بات بهم الأعشى فأسرّ منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه ؛ فجاء حتى نزل بشرّيج بن السموأل بن غادياء الغساني صاحب تيماء² بحصنه الذي يقال له الأبلق³ . فمرّ شرح بالأعشى ، فنادى به الأعشى بقوله :

شُرَيْجُ لا تتركني بعد ما علقت حبالك اليوم بعد القيد أظفاري⁴
قد جئتُ ما بين بانقيا إلى عدنٍ فطال في العجم تردادي وتسياري⁵
فكان أكرمهم عهداً وأوثقهم عقداً أبوك بعُرف غير إنكارٍ
كالغيث ما استمطروه جاذ وإبله وفي الشدائد كالمستأسد الضاري
كن كالسموأل إذ طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرّارٍ
إذ سامه خطّتي خسفٍ فقال له قل ما تشاء فإني سامعٌ حارٍ

1 في ل : يجنسه .

2 تيماء : بليدة في أطراف الشام على طريق حاج الشام ودمشق .

3 قيل له الأبلق لأنه كان في بنائه بياض وحمرة ، وقيل : لأنه بُني من حجارة مختلفة الألوان .

4 القيد : القيد .

5 بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة . تردادي في ل : تكراري .

فقال غَدْرٌ وتُكَلِّ أنت بينهما
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له
وسوف يُعْقِبُنِيه إن ظفرتَ به
لا سِرُّهُنَّ لدينا ذاهبٌ هَدْرًا
فاختارَ أدراعَه كي لا يُسَبَّ بها
ولم يكن وعده فيها بختارًا¹

قال : فجاء شُرَيْح إلى الكلبي فقال له : هَب لي هذا الأسيرَ المَضرورَ ؛ فقال : هو لك ، فأطلقه . وقال له : أقمْ عندي حتى أكرمَكَ وأحبُّوك ؛ فقال له الأعشى : إن من تمام صنيعةك إليَّ أن تُعطيني ناقةً ناجيةً وتُخلِّني الساعة . قال : فأعطاه ناقةً ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبيُّ أن الذي وهبَ لشُرَيْح هو الأعشى ، فأرسل إلى شُرَيْح : ابعث إليَّ بالأسير الذي وهبتُ لك حتى أحبوه وأعطيه ؛ فقال قد مضى . فأرسل الكلبيُّ في أثره فلم يلحقه .
[من الطويل] وأما خبر :

وما كَرَّ إلا كان أولَ طاعنٍ
والشعر للخنساء ، فإنه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع ؛ وهو يأتي فيما بعد هذا مُفردًا
عن المائة الصوتِ المختارة في أخبار الخنساء ، إن شاء الله تعالى .

رجع الخبر إلى قصّة ابن جامع

[دفع في صوت أحذه عن سوداء أربعة دراهم وغناه الخليفة فأعطاه أربعة آلاف دينار]
وأما خبرُ الجارية التي أخذ عنها ابنُ جامع الصوتَ وما حكيناه من أنه وقع في حكاية محمد بن ضوين الصلصال فيها خطأ ، فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حماد ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي محمد العامري قال حدثني عكاشة اليزيدي ببجرجان قال حدثني إسماعيل بن جامع قال : بينا أنا في غُرْفَةٍ لي باليمن وأنا مُشْرِف على مَشْرَعَةٍ² ، إذ أقبلت أمة سوداء على ظهرها قربة ، فملأتها ووضعتها على المَشْرَعَةِ لتستريح ، وجلست فغنت :

صوت

فَرُدِّي مُصابَ القلب أنتِ قَتَلْتِه
ولا تُبعدي فيما تجشمتِ كلُّثما
ويروى «ولا تتركه هائم القلب مُغرما» .

1 الختار : الغادر .

2 المشرعة : مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون .

إلى الله أشكو بخلها وسماحتي لها غسل مني وتبذل علقما
أبى الله أن أمسي ولا تذكُرني وعياني من ذكراك قد ذرقت دما
أبيتُ فما تنفك لي منك حاجة رمى الله بالحب الذي كان أظلما

غناه سيّاطٌ خفيفٌ ثقيلٌ أوّلٌ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه قال :
ثم أخذتُ قُرْبَتَهَا لِمَضْيَةٍ . فاستفزني من شهوة الصوت ما لا قِوَامَ لي به ، فنزلتُ إليها فقلتُ
لها : أعيديهِ . فقالت : أنا عنك في شغلٍ بخراجي . قلتُ : وكم هو ؟ قالت : درهمان في كلِّ
يوم . قلتُ : فهذان درهمان ، ورُدِّيهِ عليّ حتى أخذه منك ، وأعطيتها درهماين ؛ فقالت : أمّا
الآن فنعم . فجلستُ ، فلم تَبْرَحْ حتى أخذته منها وانصرفت ؛ فلهوتُ يومي به ، وأصبحتُ
من غدٍ لا أذكر منه حرفاً ، فإذا أنا بالسوداء قد طلعتُ ففعلتُ كفعلها بالأمس . فلما وضعتُ
القربةَ تغنتُ غيره ، فعَدَوْتُ في أثره وقلتُ : يا جارية ، بحقي عليك رُدِّي عليّ الصوتَ فقد
ذهبتُ عني منه نعمةٌ . فقالت : لا والله ، ما مثلك تذهب عنه نعمةٌ ، أنتَ تقيسُ أوله على
آخره ، ولكنك قد أنسيته ، ولستُ أفعل إلاّ بدرهماين آخرين . فدفعتهما إليها وأعادته عليّ
حتى أخذته ثانيةً . ثم قالت : إنك تستكثر فيه أربعة دراهم ، وكأنني بك قد أصبتُ به أربعة
آلاف دينار . فكنْتُ عند هارون يوماً وهو على سريه ؛ فقال : مَنْ غَنائي فأطربني فله ألفُ
دينار ، وقدّامه أكياسٌ في كلِّ كيس ألفُ دينار . فغنى القوم وغنيتُ فلم يطرب ، حتى دار
الغناء إليّ ثانيةً فغنيتُ صوتَ السوداء ؛ فرمى إليّ بكيس فيه ألفُ دينار ، ثم قال : أعدهِ
فغنيتُهُ ؛ فرمى إليّ بثانٍ ثم قال : أعدهِ فرمى إليّ بثالثٍ وأمسك . فضحكْتُ ؛ فقال : ما
يُضحكك ؟ فقلتُ : لهذا الصوتَ حديثٌ عجيبٌ يا أمير المؤمنين . فقال : وما هو ؟ فحدثتهُ
به وقصصتُ عليه القصةَ ؛ فرمى إليّ برابعٍ وقال : لا تكذب قولها .

خبر

[من الكامل]

عُوجِي عَلِيٍّ فَسَلَمِي جَبْرُ

الشعر للعرجي وقد ذكرنا نسبة الصوت .

[قصة عمر بن عبد العزيز مع مخنث بلغه عنه أنه أفسد نساء المدينة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الواقيدي عن ابن أبي الزناد قال حدثني
محمد بن إسحاق قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : إن بالمدينة مخنثاً قد أفسد نساءها . فكتب إلى
عامله بالمدينة أن يحمله . فادخل عليه ، فإذا شيخٌ خضيبُ اللحية والأطرافِ مُعْتَجِرٌ بِسَبْنَةٍ¹ قد

1 السبنية : منسوبة إلى سبن : بلدة ببغداد ، وهي إزار أسود متخذ من الحرير يليسه النساء .

حمل دُفًا في خريطته . فلما وقف بين يديّ عمر صعد بصره فيه وصوبه وقال : سواة لهذه الشبيبة وهذه القائمة ! أتخفظ¹ القرآن ؟ قال : لا والله يا أبانا ؛ قال : قبحك الله ! وأشار إليه من حضره فقالوا : اسكت فسكت . فقال له عمر : أتقرأ² من المفصل شيئا ؟ قال : وما المفصل ؟ قال : ويلك ؛ أتقرأ من القرآن شيئا ؟ قال : نعم ، أقرأ ﴿الحمد لله﴾ وأخطيء فيها في موضعين أو ثلاثة ، وأقرأ ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ وأخطيء فيها ، وأقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مثل الماء الجاري . قال : ضعه في الحبس ووكّلوا به معلّما يعلمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطهارة والصلاة وأجروا عليه في كل يوم ثلاثة دراهم وعلى معلّمه ثلاثة دراهم آخر ، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن أجمع . فكان كلما علّم سورة نسي التي قبلها . فبعث رسولا إلى عمر : يا أمير المؤمنين ، وجه إليّ من يحمل إليك ما أتعلّمه أولا فأولا ، فإنني لا أقدر على حمله جملة واحدة . فبئس عمر من فلاحه وقال : ما أرى هذه الدراهم إلا ضائعة ، ولو أطينتها جائعا أو أعطيتها محتاجا أو كسوناها غريبا لكان أصلح . ثم دعا به ، فلما وقف بين يديه قال له : أقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ . قال : أسأل الله العافية ! أدخلت يدك في الجراب فأخرجت شرا ما فيه وأصعبه . فأمر به فوجئت عنقه ونفاه . فاندفع يغني وقد توجهوا به : [من الكامل]

عوجي عليّ فسلمي جبرُ فِيمَ الوقوفُ وأنتم سَفَرُ
ما نلتقي إلا ثلاث منى حتى يفرق بيننا التفَرُ

فلما سمع الموكّلون به حسنَ ترنمه خلّوه وقالوا له : اذهب حيث شئت مُصاحبا بعد استماعهم منه طرائفَ غنائهِ سائرَ يومهم وليلتهم .

[حجّ محمد بن خالد بن عبد الله وسمع جارية محمد بن عمران فطرب وأراد شراءها فردّه]

أخبرني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي عن المدائني قال : أحجّ خالد بن عبد الله ابنه محمداً وأصعبه رزاما³ مولاة وأعطاه مالا ، وقال : إذا دخلت المدينة فاصرفه فيما أحببت . فلما صرنا بالمدينة سأل محمد عن جارية حاذقة ؛ فقيل : عند محمد بن عمران التيمي القاضي . فصلينا الظهر في المسجد ثم ملنا إليه فاستأذنا عليه فأذن لنا وقد انصرف من المسجد وهو قاعد على ليد⁴ ونعلاه في آخر اللبد ؛ فسلمنا عليه فردّ ؛ ونسب محمداً فانتسب له ، فقال : خيرا . ثم قال : هل من حاجة ؟ فلجلج الفتى . فقال : كأنك ذكرت فلانة ! يا جارية اخرجي ؛

1 في ل : أتقرأ .

2 في ل : أتخفظ .

3 رزام : هو رزام بن مسلم أدرك أبا جعفر المنصور .

4 اللبد : بساط من صوف .

فخرجت فإذا أحسنُ الناس ، ثم تغتت فإذا أٌحذقُ الناس ؛ فجعل الشيخُ يذهب مع حركاتها ويجيء ، إلى أن غتت قوله :

عوجي عليّ فسلمني جبرُ

[من الكامل]

فلما بلغت :

حتى يفرق بيننا النفرُ

وثب الشيخُ إلى نعله فعلقها في أذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطرف أذنه والنعل فيها وجعل يقول : أهْدُونِي أَنَا بَدَنَةً ، أهْدُونِي أَنَا بَدَنَةً . ثم أقبل عليهم فقال : كم قيل لكم إنها تساوي ؟ قالوا : ستمائة دينار . قال : هي وحق القبر خيرٌ من ستة آلاف دينار ، والله لا يملكها عليّ أحدٌ أبداً ، فانصرفوا إذا شئتم .

[كان ابن جريج في حلقة يحدث فمر به ابن تيزن فسأله أن يغنيه بغناء ابن سريج]

أخبرنا وسوسةُ بن الموصلي ، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي قال حدثني حماد بن إسحاق قال : وجدت في كتب أبي عن عثمان بن حفص الثقفي عن ابن عمٍ لعمارة بن حمزة قال حدثني سليم الحساب عن داود المكي قال : كنا في حلقة ابن جريج وهو يحدثنا وعنده ابن المبارك وجماعة من العراقيين ، إذ مر به ابن تيزن قال حماد : ويقال ابن بيرن¹ ، وقد ائثر بمزرة على صدره ، وهي إزرة الشطار عندنا . فدعاه ابن جريج ؛ فقال له : إني مستعجل ، وقد وعدت أصحاباً لي فلا أقدر أن أحتبس عنهم . فأقسم عليه حتى أتاه ، فجلس وقال له : ما تريد ؟ قال : أحب أن تسمعني . قال : أنا أجيتك إلى المنزل ، فلم تجلسني مع هؤلاء الثقلاء ! . قال : أسألك أن تفعل ؛ قال : امرأته طالق إن غناك فوق ثلاثة أصوات . قال : ويحك ؛ ما أعجلك باليمين ؟ قال : أكره أن أحتبس عن أصحابي . فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال : اغفلوا رحمكم الله . ثم قال له : غنني الصوت الذي أخبرني أن ابن سريج غناه في اليوم الثالث من أيام منى على جمرة العقبة فقطع الطريق على الزاهب والجائي حتى تكسرت المحامل . فغناه : [من الكامل]

عوجي عليّ فسلمني جبرُ

فقال ابن جريج : أحسنت والله ؛ ثلاث مرّات ، ويحك أعده . قال : أمِن الثلاثة ؟ فإنني قد حلفت . قال : أعده فأعاده ؛ فقال : أحسنت ؛ أعده من الثلاثة ؛ فأعاده وقام فمضى . فقال ابن جريج لأصحابه : لعلكم أنكرتم ما فعلت ! قالوا : إنا لننكره بالعراق . قال : فما تقولون في الرجز ؟ (يعني الحذاء) قالوا : لا بأس به . قال : فما الفرق بينهما ؟ .

[أحسن الناس حلوفاً في الغناء]

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك عن أبي أيوب المديني قال : ثلاثة من المغنين كانوا أحسن الناس حلوفاً : ابن تيزن ، وابن عائشة ، وابن أبي الكنات .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

سَقَانِي فَرَوَّانِي كُمَيْتًا مُدَامَةً عَلَى ظَمَأٍ مِنِّي سَلَامٌ بِنِ مِشْكَمٍ
تَخَيَّرْتُهُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَاحِدًا سِوَاهُمْ فَلَمْ أُعْجَبْ وَلَمْ أَتَدَمَّ
عَرَوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . وَالشَّعْرُ لِأَبِي سَفِيَّانَ بْنِ حَرْبٍ . وَالْغَنَاءُ لِسُلَيْمَانَ أَخِي بَابُوِيهِ الْكُوفِيِّ
مَوْلَى الْأَشَاعِثَةِ¹ ، خَفِيفُ رَمْلٍ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى .

1 الأشاعثة : منسوبون إلى الأشعث بن قيس الكندي الصحابي .

[97] - ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه

[نسبه]

هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمُّ حرب بن أمية بنت أبي هَمَهَمَةَ بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . وأمُّ أبي سفيان صفية بنت حزن بن بجير بن الهزم¹ بن ربيعة² بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وهي عمّة ميمونة أم المؤمنين وأمُّ الفضل بنت الحارث بن حزن أم بني العباس بن عبد المطلب . وقد مضى ذكر أكثر أخبار ولد أمية والفرق بين الأعياص والعباس منهم وجمل من أخبارهم في أول هذا الكتاب .

وكان حرب بن أمية قائد بني أمية ومن مالأهم في يوم عكاظ . ويقال : إن سبب وفاته أن الجن قتلته وقتلت مرداس بن أبي عامر السلمي لإحراقهما شجر القرية³ وازدراعهما إياها . وهذا شيء قد ذكرته العرب في أشعارها . وتواترت الروايات بذكره فذكرته ، والله أعلم .

[أراد حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر ازدراع القرية فخرجت عليهما منها حيات فماتا]

أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ ، وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ دُرَيْدٍ عَنْ عَمِّهِ عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ ، وَذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ : أَنَّ حَرْبَ بْنَ أُمَيَّةَ لَمَّا انْصَرَفَ مِنْ حَرْبِ عَكَاظَ هُوَ إِخْوَتُهُ مَرًّا بِالْقَرْيَةِ ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ غَيْضَةُ شَجَرٍ مَلْتَفٍ لَا يُرَامُ . فَقَالَ لَهُ مُرْدَاسُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ : أَمَا تَرَى هَذَا الْمَوْضِعَ ؟ قَالَ بَلَى . قَالَ : نِعَمَ الْمَزْدَرَعُ هُوَ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ نَكُونَ شَرِيكَيْنِ فِيهِ وَنُحَرِّقَ هَذِهِ الْغَيْضَةَ ثُمَّ نَزْدَرِعَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ قَالَ نَعَمْ . فَأَضْرَمَا النَّارَ فِي الْغَيْضَةِ . فَلَمَّا اسْتَطَارَتْ وَعَلَا لَهَبُهَا سَمِعَ مِنَ الْغَيْضَةِ أَتِينَ وَضَجِيجَ كَثِيرٍ ، ثُمَّ ظَهَرَتْ مِنْهَا حَيَاتٌ بَيْضٌ تَطِيرُ حَتَّى قَطَعَتْهَا وَخَرَجَتْ مِنْهَا . وَقَالَ مُرْدَاسُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ فِي ذَلِكَ :

[من البسيط]

إِنِّي انتخبْتُ لها حرباً وإخوته إِنِّي بَجَلٍ وَثِيقِ الْعَقْدِ دَسَّاسُ

1 في ل : الهرم .

2 في ل : رويته .

3 القرية : موضع في ديار بني سليم .

إِنِّي أَقَوْمٌ قَبْلَ الْأَمْرِ حُجَّتَهُ كَيْمَا يَقَالَ وَلِيُّ الْأَمْرِ مِرْدَاسُ

قال : فسمِعُوا هاتِفًا يَقُولُ لَمَّا احْتَرَقَتِ الْغَيْضَةُ :

[من مجزوء الرجز]

وَيْلٌ لِحَرْبٍ فَارِسًا مُطَاعِنًا مُخَالِسًا

وَيْلٌ لَعَمْرُو فَارِسًا إِذْ لَبَسُوا الْقَوَانِيسَا¹

لَنَقْتَلَنَ بِقَتْلِهِ جَحَاجِحًا عَنَابِسَا

ولم يلبث حربُ بن أُمَيَّة ومرداسُ بن أبي عامر أن ماتا . فأمَّا مرداسُ فُدْفِنَ بِالْقُرَيْيَةِ . ثم ادَّعَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ كَلِيبُ بْنُ أَبِي عَهْمَةَ السُّلَمِيَّ ثُمَّ الظُّفَرِيَّ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ :

أَكْلِيبُ مَا لَكَ كُلَّ يَوْمٍ ظَالِمًا وَالظُّلُمُ أَنْكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونُ

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسِبُونَكَ سَيِّدًا وَإِخَالَ أَنْتَكَ سَيِّدٌ مَعِيُونُ

المعيونُ : الذي أَصَابَتْهُ الْعَيْنُ ، وَقِيلَ : الْمَعِيُونُ : الْحَسَنُ الْمُنْظَرُ فِيمَا تَرَاهُ الْعَيْنُ وَلَا عَقْلَ لَهُ .

فَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى نِسَائِكَ فَادَّهِنُ إِنَّ الْمُسَالِمَ رَأْسُهُ مَدْهُونُ

وَأَفْعَلْ بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بِوَائِلِ يَوْمَ الْغَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْعُونُ²

وَإِخَالَ أَنْتَكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي صَفْحَتَيْكَ سَيْنَانُهَا الْمَسْنُونُ

إِنَّ الْقُرَيْيَةَ قَدْ تَبَيَّنَ أَمْرُهَا إِنْ كَانَ يَنْفَعُ عِنْدَكَ التَّبَيُّنُ

حَيْثُ انْطَلَقْتَ تَخْطُهَا لِي ظَالِمًا وَأَبُو يَزِيدَ بِجَوْهَا مَدْفُونُ

أَبُو يَزِيدَ : مِرْدَاسُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ .

[مَنْزِلُهُ فِي قُرَيْشٍ وَفَقَّ عَيْنُهُ]

وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَرَأْسًا مِنْ رُؤُوسِ الْأَحْزَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَيَاتِهِ وَكَهْفًا لِلْمُتَنَافِقِينَ فِي أَيَّامِهِ ، وَأَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ . وَلَهُ فِي إِسْلَامِهِ أَخْبَارٌ نَذَرَهَا هُنَا . وَكَانَ تَاجِرًا يَجْهُزُ التِّجَارَ بِمَالِهِ وَأَمْوَالِ قُرَيْشٍ إِلَى أَرْضِ الْعَجَمِ . وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُشَاهِدَةَ الْفَتْحِ ، وَفُقِّتَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ الطَّائِفِ³ ، فَلَمْ يَزَلْ أُعْوَرَ إِلَى يَوْمِ الْيَرْمُوكِ ، فَفُقِّتَتْ عَيْنُهُ الْأُخْرَى يَوْمَئِذٍ فَعَمِيَ .

1 القوانس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة .

2 يشير إلى تحكُّمِ كَلِيبٍ فِي الْمَاءِ .

3 يعني غزوة الطائف وفيها رماه سعيد بن عبيد الثقفي فأصاب عينه .

[مازح رسول الله ﷺ في بيت بنته أم حبيبة]

أخبرنا الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكي عن أبي الهيثم عمّن أخبره : أنه سمع أبا سفيان يُمَازِح رسول الله ﷺ في بيت بنته أم حبيبة ويقول : والله إن هو إلا أن تركك فتركك العربُ فما انتطحت جماء¹ ولا ذات قرْنٍ ، ورسول الله ﷺ يضحك ويقول : «أنت تقول ذاك يا أبا حنظلة² !» .

[سئل وهو مشرك عن زواج بنته برسول الله ﷺ فمدحه]

قال الزبير وحدثني عمي مصعب : أن رسول الله ﷺ تزوّج أم حبيبة بنت أبي سفيان وأبو سفيان يومئذٍ مشركٌ يحارب رسولَ الله ﷺ ، وقيل له : إن محمداً قد نكح ابنتك ؛ فقال : ذلك الفحل لا يُقدَع³ أنفه . واسم أم حبيبة رملة ، وقيل : هند⁴ ، والصحيح رملة .

[أبطأ رسول الله ﷺ بإذنه فعاتبه فأرضاه]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني عن مسلمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جوشن قال : أذن رسول الله ﷺ يوماً للناس ، فأبطأ بإذن أبي سفيان ، فلمّا دخل قال : يا رسول الله ، ما أذنت لي حتى كذت تأذن للحجارة . فقال له : يا أبا سفيان «كل الصيد في جوف الفرا» .

حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال حدثنا عطاء بن مصعب قال حدثني سفيان بن عيينة عن جعفر بن⁵ يحيى البرمكي قال : أذن رسول الله ﷺ للناس ، فكان آخر من دخل عليه أبا سفيان بن حرب . فقال : يا رسول الله ، لقد أذنت للناس قبلي حتى ظننت أن حجارة الخندمة⁶ ليؤذن لها قبلي . فقال رسول الله ﷺ : «أما والله إنك والناس لكما قال الأول : «كل الصيد في بطن الفرا» . أي كل شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لك وحدك مثل ما لهم كلهم .

[خرج إلى الشام في تجارة ، فسأله هرقل عن أحوال النبي ﷺ فأجابه وصدقه]

حدثني عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان الثقفي قال حدثنا داود بن عمرو الضبي قال حدثنا

1 الجماء : الشاة التي لا قرن لها .

2 حنظلة : ابن كان لأبي سفيان قتله علي بن أبي طالب يوم بدر .

3 يقدع : يضرب .

4 في ل : صفيّة .

5 في ل : عند .

6 الخندمة : جبل بمكة .

المثنى بن زُرْعَةَ أَبُو راشد عن مُحَمَّد بن إِسْحاق قال حَدَّثني الرَّهْريُّ عن عبد الله بن عبد الله عن عُبَبة عن ابن عَبَّاس قال حَدَّثني أَبُو سفيان بن حرب قال : كُنَّا قوماً تِجاراً ، وكانت الحربُ بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حَصَرْتَنَا حتَّى نَهَكَتْ¹ أَمْوَالُنَا . فلَمَّا كانتِ الهُدنة [هَدنة الحُدَيْيَةِ] بيننا وبين رسول الله ﷺ ، خرجتُ في نفرٍ من قريشٍ إلى الشام ، وكان وجهُ مَنَجَرْنَا منه غَزَّةً ، فقدمنا حينَ ظَهَرَ هِرْقُلُ على مَنْ كان بأرضه من الفرس ، فأخرجهم منها وانتزع منهم صليبه الأَعْظَمَ وكانوا قد استلبوه إِيَّاه . فلَمَّا بلغه ذلك منهم وبلغه أَنَّ صليبه قد استنْقِذَ منهم ، وكانت حمصُ منزله ، خرج منها يمشي على قدميه شكراً لله حين رَدَّ عليه ما رَدَّ ليصلي في بيت المقدس تُبَسِّطُ له البُسْطُ وتُلْقَى عليها الرياحين . فلَمَّا انتهى إلى إيليا فُقِضَ فيها صلاته وكان معه بطارقته وأشرافُ الروم ، أصبح ذاتَ غُدوةٍ مهموماً يقلِّبُ طرفه إلى السماء . فقال له بطارقته : والله لكأنَّكَ أصبحتَ الغداةَ مهموماً . فقال : أَجَلُ ؛ رأيتُ البارحةَ أَنَّ مُلْكَ الختانِ ظاهر . فقالوا : أيُّها الملك ، ما نَعْلَمُ أُمَّةً تَخْتِنُ إِلَّا اليهود ، وهم في سلطانك وتحت يدك ، فابعث إلى كلِّ مَنْ لك عليه سلطانٌ في بلادك فمره فليضرب أعناقَ مَنْ تحت يدك منهم من يهودٍ واسترح من هذا الهم . فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يدبرونه إذ أتاه رسولُ صاحبِ بُصْرَى برجلٍ من العرب يقوده ، وكانت الملوكُ تنهادى الأخبارَ بينهم ، فقال : أيُّها الملك ، إنَّ هذا رجلٌ من العرب من أَهلِ الشَّاءِ والإبلِ يحدثُ عن أمرٍ حَدَثَ فاسأله . فلَمَّا انتهى به إلى هِرْقُلِ رسولُ صاحبِ بُصْرَى ، قال هِرْقُلُ لِمَنْ جاء به : سلّه عن هذا الحديث الذي كان يبلده ؛ فسأله : فقال : خرج بين أظهرنا رجلٌ يزعمُ أنه نبيٌّ ، وقد اتبعه ناسٌ فصِدِّقوه ، وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحِمٌ في مواطنٍ كثيرة ، وتركهم على ذلك . فلَمَّا أخبره الخبرَ قال : جرِّدوه فإذا هو مختونٌ ؛ فقال : هذا والله النبي الذي رأيتُ لا ما تقولون ، أعطوه ثيابه وينطلق . ثم دعا صاحبَ شُرْطته فقال له : اقلبِ الشامَ ظهراً لبطن حتى تأتيني برجلٍ من قوم هذا الرجل . فإِنَّا لَبَغْزَةٌ إذ هجم علينا صاحبُ شُرْطته فقال : أنتم من قوم هذا الرجل الذي بالحجاز ؟ قلنا نعم . قال : انطلقوا إلى الملك ، فانطلقوا بنا . فلَمَّا انتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجل الذي بالحجاز ؟ قلنا نعم . قال : فأَيُّكُمْ أُمْسُ به رَحِمًا ؛ قال : قلتُ أنا . قال أَبُو سفيان : وإيُّهم الله ما رأيتُ رجلاً أرى أَنَّهُ أنكر من ذلك الأغلف (يعني هِرْقُل) ثم قال : أدِّنه ، فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي ، وقال : إني سأسأله ، فإن كَذَبَ فَرُدُّوا عليه . قال : فوالله لقد عَلِمْتُ أَنَّ لو كَذَبْتُ ما رَدُّوا عليّ ، ولكنني كنتُ امرأً سيِّداً أتبرَّمُ عن الكذب ؛ وعرفتُ أَنَّ أيسر ما في ذلك إنَّنا كَذَبْتُهُ أَن يحفظوه عليّ ثم يحدثوا به

عني ، فلم أكذبه قال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعي ما يدعي . فجعلت أزهّد له شأنه وأصغر له أمره ، وأقول له : أيها الملك ، ما يهملك من شأنه ! إن أمره ما بلغك ؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك مني . ثم قال : أتيتني فيما أسألك عنه من شأنه . قال : قلت : سلّ عما بدا لك . قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : محض ، هو أوسطنا¹ نسباً . قال : أخبرني هل كان أحدٌ في أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبه به ؟ قال : قلت لا . قال : هل كان له فيكم مُلك فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه مُلكه ؟ قال : قلت لا . قال : أخبرني عن أتباعه منكم من هم ؟ قال : قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء ، فأما ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحدٌ ؛ قال : فأخبرني عمّن يتبعه أيجبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه ؟ قال : قلت : قلما يتبعه أحدٌ² فيفارقه . قال : فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : قلت : سجالٌ يُدال علينا ونُدال عليه . قال : فأخبرني هل يَغْدِر ؟ فلم أجد شيئاً سألني عنه اغتمز فيه غيرها . قال : قلت : لا ، ونحن منه في مُدة³ ولا نأمن غدره . قال : فوالله ما التفت إليها مني . ثم كرّر عليّ الحديث فقال : سألتك عن نسبه فيكم ، فرعمت أنه محض من أوسطكم نسباً ؛ فكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً . وسألتك هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول مثل قوله فهو يتشبه به ، فرعمت أن لا . وسألتك هل كان له مُلك فيكم فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه ، فرعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه ، فرعمت أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنساء ، وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان . وسألتك عمّن يتبعه أيجبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه ، فرعمت أنه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه ، فكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلب رجل فتخرج منه . وسألتك عن الحرب بينكم وبينه فرعمت أنها سجالٌ تُدالون عليه ويدل عليكم ، وكذلك حرب الأنبياء ، ولهم تكون العاقبة . وسألتك هل يَغْدِر ، فرعمت أن لا . فلئن كنت صدقتني عنه فليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه ؛ إنطلق لشأنك . فقمْتُ من عنده وأنا أضرب بإحدى يدي على الأخرى وأقول : يا لعباد الله ! لقد أمر⁴ أمر ابن أبي كبشة⁵ ! أصبحت ملوك بني الأصفر يهابونه في ملكهم وسلطانهم .

1 أي خيرنا وأفضلنا نسباً .

2 في ل : رجل .

3 أي مدة صلح الحديبية .

4 أمر : عظم .

5 أبو كبشة رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعري العبور وسمى المشركون الرسول ﷺ بابن أبي كبشة .

[كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل وما كان بين هرقل وبطارقه]

قال ابن إسحاق : فقدم عليه كتاب رسول الله ﷺ مع دحية¹ بن خليفة الكلبي ، فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم . السلام على من أتبع الهدى . أما بعد ، فأسلم تسلم يؤتلك الله أجرَك مرتين ، وإن تتول فإنَّ الأَكابرَ عليك» .

قال ابن شهاب : فأخبرني أسقفُ النصارى في زمن عبد الملك زعم أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله ﷺ وأمر هرقل وعقله ، قال : فلما قدم عليه كتاب رسول الله ﷺ من قبل دحية بن خليفة ، أخذ هرقل فجعله بين فخذه وخاصيته ، ثم كتب إلى رجل رومية² كان يقرأ العبرانية ما تقرأونه ، فذكر له أمره ووصف له شأنه وأخبره بما جاء منه . فكتب إليه صاحب رومية : إنه النبي الذي كنا ننتظره لا شك فيه ، فاتبعه وصدقته . قال : فأمر هرقل ببطارقة الروم فجمعوا له في دسكرة³ ملكه ، وأمر بها فأغلقت⁴ عليهم أبوابها ، ثم أطلع عليهم من عليّة وخافهم على نفسه فقال : يا معشر الروم ، قد جمعتكم لخبر⁵ ، أتاني كتاب هذا الرجل يدعو إلى دينه ، فوالله إنه النبي الذي كنا ننتظره ، ونجده في كتابنا ، فهلم فلنبايعه ولنصدقته فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا . قال : فنخرت الروم نخرة رجل واحد وابتدروا أبواب الدسكرة ليخرجوا فوجدوها قد أغلقت دونهم . فقال : كروهم علي وخافهم على نفسه ؛ فكروهم عليه . فقال : يا معشر الروم ، إنما قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدث ؛ فقد رأيت منكم الذي أسرُّ به ؛ فخرّوا سجداً . وأمر بأبواب الدسكرة ففتحت لهم فانطلقوا .

[حديثه مع العباس حين بلغتهما بعثة النبي ﷺ وهما باليمن وحديث الخبر اليهودي معهما]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني أبو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس قال قال لي العباس : خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدمت اليمن . فكنت أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان والنفر ، ويصنع أبو سفيان يوماً فيفعل مثل ذلك . فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إلى غداك ؟ فقلت : نعم . فانصرفت أنا والنفر إلى بيته

1 دحية : صحابي مشهور كان من أجمل الناس وأحسنهم صورة .

2 رومية : أي روما .

3 الدسكرة : بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم .

4 في ل : فأسريت .

5 في ل : لخبر .

وأرسلت إلى الغداء . فلما تغدّى القوم قاموا واحتبسني فقال لي : هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله ؟ قلت : وأي بني أخي ؟ قال أبو سفيان : إيتاي تكتم ؟ وأي بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلا رجل واحد ! قلت : وأيهم هو على ذلك ؟ قال : محمد بن عبد الله . قلت : ما فعل ؟ قال : بلى قد فعل . ثم أخرج إلي كتاباً من ابنه حنظلة بن أبي سفيان : إني أخبرك أن محمداً قام بالأبطح¹ غدوة فقال : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله . قال : قلت : يا أبا حنظلة ، لعله صادق . قال : مهلاً يا أبا الفضل ، فوالله ما أحب أن تقول مثل هذا ، وإنني لأحشى أن تكون على بصّر من هذا الأمر ، وقال الحسن بن علي في روايته : على بصيرة من هذا الحديث ثم قال : يا بني عبد المطلب ، إنه والله ما برحت قريش تزعم أن لكم يميناً وشوئمة كل واحدة منهما عامّة ، فنشدتك الله يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت نعم . قال : فهذه والله إذا شوئتمكم . قلت : فلعلها يمينتنا . فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ حتى قدم عبد الله بن حذافة السهمي بالخبر وهو مؤمن ، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يتحدث به فيها . وكان أبو سفيان يجلس إلى خير من أخبار اليمن ؛ فقال له اليهودي : ما هذا الخبر الذي بلغني ؟ قال : هو ما سمعت . قال : أين فيكم عمّ هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان : صدقوا وأنا عمّه . قال اليهودي : أخو أبيه ؟ قال نعم . قال : حدّثني عنه . قال : لا تسألني ، فما كنت أحسب أن يدعي هذا الأمر أبداً ، وما أحب أن أعيبه ، وغيره خير منه . قال اليهودي : فليس به أذى ، ولا بأس على يهود وتوراة موسى منه . قال العباس : فتأدّى إلي الخبر فحَمِيتُ ، وخرجت حتى أجلس إلى ذلك المجلس من غدٍ وفيه أبو سفيان والحبر . فقلت للحبر : بلغني أنك سألت ابن عمّي هذا عن رجل منّا يزعم أنه رسول الله ، فأخبرك أنه عمّه ، وليس بعمّه ولكنه ابن عمّه ، وأنا عمّه أخو أبيه . فقال : أخو أبيه ؟ قلت : أخو أبيه . فأقبل على أبي سفيان فقال : أصدق ؟ قال : نعم صدق . قال فقلت : سلني عنه ، فإن كذبت فليردد علي . فأقبل علي فقال : أنشدك الله ، هل فشّت لابن أخيك صَبْوَة أو سَفْهَة ؟ قال قلت : لا والله عبد المطلب ولا كذب ولا خان ، وإن كان اسمه عند قريش الأمين . قال : فهل كتب بيده ؟ قال عَباس : فظننت أنه خير له أن يكتب بيده ، فأردت أن أقولها ، ثم ذكرت مكان أبي سفيان وأنه مكذّبي وراذ علي ، فقلت : لا يكتب . فذهب الحبر وترك رداءه وجعل يصيح : ذُبِحَتْ يهود ! قُتِلَتْ يهود !

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إن اليهودي لفزع من ابن أخيك . قال قلت : قد رأيت ما رأيت ، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به ، فإن

كان حقاً كنت قد سبقت ، وإن كان باطلاً فمعك غيرك من أكفائك ؟ قال : لا والله ما أومن به حتى أرى الخيل تطلع من كداء (وهو جبل بمكة) . قال قلت : ما تقول ؟ ! قال : كلمة والله جاءت على فمي ما أقيت لها بالاً ، إلا أنني أعلم أن الله لا يترك خيلاً تطلع من كداء . قال العباس : فلما فتح رسول الله ﷺ مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كداء ، قلت : يا أبا سفيان ، أتذكر الكلمة ؟ قال لي : والله إنني لذاكرها ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام .

[حديث استثمان العباس له وإسلامه في غزاة الفتح]

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا البغوي قال حدثنا الغلابي أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال حدثني الحسين بن عبيد الله بن العباس عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزل رسول الله ﷺ مرّ الظهران (يعني في غزاة الفتح) قال العباس بن عبد المطلب وقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة : يا صباح قريش ! والله لئن بغتها رسول الله ﷺ إنها لهلك قريش آخر الدهر . فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وقال : أخرج إلى الأراك² ، لعلني أرى خطاباً أو صاحباً لئن أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيستأمنونه . فوالله إنني لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم³ بن حزام وبديل⁴ بن ورقاء يتجسسون الخبر عن رسول الله ﷺ ؛ فسمعت أبا سفيان وهو يقول : والله ما رأيت كالليلة قط نيراناً . فقال بديل بن ورقاء : هذه والله نيران خزاعة حمشتها⁵ الحرب . فقال أبو سفيان : خزاعة الأم من ذلك وأذل . فعرفت صوته فقلت : أبا حنظلة ! فقال : أبا الفضل ! قلت نعم ؛ فقال : لبيك ، فداؤك أبي وأمي ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله ﷺ قد دلف⁶ إليكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرني ؟ فقلت : تركب عجز هذه البغلة فاستأمن لك رسول الله ﷺ ، فوالله لئن ظفرك بك ليضربن عنقك . فردفني فخرجت به أركض بغلة رسول الله ﷺ نحو رسول الله ﷺ . فكلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إلي قالوا : عم رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ ؛ حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب

1 مرّ الظهران : واد قرب مكة .

2 الأراك : واد قرب مكة .

3 هو حكيم بن خويلد ابن أخي خديجة زوج الرسول ﷺ .

4 رجل من خزاعة .

5 حمش الشيء : جمعه وفلاناً هيجه .

6 دلف : تقدّم .

رضي الله تعالى عنه فقال : أبو سفيان ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ؛ ثم اشتد نحو النبي ﷺ ، وركضت البغلة وقد أردفت أبا سفيان قال العباس : حتى اقتحمت على باب القبة وسبقت عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء . فدخل عمر على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد ، فدعني أضرب عنقه . قلت : يا رسول الله ، إني قد أجرتُه . ثم جلست إلى رسول الله ﷺ وأخذت برأسه وقلت : والله لا يُناجيه اليوم أحدٌ دوني . فلما أكثر فيه عمرُ قلت : مهلاً يا عمر ؛ فوالله ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من عبد مناف ، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا ؛ قال : مهلاً يا عباس ؛ فوالله لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم ؛ وذلك لأنني أعلم أن إسلامك أحبُّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم . فقال رسول الله ﷺ : «إذهب فقد أمّناه حتى تغدو به علي الغداة» فرجع به إلى منزله . فلما أصبح غدا به رسول الله ﷺ . فلما رآه قال : «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله» ! فقال : بآبي أنت وأمي ! ما أوصلك وأحلّمك وأكرمك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً . فقال : «ويحك تشهد بشهادة الحق قبل والله [أن] تُضرب عنقك» . قال : فتشهد . فقال رسول الله ﷺ للعباس من حين تشهد أبو سفيان : «انصرف يا عباس فاحتسبه عند خطم الجبل بمضييق الوادي حتى يمرّ عليه جنود الله» . فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجلٌ يحبُّ الفخر ، فاجعل له شيئاً يكون في قومه . فقال : «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ ومن دخل المسجد فهو آمنٌ ومن أغلق عليه بابه فهو آمنٌ» . فخرجتُ به حتى أجلسته عند خطم الجبل بمضييق الوادي ، فمرت عليه القبائل ، فجعل يقول : من هؤلاء يا عباس ؟ فأقول : سلّم ، فيقول : ما لي ولسلّم ! ثم تمرّ به قبيلة فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : سلّم ، فيقول : ما لي ولأسلم ! وتمرّ به جهينة فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : جهينة ، فيقول : ما لي ولجهينة ! حتى مرّ رسول الله ﷺ في الخضراء ، كتيبة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ، فقال : من هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقلت : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ؛ فقال : يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلك ابن أخيك عظيماً . فقلت : ويحك ! إنها النبوة ؛ قال : نعم إذا . فقلت : إلحق الآن بقومك فحذرهم . فخرج سريعاً حتى أتى مكة فصرخ في المسجد : يا معشر قريش ، هذا محمدٌ قد جاءكم بما لا قِيل لكم به . قالوا : فمه ! قال : من دخل داري فهو آمن . فقالوا : ويحك ما تُغني عنا دارك ؟ قال : ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

[بعض ما أسند إليه من أخبار تدل على عدم إخلاصه]

حدثنا محمد بن جرير وأحمد بن الجعد قالَا حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير قال : لما كان يوم اليرموك خلّفتني أبي ، فأخذتُ فرساً له وخرجتُ ، فرأيتُ جماعةً من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوفقتُ معهم ، فكانت الرومُ إذا هزمتِ المسلمين قال أبو سفيان : إيه بني الأصفر ، فإذا كشيهم المسلمون قال أبو سفيان :

وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكَرَامُ مَلُوكُ الرَّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورٌ
فلما فتح الله على المسلمين حدثتُ أبي فقال : قاتله الله ؛ يَأْتِي إِلَّا نِفَاقًا ؛ أَوْلَسْنَا خَيْرًا لَهُ
من بني الأصفر ؟ ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله ﷺ يقول : حدثهم ،
فأحدثتهم فيعجبون من نفاقه .

حدثني أحمد بن الجعد قال حدثني ابن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال : دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كُفَّ بصره ، فقال : هل غلينا من عين ؟ فقال له عثمان : لا . فقال : يا عثمان ، إن الأمر أمرُ عالمية ، والمملك ملكُ جاهلية ، فاجعل أوتاد الأرض بني أمية .

حدثني محمد بن حيان الباهلي قال حدثنا عمر بن علي الفلاس قال حدثنا سهل بن يوسف عن مالك بن مغول عن أشعث بن أبي الشعثاء عن ميسرة الهمداني عن أبي الأبحر الأكبر قال : جاء أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : يا أبا الحسن ، ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلها ! فوالله لئن شئت لأملأنها عليهم خيلاً ورجلاً . فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أبا سفيان ، طالما عاذبت الله ورسوله ﷺ والمسلمين فما ضرهم ذلك شيئاً ، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لما ولي أبو بكر قال :

وَأَضَحْتُ قَرِيشَ بَعْدَ عَزٍّ وَمَنْعَةٍ خَضُوعاً لَتَيْمٍ لَا بَضْرِبِ الْقَوَاضِبِ¹
فِيَا لَهْفَ نَفْسِي لِلَّذِي ظَفِرْتُ بِهِ وَمَا زَالَ مِنْهَا فَائِزاً بِالرَّغَائِبِ

وحدثني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال : لما ولي عثمان الخلافة ، دخل عليه أبو سفيان فقال : يا معشر بني

1 هو تيم بن مرة بن كعب ، وبه سُميت القبيلة التي ينتسب إليها أبو بكر الصديق .

أُمِّيَّة ، إِنَّ الْخِلَافَةَ صَارَتْ فِي تَيْمٍ وَعَدِيٍّ¹ حَتَّى طَمَعَتْ فِيهَا ، وَقَدْ صَارَتْ إِلَيْكُمْ فَتَلَقَّفُوهَا بَيْنَكُمْ تَلَقَّفَ الْكَرَّةَ ، فَوَاللَّهِ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ هَذَا أَوْ نَحْوَهُ فَصَاحَ بِهِ عُثْمَانُ : قُمْ عَنِّي فَعَلَ اللَّهُ بِكَ وَفَعَلَ . وَلَأَبِي سَفْيَانَ أَخْبَارٌ مِنْ هَذَا الْجَنْسِ وَنَحْوَهُ كَثِيرَةٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا ، وَفِيمَا ذَكَرْتُ مِنْهَا مَقْنَعٌ .

[شعره في ابن مشكم حين نزل عليه في غزوة السويق]

وَالْأَبْيَاتُ الَّتِي فِيهَا الْغِنَاءُ يَقُولُهَا فِي سَلَامِ بْنِ مِشْكَمَ الْيَهُودِيِّ وَيُكْنَى أَبَا غُنَمٍ ، وَكَانَ نَزَلَ عَلَيْهِ فِي غَزْوَةِ السَّوِيقِ ، فَقَرَأَهُ وَأَحْسَنَ ضِيافَتَهُ . فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ فِيهِ : [من الطويل]

سَقَانِي فَرَوَانِي كُمَيْتًا مُدَامَةً	عَلَى ظَمَأٍ مَنِي سَلَامٌ بْنُ مِشْكَمٍ
تَخَيَّرْتُهُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَاحِدًا	سَوَاهِمَ فَلَمْ أُغْبَنَ وَلَمْ أَتَدَمَّرْ
فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ قُلْتُ وَلَمْ أَكُنْ	لَأُفْرِحَهُ أَبْشِرَ بَعُورٍ وَمَغْنَمٍ
وَإِنَّ أَبَا غُنَمٍ يَجُودُ وَدَارُهُ	بِثَرِبَ مَأْوَى كُلِّ أَيْضَ خِضْرَمٍ ²

1 هو عددي بن كعب بن لؤي بن غالب ، وبه سُمِّيَتِ الْقَبِيلَةُ الَّتِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ .

2 الخضرم : الجواد الكثير العطية وأصله البحر الكثير الماء .

[98] - ذكر الخبر عن غزوة السَّوِيقِ

ونزول أبي سفيان على سلام بن مشكم

[خبر غزوة السَّوِيقِ ونزوله على ابن مشكم]

كانت هذه الغزاة بعد وقعة بدر . وذلك أنَّ أبا سفيان نذر ألاَّ يمسَّ رأسه ماء من جنابة ولا يشرب خمرًا حتى يغزو رسول الله ﷺ . فخرج في عِدَّة من قومه ولم يصنع شيئاً ؛ فغيرته قريشٌ بذلك وقالوا : إنَّما خرجتم تشربون السَّوِيقَ ؛ فسمَّيت غزوة السَّوِيقِ¹ .

حدَّثنا محمد بن جرير ، قرأته عليه ، قال حدَّثنا محمد بن حُميد قال حدَّثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزُّبير ويزيد بن رومان عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، قال : كان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجع قبل قريش من بدر ، نذر ألاَّ يمسَّ ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ . فخرج في مائتي راكب من قريش ليُبرِّ يمينه ، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له تيت (من المدينة على بريد أو نحوه) ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حُيَّ بن أخطب بيثرب فذكر عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه ؛ وانصرف إلى سلام بن مشكم وكان سيّد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له ، فقرأه وسقاه ونظر له خبر الناس . ثم خرج في عقب ليلته حتى جاء أصحابه ؛ فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة ، فاتوا ناحية منها يقال لها العريض ، فحرقوا في أصوار² من نخل لها ، وأتوا رجالاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين . فنذر³ بهم الناس ؛ فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم حتى بلغ قرقرة⁴ الكدر ، ثم انصرف راجعاً وقد فاتته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا من مزاود القوم ما قد طرحوه في الحرث يتخفّفون منه للنَّجاء . فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : أنطمع أن تكون غزوة ، قال «نعم» . وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهّز خارجاً من مكة إلى المدينة آياتاً من شعر يحرّض فيها قريشاً فقال :

[من معجزه الرجز]

1 السَّوِيق : شراب يُتخذ من الحنطة والشعير .

2 الصور : الجماعة من النخل .

3 نذر : علم .

4 قرقرة الكدر : موضع على ستة أميال من خيبر .

كُروا على يثرب وجمعهم فإن ما جمعوا لكم نفل
 إن يك يوم القليب كان لهم فإن ما بعده لكم دَوْل
 آلت لا أقرب النساء ولا يمس رأسي وجلدي الغسل
 حتى تبیدوا قبائل الأوس وال خزرج إن الفؤاد مُشتعل¹
 فأجابه كعب بن مالك :

يا لهف أم المسبحين على جيش ابن حرب بالحرّة الفشل²
 أنطرحون الرجال من سَم الظّه ر ترقي في قنّة الجبل
 جاءوا بجمع لو قيس منزله ما كان إلا كمعرس الدئل³
 عار من النصر والثراء ومن نجدة أهل البطحاء والأسل
 أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا سليمان⁴ بن
 سعد عن الواقدي : أن غزوة السويق كانت في ذي القعدة من سنة ثنتين من الهجرة .

[اشتد قيس بن الخطيم على حسان وهم يشربون عند ابن مشكم فانتصر ابن مشكم لحسان]

حدثني عمي قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا ابن سعد عن الواقدي عن أبي
 الزناد عن عبد الله بن الحارث قال : شرب حسان بن ثابت يوماً مع سلام بن مشكم ، وكان
 له نديماً ، معهم كعب بن أسد وعبد الله بن أبي قيس بن الخطيم ؛ فأسرع الشراب فيهم
 وكانوا في مؤادعة وقد وضعت الحرب أوزارها بينهم . فقال قيس بن الخطيم لحسان : تعال
 أشاربك ؛ فتشاربنا في إناء عظيم فأبقى حسان من الإناء شيئاً ؛ فقال له قيس : اشرب . فقال
 حسان وعرف الشر في وجهه : أواخراً من ذلك أجعل لك الغلبة . قال : لا ، إلا أن تشربه ؛
 فأبى حسان . وقال له سلام بن مشكم : يا أبا يزيد ، لا تكرهه على ما لا يشتهي ، إنما دعوته
 لإكرامه ولم تدعه لتستخف به وتسيء مجالسته . فقال له قيس : أقدعوني أنت على أن
 تسيء مجالستي ؟ فقال له سلام : ما في هذا سوء مجالسة ، وما حملت عليك إلا لأنك مني
 وأني حليفك ، وليست عليك غضاضة في هذا ، وهذا رجل من الخزرج قد أكرمته وأدخلته
 منزلي ؛ فيجب أن تكرم لي من أكرمته . ولعمري إن في الصحو لما تكتفون به من حروبكم ؛

1 تبیدوا في ل : تبیروا .

2 الفشل : الضعيف الجبان .

3 المعرس : الموضع الذي يعرس فيه أي ينزل القوم . الدئل : دوية كالنعلب ، وقيل : هي شبيهة بابل عرس .

4 في ل : محمد .

فافترقوا . وآل سَلامُ بن مِشْكم على نفسه ألاَّ يشرب سنَةً ؛ وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريماً .

صوت من المائة المختارة

[من السريع]

مَنْ مُبلغ عني أبا كامل أني إذا ما غاب كالهامل
قد زادني شوقاً إلى قربه مع ما بدا من رأيه الفاضل
الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لأبي كامل . ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر
في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبّش أنّ لأبي كامل فيه أيضاً لحناً من خفيف الثقيل
الثاني بالوسطى .

* * * *

الفهرس

- [72] - أخبار الصَّمَّة القُشَيْرِيَّ ونسبه 5
- [73] - أخبار داود بن سَلَم ونسبه 11
- [74] - أخبار دَحْمَان ونسبه 19
- [75] - أخبار أَعْشَى هَمْدَان ونسبه 27
- [76] - أخبار أَحْمَد النَّصْبِي ونسبه 50
- [77] - أخبار حَمَّاد الراوية ونسبه 55
- [78] - أخبار عَبَادِل ونسبه 71
- 79 - [الوابصي وأخباره] 86
- 80 - [عود إلى أخبار نصيب] 88
- [81] - أخبار المَرْقُش الأكبر ونسبه 93
- [82] - المَرْقُش الأصغر 99
- [83] - وقعة دولاب وأخبار الشراة 103
- [84] - أخبار سباط ونسبه 109
- [85] - ذكر نبيه وأخباره 115
- [86] - أخبار سُلَيْم 117
- [87] - أخبار ابن عَبَّاد 122
- [88] - أخبار يَحْيَى المَكِّيَّ ونسبه 124
- [89] - أخبار الثَّمِيرِي ونسبه 136
- [90] - أخبار وضاح اليمن ونسبه 148
- [91] - أخبار بَشَّار وَعَبْدَة خاصة إذ كانت أخباره سوى هذه تقدّمت 170
- [92] - أخبار الأَحْوص مع أُمِّ جَعْفَر 179
- 93 - [عاتكة بنت شهدة] 184
- [94] - ذكر أبي ذُوَيْب وخبره ونسبه 187
- [95] - ذكر حَكَم الوادي وخبره ونسبه 197
- [96] - ذكر ابن جامع وخبره ونسبه 204
- [97] - ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه 239
- [98] - ذكر الخبر عن غزوة السَّوَيْق ونزول أبي سفيان على سلام بن مِشْكَم 250